الحديث النبوي

مُصْطَلحُه - بلاغتُه - كُتُبُه

تأليف

محمد الصباغ

المكتب الاسلامي

الطبعة الرابعة

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

المكتب الإسلامي

بيروت - ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقيًا . إسلاميًا

دمشق - ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقيًا . إسلامي

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الارض وملء ما بينهما وملء ماشئت من شيء بعد ، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك . سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك ، لا راد لما قضيت ، ولا حول ولا قوة الا بك تباركت وتعاليت . والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة ، فجزاه الله عنا ما هو أهله .

اما بعد

فان من نعم الله التي من بها علي ـ وما اكثرها ـ ان قدر لي الاشتغال بتدريس الكتاب والسنة والعلوم المتصلة بهما الجليلين ، فالحمد لله وأن يسر لي إصدار كتابين في هذين العلمين الذي بنعمته تتم الصالحات .

وهذا كتاب ((الحديث النبوي)) احدهما أقدمه للطبعة الثالثة منقحا مبوبا مزيدا بعد الطبعة الثانية التي تمت بالتصوير ، وأذنت

على كره مني بتصويرها لكثرة الطلب على الكتاب ونفاد الطبعة الاولى . وقد نفدت الطبعتان في وقت قصير جدا ، وذلك من فضل الله .

وكانت في الطبعة الاولى أغلاط كثيرة ، يعود بعضها إلي ، اذ فاتني بعض الاغلاط بسبب ما كنت عليه من انشغال أثناء تصحيح تجارب الطبع ، وانتقال بين بيروت ودمشق والرياض ، ويعود أكثرها الى المطبعة التي لم تكن تصحح كل ما أعمل .

ومهما يكن من امر فقد اتيح لي بعد طبع الكتاب ان انظر فيه وارتبه ترتيبا جديدا ، وان اعيد كتابة بعض الفصول،وأن أضيف اليه فصولا مهمة . وأود ان اختتم هذه المقدمة بشكر اولئك السادة الافاضل الذين اكرموني بالثناء على الكتاب او نقده ، وكتبوا الي بملاحظاتهم التي كانت موضع تقديري واهتمامي ، وبالتنويه بأنني في هذه الطبعة خرجت معظم الاحاديث الواردة في الكتاب وذكرت موضعها من مدونات السنة المطبوعة ، وأرجو ان اخرج في طبعة مقبلة الاحاديث الاخرى الباقية التي اعجلنا عن تخريجها رغبتنا في ان يكون الكتاب بين ايدي طالبيه .

هذا وقد استغرب احد الاخوة الكرام استشهادي ببعض الاحاديث الضعيفة مع اشارتي الى ضعفها في الهامش .

وانني ارى ان استغرابه في محله ، لان من رأيي انا ايضا ان الاستشهاد بالصحيح يغنينا عن غيره ، ولكني اود ان اذكر توضيحا لا بد منه :

١ ـ إن كثيرا من هذه الاحاديث يعود الفضل في تضعيفها وبيان درجتها الى فضيلة العلامة المحدث الكبير الشيخ محمد ناصر الدين الالباني جزاه الله خيرا . ولو انني ساعة

انشائي للبحث كنت اعرف ضعفها ما اوردتهـا .

٢ ـ ان الاشارة الى ضعف الحديث في الهامش تبرىء الذمـة حتى لا يكـون ذكـره هنا مسوغـا لروايته على انه حديث ثابت .

٣ ـ ان هـذا الرأي سـديد بالنسبة الى الاحكام والمواعظ ، امـا بالنسبة الى الناحية الادبية فلا اجـد الحرج نفسه ، لا سيما وان معظم ما جاءنا من نصوص ادبية : شعرية ونثريـة لا يمكن ان ترقى الى درجـة الحديث الضعيف ، هـذا وغالبـا مـا يكون الحديث الضعيف متصفا بخصائص الاسلوب النبوي .

اللهم اجعل خير اعمالنـا خواتيمهـا وخير ايامنا يوم لقائك . ربنـا آتنـا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا لا تزغ قلوبنـا بعد اذ هديتنـا وهب لنـا من لـدنك رحمة انك انت الوهـاب . وآخر دعوانا ان الحمد للـه رب العـالمين

الرياض في ٢٧ رمضان ١٣٩٦

٢١ أيلـول ١٩٧٦

محمد بن لطفي الصباغ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله .

أما بعد

فهذه محاضرات كنت القيتها على طلبة الآداب في جامعة الرياض ، وقد طبعت مرات على طريقة المذكرات ، وهي تعالج موضوعات هامة يجدر بكل مسلم مثقف ان يطلع عليها ، وقد عنيت فيها بدراسة مفصلة لبلاغة الحديث النبوي . وعرضت في هذه المحاضرات الى ما قرره علماء المصطلح وحرصت على السهولة في طريقة العرض والوضوح في الاسلوب ، واجتهدت في ان اضع خلاصة ما قرأت في كتب المصطلح .

كما عرضت لتاريخ علم الحديث ، وعرفت بالكتب الستة ، واهم كتب السنة ، واوضحت المراد من عديد من المصطلحات التي توجد في كتب الحديث ، ولما اطلع عليها بعض الاحبة اقترح علي نشرها كما هي ولكنني عزفت عن ذلك سنوات لانني كنت اريد ان اتوافر عليها لأجعلها اقرب الى الكمال ثم استجبت لهذا

انطلب رغبة مني في أن يحمانني نشرها على النظر فيها ، وأنا
اعلم ان الكمال منال صعب بالنسبة للبشر جميعا ، ولعل
الطبعات المقبلة تستكمل كثيرا من نواحي النقص .

وهذه البحوث تتضمن شيئا من اصول الفكر الاسلامي
التي استطاع المسلمون ان يقعدوها ويتوصلوا اليها من غير
ان يقتبسوها عن الأمم الاخرى ، فهي تعبر عن الأصالة
الاسلامية الحقة .

ان علم اصول الفقه وعلم المصطلح يشكلان المرتكزات
الاساسية لطرائق التفكير والنقد والاستنباط عند المسلمين .

ويؤسفني أن اقرر ان هذين العلمين العظيمين آل امرهما
عند المتأخرين من علماء المسلمين الى ان يكونا مادة للاطلاع
فقط ، وليس لهما اي اثر في حياتهم العلمية والفكرية .
وبذلك فوتوا على انفسهم الفائدة البالغة العظيمة التي
حققها الأجداد وعيا وفكرا وإبداعا واستنتاجا ، وانني لأرجو
مخلصا ان ينطلق الواعون في الافادة من هذين العلمين في هذه
الحقبة ، وان تنتهي الى الابد تلك الحالة الشاذة التي كانت
سائدة في العصور المتأخرة من تعطيل للاجتهاد .

هذا وقد نظر في هذه المحاضرات المحدث الشيخ ناصر
الدين الالباني فتفضل وكتب — جزاه الله خيرا — تعليقات على
بعض الأحاديث اثبتها منسوبة اليه ، وقد حرصت ان أرد
الاحاديث التي استشهدت بها الى مواضعها في « رياض الصالحين »
ان كانت موجودة فيه لانه كتاب بين ايدي الطلاب وهو ايضا
متداول بين جمهور القراء .

وانا أسأل الله ان ينفع بها ، وان يجعلها خالصة لوجهه،
والحمد لله رب العالمين .

الرياض في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٩٢
محمد الصباغ

الباب الأول

قضايا حول السنة ومكانتها



الفصل الأوّل

وَاقعُ السُّنّة

ان واقع السنة في عصرنا هذا ، يحتاج الى مزيد عناية من مفكري المسلمين وعلمائهم ، لأنّ هناك جفوة أليمة تقوم بين هدي النبي صلى الله عليه وسلم وبين حياة المسلمين العلمية والفكرية والمعاشية والاجتماعية •

وإنها لكارثة أن لايشعر الواعون من المسلمين ــ وهم الآن يحاولون أن ينهضوا بأبناء ملتهم من واقع مرير ــ بضرورة قيام طائفة من المسلمين في كل بلد لمتابعة تلك الجهود العظيمة التي بدأها الاسلاف في مجال السنة ، وأنفقوا في سبيلها زهرات حياتهم ، حتى تركوا لنا كنوزاً من المؤلفات قيّمة ورائعة ، ما أشد حاجتنا الى الانتفاع منها وإتمامها •

أليس من المؤسف ألا نجد في أرجاء العالم الاسلامي عدداً كافياً من الرجال يقوى على النهوض بالمسؤولية الضخمة في هذا الصدد ؟ •

إنّ طاقات ضخمة معاصرة انطلقت في هذا العصر في مجالات من الاختصاص ، وقد استطاع بعضها أن يرتقي سلّم الجودة ويبلغ منزلة النبوغ ، وأن يصل حاضرنا اليوم بماضينا الفكري المتألق على نحو ما •

ففي الشعر برزت مواهب البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وغيرهم من شعراء هذا العصر ممن استأنفوا النشاط الأدبي وكانوا حلقة في سلسلة الشعراء المجيدين .

وفي النثر كذلك نجد في هذا العصر من يستحق أن يذكر الى جانب الجاحظ والتوحيدي كالرافعي والمازني .

وفي الخطابة زخر عصرنا بالخطباء الأبيناء ممّن لايقلون في مستواهم الخطابي عن فحول الخطباء المتقدمين . وهكذا ...

فلماذا لا نجد في ميدان علم الحديث العدد الوافر الذي يتمم جهود البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وابن حجر ... ؟ لقد أصبح الحديث النبوي اليوم مع الأسف مهجوراً ، ولايتصدّى له من يدرسه من الناس إلا للبركة والوعظ إلا من رحم ربك وقليل ماهم .. ويبدو أن المستعمرين قد خططوا عندما وضعوا مناهج التعليم في بلادنا أن تبتعد أجيالنا عن دراسة السنة الدراسة التي تصلنا بذلك المستوى الرفيع من الحياة الفاضلة الكريمة ، وقد ساعدهم على ذلك ماشاع في الأوساط العلمية التي كانت في مطلع هذا العصر من أن باب الاجتهاد مغلق ، ومن أن ليس للمرء إلا أن يأخذ ماانتهى إليه الفقها ، وليس له أن يفكر في الاجتهاد ومناقشة الفقهاء ، فللاجتهاد شروط ذكروها يتعذر اجتماعها في رجل ، والفقهاءُ موثوقون ، فما ورد في كتبهم واجب الاتباع . ومن المؤلم أن نقرر أنهم ــ أي المستعمرين ــ قد حققوا كثيراً مما يريدون ، وما يزال المسلمون في غفلة عن هذا .

إنّ حاجات العصر العديدة،والأحوال الاجتماعية الجديدة التي تنتظر حكماً إسلامياً لتلح على عناصر القيادة الفكرية للمسلمين أن يعملوا

جاهدين على استئناف الاجتهاد ، إن احتياج المسلمين إلى الاجتهاد ضرورة لا ينكرها أحد لاسيّما في الأمور التي جدّت مؤخراً والتي لايعرف الناس حكم الله فيها ، وهذا غير التعلة الباطلة التي يتعلل بها كثير من السخفاء الهازلين الذين يقولون : كيف نستطيع أن نقيم الدولة لاسلامية وليس هناك قانون مدني إسلامي[1] .

وهذا يستدعي أن تجدد صلة المسلمين بالسنة ، لأنها والقرآن المصدران الأساسيان للشريعة .

وقد آن الأوان لقيام مجمع إسلامي يضم العلماء المتفوقين الأتقياء الورعين في مختلف أنحاء العالم الاسلامي ليقول كلمة الفصل في هذه الحاجات والأحوال ، وليقضي قضاء مبرما على فكرة إغلاق باب الاجتهاد ، وحينئذ ستشتد الحاجة إلى دراسة السنة والتخصص فيها .

ومن المؤسف أن نقرر أن السنة المطهرة أضحت للبركة منذ زمن طويل حتّى صار الجامع الصحيح للبخاري يقرأ على الناس في المحافل العامة في القاهرة في شهر رمضان أيام المماليك للبركة وابتغاء الثواب ورفع البلاء ، ويستسقى بقراءته المطر ، وكانت تقام احتفالات كبيرة عند ختام قراءته[2] ، وقد نقل القسطلاني شارح البخاري في مقدمة « شرحه » عن أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة أنه قال : قال لي من لقيت من العارفين عمّن لقيه من السادة المقر لهم بالفضل : إن صحيح البخاري ماقرىء في شدة إلا فرجت ، ولا ركب به في مركب فغرقت[3] .

---

(١) انظر كلام الاستاذ سيد قطب في ذلك في « معالم في الطريق » ص ٣٥ وص ٤٥ في الفصل « طبيعة المنهج القرآني » .

(٢) « تاريخ الادب العربي » لبروكلمان ٢/٢٥٠ .

(٣) انظر « شرح القسطلاني » ١/٢٩ .

وذكر ابن كثير في « البداية والنهاية » أثناء حديثه عن فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ :

« .. فأبرزت المناجيق .. وخرجت العامة والمتطوعة .. فتوافت الجيوش هنالك .. واجتمع الناس بالجوامع لقراءة صحيح البخاري فقرأه الشيخ شرف الدين الفزاري [١] فحضر القضاة والفضلاء والأعيان » (٢) .

وذكر أيضاً :

« وفي شهر رجب قويت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام فانزعج الناس لذلك ، واشتد خوفهم جدا ، وقنت الخطيب في الصلوات وقرىء البخاري .. » (٣) .

وفي الصعيد كان الناس إذا مرض مريض لهم عمدوا الى صحيح البخاري يقرؤونه يرجون بذلك أن يَمُنَّ الله بالشفاء على صاحبهم[٤] وليس هذا خاصاً بالصعيد ومصر .. بل عم كثيراً من الأقطار الاسلامية . ومازال الناس في المغرب يستشفون به ويقرؤونه للبركة ، وذكر الشيخ جمال الدين القاسمي أن العمل جرى على ذلك في دمشق وغيرها إذا ألمت بالبلاد نازلة مهمة فإنهم يوزعون أجزاء الصحيح على العلماء والطلبة

---

(١) هو أحمد بن ابراهيم بن سباع الفزاري . شرف الدين . ولد ٦٣٠ وسمع من ابن الصلاح وغيره وكان خطيب المسجد الجامع بدمشق وتوفي سنة ٧٠٥ وانظر ترجمته في « البداية والنهاية » ١٤/٣٩ـ ٤٠ .

(٢) « البداية والنهاية » ١٣/٣٢٠ .

(٣) « البداية والنهاية » ١٤/٢٢ .

(٤) بروكلمان تاريخ الادب العربي ٢/٢٥٠ .

وعند الختم يغدون إلى الجامع الأموي أمام المقام اليحيوي [1] ، وظل العمل على ذلك إلى مدة قريبة كما يفهم من كلام الشيخ القاسمي في « قواعد التحديث » .

وهكذا فقد تحول الحديث ــ وأأسفاه ــ في أصقاع مختلفة من العالم الاسلام إلى تراتيل تُلتمس في قراءتها البركة [2] ويرجى بها النصر على العدو ويبتغى بها دفع البلاء ، وإلى شواهد للوعظ تحشد في كلمات الوعاظ وانحرفت نظرة المسلمين إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعودوا ينظرون إليه على أنه أوامر للتنفيذ ينبغي عليهم أن يتأكدوا أولاً من نسبتها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .. ثم عليهم أن يستكملوا وسائل فهمها وإدراك مغازيها حتى يتسنّى لهم التطبيق والتنفيذ،لأن من المعلوم أن كلامه صلى الله عليه وسلم تشريع ، فهو لا ينطق عن الهوى ، والمسلمون ملزمون بطاعته .

ومنذ أكثر من أربعين سنة كتب العلامة الأستاذ محمد عبد العزيز الخولي كلمة يدعو فيها إلى خدمة السنة ويحث على تعلمها والتخصّص بها ، ويأسف أن الأزهر لم يقم بهذه المهمة [3] ، ولكنها كانت صيحة في واد . ومهما يكن من أمر فإن كلمة الحق يجب أن تعلن دائما وأن تقرر بكل قوة .

إن على قادة الفكر في العالم الاسلامي وكليات الدراسات الاسلامية أن يواجهوا هذه المشكلة وأن يعملوا على تلافيها .

---

(١) « قواعد التحديث » ص «٢٥٠» .

(٢) كان هذا فيما مضى ، أما اليوم فقد تغيرهذا أيضا ، ولكن لا الى الحالة التي نريد .... بل الى هجر الدين وجعله ظهريا بمظاهره الحقة والباطلة ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

(٣) انظر كلامه هذا في كتابه «مفتاح السنة» ص ١٦٤ وما بعدها.

الفصل الثاني

دراسة الحديث ضرورة لازمة لطالب العلم

إن دراسة الحديث أمر ضروري لطالب العلم سواء أكان متخصصا في الشـريعة أم في العربية أم في التاريخ ، أما ضرورتـه للتخصص في الشريعة فواضحة .

الحديث واللغـة العربية :

وأما بالنسبة لطالب العربية فنستطيع أن نجمل الدواعي لدراسته فيما يأتـي :

١ ـ لأن تأثير الحديث النبوي على ثقافتنا العربية يفوقُ كُل تصور ، فلقد صبغت طريقتُه كُل فنون ثقافتنا ومعارفنا ، إنك تجدُ طريقة السنة عمَّتْ كل أنواع الكتب في مكتبتنا من أدبيةٍ وتاريخيةٍ وغيرهما إذ تعتمدُ السندَ في إيراد أخبارها مثل كتاب « الاغاني» لأبي الفرج الاصبهـانيْ ، و « الأمالي » لأبي علـي القـالي و « تاريخ الرسل والملوك » لابن جرير الطبري . بل إن كثـيراً من العلوم ما كان ليوجد لولا الحديث ، فطبقات الرجال وكتب التاريخ وكتب التراجم والسيرة كل هذه ثمرة من ثمراتِ الحديثِ النبوي ، يقول الدكتور شوقي ضيف :

(فالحديث هو الذي فتح باب الكتابة التاريخية، وهيأ لظهور كتب الطبقات في كل فن ، وهذا غير ما نشأ عنه من علوم الحديث ، وغير مشاركته في علوم التفسير والفقه . مما بعث على نهضة علمية رائعة) . (١)

٢ ـ لأن الحديث النبوي من بليغ ما أثر في لغتنا ، ومن أرفع النصوص الأدبية بياناً وإشراقاً بعد القرآن ، والدراسة المفيدة المجدية للغة العربية هي الدراسة التي تجعل الطالب يتخرج بالنصوص الجميلة وتصله بها ، حتى يتأثر بأساليبها وطريقتها في القول . وسنلم في هذه البحوث ببعض نواحي الجمال في الحديث النبوي البليغ .

٣ ـ لأن علوم العربية وآدابها إنما كانت من أجل خدمة القرآن والحديث ، بل إننا لنستطيع أن نقول : إن كل ما في ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون في العلوم والفنون والمعارف إنما كان لخدمة القرآن والسنة .

٤ ـ لأن هناك التحاماً وثيقاً بين العربية والعلوم الإسلامية ، وكل دارس للعربية لايعتبر واقفا على أسرارها ما لم يشارك في العلوم الاسلامية الأخرى .

٥ ـ لأن الحديث النبوي من الأصول التي يستشهد بها على قواعد اللغة كما سنرى تفصيل ذلك في موضعه .

٦ ـ لأن قواعد علم المصطلح التي وضعها أجدادنا المسلمون تعلم المنهجية في الحكم على الأخبار دون أن يكون تأثر بأي اعتبار آخر غير تطبيق تلك القواعد .

---

(١) انظر كتاب « العصر الاسلامي » ص ٤١ .

الحديث والتاريخ :

وأما طالب التاريخ فيكفينا للدلالة على أهمية دراسة الحديث بالنسبة له أن نورد قول الدكتور أسد رستم أستاذ التاريخ في الجامعة اللبنانية :

[وأول من نظم نقد الروايات التاريخية، ووضع القواعد لذلك علماء الدين الاسلامي فإنهم اضطروا اضطراراً الى الاعتناء بأقوال النبي وأفعاله لفهم القرآن وتوزيع العدل فقالوا :

« إن هو إلا وحي يوحى ، ماتلي منه ، فهو القرآن ، ومالم يتل فهو السنة » فانبروا لجمع الأحاديث ودرسها وتدقيقها فأتحفوا علم التاريخ بقواعد لاتزال في أسسها وجوهرها محترمة في الأوساط العلمية حتى يومنا هذا] [1]

وقد وضع الأستاذ المذكور كتاباً عنوانه « مصطلح التاريخ » وقد اعتمد فيه على القواعد التي قررها علماء مصطلح الحديث، ووصف كتابه بأنه بحث في نقد الأصول وتحري الحقائق التاريخية وإيضاحها وعرضها وفيما يقابل ذلك من علم الحديث ، يقول :

[وبإمكاننا أن نصارح زملاءنا في الغرب فنؤكد لهم بأن ما يفاخرون به من هذا القبيل نشأ وترعرع في بلادنا . ونحن أحق الناس بتعليمه والعمل بأسسه وقواعده . وها أنا الآن أضع بين يدي القارىء رسالتي في مصطلح التاريخ ...] [2]

---

(١) انظر « مصطلح التاريخ » صفحة أ

(٢) انظر « مصطلح التاريخ » صفحة ز ـ ح

الفصل الثالث

مكانة الحديث في الشريعة

المصدران الأصليان للشريعة الإسلامية هما الكتاب والسنة، فمكانة السنة إذن رفيعة عظيمة ، ولها قوة تشريعية ملزمة، وعليها يقوم جزء ضخم من كيان الشريعة ، وليس للمسلم إلا اتباع أوامرها والوقوف عند حدودها . . ونستطيع أن نتبين مكانتها فيما يأتي :

١ ـ السنة مبينة للقرآن : فقد كلف الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم بمهمة تبيين مانزل إلى الناس (وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس مانزل إليهم)[١] ، وقد قام صلوات الله عليه بهذه المهمة خير قيام ، فأدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وبيّن المراد من آيات الله . .

٢ ـ والسنة مفصلة لمجمل القرآن :ففي القرآن آيات تأمر بالصلاة والزكاة أمراً مجملاً ، قال تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون)[٢] وتأتي السنة المطهرة فتفصل عدد الصلوات ، وأوقاتها ، وعدد ركعاتها ، ومبطلاتها وتدل على شروطها وأركانها . كما تفصل ذكر الأموال التي فيها زكاة والتي لازكاة فيها ...وتفصل النصاب الذي تجب فيه الزكاة ، ومقدارها ونسبتها ...

---

(١) سورة النحل ، الآية ٤٤

(٢) سورة النور ، الآية ٥٦

والأمثلة من السنة على تفصيل ماورد في الكتاب الكريم مجملاً كثيرة كالصوم والحج والبيع ... الخ ...
أخرج الخطيب والسمعاني بسنديهما إلى عمران بن حصين أنه كان جالسا ومعه أصحابه ،فقال رجل من القوم : لاتحدثونا إلا بالقرآن . فقال له : ادن . فدنا . فقال : أرايت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعاً والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين ؟ أ رأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعاً والطواف بالصفا والمروة ؟ ثم قال : أي قوم ! خذوا عنا ، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلن . وفي رواية السمعاني : أتجد في كتاب الله الصوم مفسراً ؟ إن القرآن أحكم ذلك ، والسنة تفسر ذلك [1] وورود آيات القرآن مجملة أمر طبيعي ، لأن القرآن بالنسبة للمسلمين الدستور الذي يقرر لهم الأسس الفكرية والاجتماعية والسياسية والروحية التي يجب أن يقيموا مجتمعهم عليها ، ويترك التفصيلات الجزئية للسنة . على أن القرآن الكريم في بعض الأمور الهامة يذكر التفصيلات لأهميتها في حياة الناس كالإرث [2] واللعان [3] والطلاق [4]... وماشابهها ، حتى لايدع مجالاً للفرقة في المجتمع الاسلامي .

---

(١) انظر « الكفاية » ص٤٨ و « ادب الاملاء والاستملاء » ص٤

(٢) انظر الآيات الواردة في الإرث في سورة النساء الآيات (١١ — ١٢ — ١٧٦)

(٣) انظر الآيات الواردة في اللعان في سورة النور الآيات « ٦ — ٧ — ٨ — ٩ »

(٤) انظر الآيات الواردة في الطلاق في سورة البقرة الآيات « من الآية ٢٢٦ حتى الآية ٢٣٧ » وسورة الطلاق الآيات (من الآية ١ حتى الآية ٦) .

ولا بد من الإشارة إلى أن السنة في تفصيلها مجمل القرآن تسير في هداه ، وتنطلق من مبادئه وأسسه .

٣ ــ وفي السنة أحكام عليها جمهور المسلمين لم تأت في القرآن كتحريم نكاح المرأة علـى عمتها أو خالتها [١] ، وحد شرب الخمر ورجم الزاني المحصن وميراث الجدة . قال الشوكاني : [إن ثبوت حجية السنة المطهرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ، ولا يخالف في ذلك إلا من لاحظ له في الإسلام][٢]

٤ ــ وفي السنة تخصيص لعموم محكم القرآن ، ومن ذلك تخصيص الحديث : « لايرثُ المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » [٣] الآيـة (ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث)[٤] قال الخطيب البغدادي : [فكان ظاهر هذه الآية يدل علـى أن كل والد يرث ولده ، وكل مولود يرث والده حتى جاءت السنة بأن المراد ذلك مع اتفاق الدين مـع الوالديـن والمولودين ، وأما اذا اختلف الدينان فانه مانع من التوارث][٥].

٥ ــ والقرآن الكريم نفسه يرد الى السنة ويوجب على المسلمين أن

---

(١) وذلك في الحديث المتفق عليه الذي اخرجه البخاري ١١/٧ ومسلم ١٣٥/٤ .
(٢) « ارشاد الفحول » ص ٢٩ .
(٣) متفق عليه واخرجه ايضا ابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه .
(٤) سورة النساء الآيـة ١١ .
(٥) « الكفاية » ص ٤٥ وانظر فيه امثلة اخرى خصصت فيها السنة محكم القرآن .

يطيعوا الرسول ، ويَعُدُّ طاعة الرسول طاعةً لله . قال تعالى : (من يطع الرسول فقد أطاع الله)[1] ويقرر القرآن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لكل من آمن بالله واليوم الآخر (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)[2] .وأوجب الله في القرآن النزول على حكم النبي في كل خلاف ، وأقسم الله ــ تبارك وتعالى ــ على نفي الإيمان عن كل من لا يحكمه ولا يرضى بحكمه حتى يحكمه ويرضى بحكمه فقال تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما)[3] وأخبرنا ــ جل ذكره ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتي القرآن والحكمة (التي هي السنة) ليعلم الناس أحكام دينهم ويزكيهم . فقال سبحانه : (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[4] قال الامام الشافعي في هذه الآية : (سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله ... فلم يجز أن يقال الحكمة هنا الا سنة رسول الله . وذلك انها مقرونة مع

(١) سورة النساء الآية : ٨٠ .
(٢) سورة الاحزاب الآية : ٢١ .
(٣) سورة النساء الآية ٦٥ .
(٤) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

الكتاب وأن الله افترض طاعة رسوله وحتم على الناس اتباع أمره)[1] وهناك نصوص قرآنية أخرى عديدة تلزم المسلم بطاعة رسول الله وامتثال أمره فمن ذلك قوله تعالى : (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين)[2] • وليست طاعته الا تنفيذ أوامره • ويقول تعالى في الثناء على المؤمنين الذين يطيعون رسول الله : (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)[3] ومن ذلك قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)[4] ومن ذلك قوله تعالى : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[5] وهكذا نرى هذه الآيات وغيرها تدل على أن السنة في رتبة تشريعية ملزمة •

٦ ـ واذا ما رجعنا الى الاحاديث الثابتة وجدنا طائفة ضخمة تصرح بمكانة السنة في الشريعة •

---

(١) « الرسالة » ص ٧٨ تحقيق احمد شاكر وانظر « جامع بيان العلم » لابن عبد البر ١/١٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ٣٢ .
(٣) سورة النور الآية : ٥١ .
(٤) سورة الحشر ، الآية ٧ .
(٥) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

فمن ذلك ماروواه البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل أمتي يدخلون الجنة الا من أبى » ، قالوا : يارسول الله من يأبى ؟ .. قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » [1] .

ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون . فقلنا : يارسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصنا قال : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي ، وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » وقال الترمذي فيه: حديث حسن صحيح . [2]

ومن ذلك ما أخرج ابن حبان في « صحيحه » عن أبي رافع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري : إما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : ما ندري ما هذا ؟ عندنا كتاب الله ، ليس هذا فيه » [3] .

---

(1) انظر « رياض الصالحين » باب الامر بالمحافظة على السنة وآدابها ص ٩٠ .

(2) انظره في « سنن أبي داود » ٢٨١/٤ و « الترمذي » ٣٧٧/٣ و (سنن الدارمي) ٤٤/١ و « رياض الصالحين » باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها ص ٩٠ .

(3) « موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان » للهيثمي ص ٥٥ وانظر (الكفاية) ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢

وأخرج ابن حبان أيضا عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني أوتيت الكتاب وما يعد له ، يوشك شبعان على أريكته أن يقول : بيني وبينكم هذا الكتاب ، فما كان فيه من حلال أحللناه ، وما كان فيه من حرام حرمناه ، ألا وإنه ليس كذلك »[1] .

ومن ذلك ماروى أحمد وأبو داود والترمذي أن رسول اللهصلى الله عليه وسلم عندما أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن سأله « كيف تقضي إذا عرض لك قضاء ؟ » قال : أقضي بكتاب الله . قال : « فان لم يكن في كتاب الله ؟ » قال : فبسنة رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم : « فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟ » قال : أجتهد رأيي ولا آلو ، فضرب رسولالله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسولِ الله لما يرضي رسول الله » .[2]

---

(١) « موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان » للحافظ الهيثمي تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة ص ٥٥ رقم الحديث ٩٧ وانظر « سنن أبي داود » ٢٧٩/٤ و « الدارمي » ١٤٠/١ و (ابن ماجه) ٦/١ و (الترمذي) ٣٧٤/٣ و « أدب الاملاء » للسمعاني ٣-٤ و « السنة » لمحمد بن نصر المروزي ٦٧ و « المستدرك » ١٠٩/١ .

(٢)أوردت كتب الأصول هذا الحديث وقد رواه احمد في « مسنده » ٢٣٠/٥ و ٢٣٦ و ٢٤٦ وابو داود في « سننه » ٤١٢/٣ والترمذي في « سننه» ٢٧٥/٢ وقال عقبه (هذا حديث لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس اسناده عندي بالمتصل) والدارمي في « سننه » ٦٠/١ واورده ابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله)١٢٦ . واخرجه من طرق الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه »١٨٨/١ — ١٨٩ وصححه ، وذكر أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به ، واخرجه ابن كثير في مقدمة « تفسيره» ٣/١ وقال : (وهذا الحديث في « المسند»

٧ ـ ولقد كان السلف الصالح من الجيل المثالي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويفقهون هذه المكانة للسنة تمام الفقه ويحققون ذلك في حياتهم ويعتبرون اتباع النبي صلى الله عليه وسلم شرطاً لابد منه ليكونَ المرءُ مسلماً.أخرج البخاري ومسلم عن عابس بن ربيعة قال : « رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبل الحجر ـ يعني الحجر الأسود ـ ويقول : أعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك »[1] .

وقال خالد بن أسيد لعبد الله بن عمر : إنا نجدُ صلاة الحضر وصلاة الخوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر في القرآن . فقال له ابن عمر : يا بن أخي إن الله عز وجل بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا . وإنما نفعل كما رأينا محمداً صلى الله عليه وسلم يفعل .[2]

٨ ـ وكانت ضرورة تطبيق الشريعة وما جاء في القرآن ملزمة بالرجوع الى السنة كما رأينا في الأمثلة التي مرت في الفقرتين الثانية والثالثة مما شرحت به السنة مجملا ، أو نصت على حكم ليس في الكتاب .

والسنن بإسناد جيد كما هو مقرر في موضعه) ونقل الشيخ ناصر الألباني عن البخاري انه قال فيه : إنه حديث منكر ، وانظر « منزلة السنة في الاسلام » للشيخ ناصر الألباني ١٥ ـ ١٦ .
ونقل السبكي في « طبقات الشافعية » ١٨٧/٥ كلام الذهبي في الحديث وهو : (وأنى له الصحة ، ومداره على الحارث بن عمرو وهو مجهول عن رجال من اهل حمص ، لايدرى من هم ؟ عن معاذ .)
وانظر ماجاء في « عون المعبود » ٣ / ٣٣٠

(١) انظره في « رياض الصالحين » ٩٣ باب الأمر بالمحافظة على السنة .

(٢) انظره في « موطأ مالك » ١٤٥/١ و « سنن ابن ماجه » ٣٣٩/١ و « والنسائي » ٩٦/٣ وقد أورده القرطبي في «تفسيره » ٣٥٢/٥

وروى الحافظ الذهبي في« تذكرة الحفاظ »قال : روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال : ما أجد لك في كتاب الله شيئاً . وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك . فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . [1] .

٩ ــ وإذا كانت السنة في معظمها ــ كما سنرى في بحث الحديث القدسي ــ وحياً من الله ، فمن الطبيعي أن تكون للسنة هذه المكانة السامية في الشريعة .

ومن أجل ذلك فقد قرر العلماء أنه لا فرق بينها وبين القرآن من ناحية وجوب العمل بمقتضاها بالنسبة للمسلمين إذا ثبتت لديهم، ومن هنا كان القرآن والسنة في حق الصحابة الذين يتلقون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، كان القرآن والسنة في حقهم سواء من حيث وجوب الامتثال ، بينما يختلف هذا الموضوع في حق من جاء في الأعصر المتأخرة من جماهير المسلمين، إذ أن هذه الاحاديث لم تصلهم كلها عن طريق متواتر يقيني الثبوت كما هو شأن القرآن .

١٠ ــ هذا وإن الحركات الهدامة المعادية للاسلام استهدفت السنة تحاربها وتشكك فيها ، وقد اتخذت ذلك سلاحا من أسلحتها المتعددة ، تريد القضاء على الإسلام أو تحريفه وتشويهه ، (يريدون أن يطفئوا بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره) [2] .

---

(١) « تذكرة الحفاظ »للذهبي ١/٢ وانظر « تاريخ التشريع » للخضري ١١١ ــ ١١٢

(٢) سورة التوبة ، الآية ٣٢

ومن العجيب أن نحتاج إلى توضيح مكانة السنة في الشريعة . وهل الشريعة في أصولها إلا هذا الكتاب المنزل وتلك الأسوة الحسنة في حياة الرسول وأقواله ؟! .

وهل في عالم الأفكار والعقائد والنبوات التي عرفتها البشرية منذ أقدم العصور حتى الآن فكرة واحدة تنحى منها طائفة من أقوال صاحبها ؟ ! .

إنه المكر للإسلام ، والكيد له ، والافتراء عليه ، حتى تتشوه معالمه . لقد ادعى هؤلاء الهدامون أن السنة لا حاجة لها ، وأنه لامكان لها في مصادر الشريعة ، وأن القرآن وحده كاف ، وزعموا أن ما كان يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقوال سواء أصحت عنه أم لم تصح تدبير مؤقت للمجتمع يومذاك !! . إلى آخر هذه المزاعم الباطلة ...

وقد تولى الإمام العظيم الشافعي في كتابه « الأم » (١) مناقشة هؤلاء الناس ، وذكر ما دار بينه وبينهم من محاجة وحوار ، بأسلوبٍ ممتع وبحجة ناصعة .

وقد يكون لبعض الفرق المنحرفة دور في ترويج هذه الدعوة الضالة. وتعليل هذا الكيد الحقير ميسور ، إذ أن هذه الحركات الهدامة المعادية ما كان لها أن تنال من القرآن ، ولا أن تثير حوله الشكوك ، فلقد كان إعجازه سوراً شامخاً حال بين هؤلاء الحاقدين الموتورين وما يريدون ، ولذلك فقد ظنت هذه الحركات الحمقاء أنها تستطيع أن تجد بغيتها في الحديث (٢) ، فانطلقت بعض فئاتها

---

(١) ذكر ذلك في كتاب جماع العلم من الجزء السابع من « الأم » ص ٢٥٠ .

(٢) انظر كلام الامام ابن الجوزي في ذلك الذي سننقله في باب وضع الحديث .

المسعورة تشكك في اعتبار السنة مصدراً من مصادر الدين لشبهٍ باطله لا تقف على قدميها أمام الحجة الساطعة والنقاش العلمي السليم ، كادعاء صعوبة التمييز بين الموضوع وغيره ، مما سترى بطلانه في موضعه من هذا الكتاب .

وانطلقت فئات أخرى تشكك في صدق بعض الصحابة ، وتطعن بهم الطعن الفاحش ، وممن استهدف من الصحابة الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه [١] .

وفي العصر الحاضر نجد فئة من المغرضين والمغفلين المخدوعين تدعو بهذه الدعوة الضالة الهدامة في مصر والهند .

قال الاستاذ محمد أبو زهرة :

إن الذين يثيرون الغبار حول السنة فريقان . فريق ظهر مروقه من الدين مروق السهم من الرمية وقد ظهرت هذه الطائفة في الهند وباكستان ، والتقيت بنفر منهم ، فحكمت بادىء الرأي عليهم بحكم لا يسر أتباعهم في مصر . ذلك أن هؤلاء لا يكتفون بإنكار حجية السنة ، بل يفسرون القرآن بأهوائهم ، وما يعرفون كلمة عربية ، بل يفسرون الترجمة الأعجمية الباطلة . ويضربون الكتاب بعضه ببعض . فينكرون حكم آيات المواريث ، وحكم آيات الصدقات ، بل ينكرون بعض الصلوات ، وهكذا كان علمهم إنكاراً ، وتفكيرهم ضلالا . وأصل هؤلاء من منبوذي الهنود ، دخلوا في الاسلام ليفسدوه فضلّ سعيهم .. وساء مايفعلون ويقولون .

وقد وجدنا أتباعا لهذه النحلة الضالة المضلة في مصر ، ولكنهم يهمهمون بأقوالهم في مجالسهم ، ولا يعلنونها إلا لخاصتهم ، ونحن لهم بالمرصاد بعون الله وتوفيقه .

---

(١) انظر كتاب « السنة » للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي وكتاب « أبو هريرة » للدكتور عجاج الخطيب وكتاب (دفاع عن أبي هريرة) لعبد المنعم .

الفريق الثاني من هؤلاء لايظهرون إنكار حجية السنة ولكنهم يكثرون من التشكيك فيها وفي الرواة ، ويدعون انهم يريدون تنقيتها ، وأولئك منهم من يلبس العمائم ويتزيى بزي الإسلام ويتسربل بسربال علمائه ... ويقول : إنه تخرج من معاهد أقيمت للدراسة الإسلامية . وهؤلاء نقول لهم، بدل أن تطعنوا بالجملة : خصصوا، وادرسوا إن كنتم مخلصين ، وائتونا بمجموعة تقيمون الدليل فيها على عدم صدق النسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أما أن تلقوا القول على عواهنه، وتثيروا الغبار في الجو كله .. فإن ذلك يدل على فساد المقصد ، وسوء الطوية ، ويثبت أنكم لا تريدون للاسلام عزاً ، ولا لأحكامه تقريراً وتثبيتاً [1] .

ويبدو أن تاريخ هذه القولة الآثمة تاريخ أسود ملطخ ، فقد ذكر الأستاذ السيد رشيد رضا أن من أشهر الذين بحثوا في هذا الموضوع رجل يقال له ميرزا باقر ، وقد كان تنصر وصار داعية لمذهب البروتستانت ، ثم عني بدراسة سائر مذاهب النصرانية ومذاهب اليهود ، ثم عاد الى الاسلام باجتهاد جديد ، ودعا إليه في انكلترا [2] !! .

وقد سبق أن نشر (محمد توفيق صدقي المتوفى في ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م) وهو طبيب مصري ليس من أهل الاختصاص بالعلوم الشرعية مقالين في مجلة المنار في العددين : ٧ و١٣ من السنة التاسعة ، وقد رد عليه كل من الاساتذة الشيخ طه البشري [3] والسيد رشيد رضا(٤)

---

(١) من مقال له في مجلة « حضارة الإسلام » الدمشقية ، العدد (٥) السنة ٨ ص ٢٥ .

(٢) انظر ص ٢٢٤ من العدد ٧ السنة التاسعة من مجلة المنار .

(٣) انظر ص ٦٩٩ العدد التاسع من السنة التاسعة من مجلة المنار.

(٤) انظر ص ٥٢٤ من العدد ٧ السنة التاسعة وص ٩٢٥ من العدد ١٢ السنة التاسعة .

والدكتور مصطفى السباعي(١) رحمهم الله تعالى . وقد كتب السيوطي رسالة في هذا الموضوع عنوانها « مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة »(٢).

ولعل من المفيد أن نورد رأي ابن حزم والشاطبي في أمثال الذين يقولون بذلك، قال في « الإحكام » :

(ولو أن امرأ قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الامة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ، ولاحد للأكثر في ذلك وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال)(٣).

وقال الشاطبي :

(والرابع أن الاقتصار على الكتاب رأي قوم لا خلاق لهم خارجين عن السنة إذ عولوا على ما بنيت عليه من أن الكتاب فيه بيان كل شيء فاطرحوا أحكام السنة فأداهم ذلك إلى الانخلاع عن الجماعة وتأويل القرآن على غير ما أنزل الله)(٤).

ولكن عظمة الاسلام التي حطمت كل العقبات، وصمدت أمام كل العاديات، ستصون برعاية الله وعنايته هذا الإسلام، وسيبقى على وجه الدهر منارة خالدة تبدد ظلمات الجهل، والانحراف، والضلال، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)(٥) (والله غالب على أمره)(٦).

---

(١) انظر رده الرائع في كتابه « السنة » من ص ١٦٥ حتى ص ١٧٩ الطبعة الأولى

(٢) وهي مطبوعة في المجلد الثاني من مجموعة الرسائل المنيرية .

(٣) « الاحكام » ٢ ص ٨٠.

(٤) الموافقات أول الجزء الرابع

(٥) سورة الصف الآية ٨

(٦) سورة يوسف الآية ٢١

الفصل الرابع

تدوين السنة

تدوين السنة

يتردد على ألسنة بعض العامة ، ويروج ذلك نفر من المغرضين ، أن السنة لم تدون الا بعد مضي قرن من الزمان ، ويعتمدون في ذلك على أدلة واهية لا حجة لهم بها ، فهم يدعون أن الحديث لم يكتب لان العرب أمة أمية ولان الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة الحديث ، ولننظر في ذلك :

١ ــ ان أمية العرب أمر حقيقي واقعي ، دلت عليه الآيات القرآنية ، والاخبار التاريخية ، والآثار الادبية ، والاشارات الواردة في السنة والسيرة ، يقول تعالى : (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم) [١] .

ولكن هذا الوصف انما كان لانه الغالب على أبناء أمة العرب ، ولا يمنع من صدقه وجود أناس يقرؤون ويكتبون ، وهم قلة بالنسبة الى الامة .

ومن الشعراء الجاهليين من كان قارئا كاتبا ، ومن المعلوم الشائع أن كتبة الوحي كانوا بضعة و أربعين [٢] .

---

(١) سورة الجمعة ، الآية ٢ .

(٢) انظر في موضوع كتاب الوحي « البداية والنهاية » ٣٣٩/٥ ــ ٣٥٥ و « العجالة السنية على ألفية العراقي للسيرة النبوية » للمناوي ٢٤٤ ــ ٢٤٦ و « التراتيب الإدارية » ١١٥/١ ــ ١١٧ وانظر رسالة (كتاب النبي) لصديقنا الدكتور محمد مصطفى الأعظمي .

ويبدو أن مكة كانت أحسن حالا من غيرها من حواضر الجزيرة ، يدلنا على هذا ما جرى لأسرى بدر من أهل مكة ، عندما قبل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلم كل واحد من الاسرى عشرة من أولاد المسلمين ليفادي نفسه ويفكها .

اذن فالامية لا يكفي تقريرها والاعتراف بوجودها عندالعرب المسلمين لاثبات عدم تدوين السنة ، والا فكيف أجمع الناس على أن القرآن كتب عند نزوله ، والعرب أميون ؟ .

٢ ـ والحق أن المسلمين لم يدونوا الاحاديث في بادىء الامر ، امتثالا لامر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن أبي سعيدالخدري : « لا تكتبوا عني شيئا الا القرآن ، ومن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه » [١] .

وقد كان هذا في بادىء الامر لكيلا يختلط القرآن بالسنة ، وهم حديثو عهدٍ بالقرآن وأسلوبه ، ولم يذع القرآن ولم يجر على ألسنتهم بعد ، ولكن لما أن شاع القرآن بين المسلمين ، وأصبحوا يتلونه آناء الليل وأطراف النهار ، ويحكمونه في حياتهم بالتطبيق العملي ، ويقيمون مجتمعهم ودولتهم، نسخ ذلك النهي بأحاديث أخرى دلت على الإباحة ، قال السمعاني : (ان كراهية كتابة الاحاديث انما كانت في الابتداء كيلا تختلط بكتاب الله ، فلما وقع الامن عن الاختلاط جاز كتابته) [٢]

(١) انظر « صحيح مسلم » ٨ / ٢٢٩ .

(٢) انظر « ادب الاملاء والاستملاء » ص ١٤٦ .

أما الاحاديث التي نسخت حديث أبي سعيد ودلت على الاباحة فسنذكر بعضها فيما يلي :

فمن هذه الاحاديث مارواه البخاري ومسلم وغيرهما من أن أبا شاه اليمني التمس من رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ان يكتب له شيئا مما سمعه من خطبته عام فتح مكة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « اكتبوا لأبي شاه » [1] .

ومن هذه الاحاديث ماروا البخاري وغيره عن أبي هريرة انه قال : مامن اصحاب النبي صلى اللـه عليه وسلم أحد اكثر حديثا مني الا ما كان من عبد اللـه بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب [2] .

ومن هذه الاحاديث ماروا احمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن عبد اللـه بن عمرو قال : قلت لرسول اللـه صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أني اسمع منك الشيء فأكتبه . قال : « نعم » قال

---

(1) رواه البخاري في كتاب العلم في باب كتابة العلم ١/٢٨ وفي كتاب اللقطة في باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٣/١١٠ وفي كتاب الديات في باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين ٩/٦ . ومسلم في كتاب الحج في باب تحريم مكة وصيدها ٤/ ١١٠ واحمد في « مسنده » ٢/٢٣٨ وابو داود في «سننه» ٢/٢٨٦ و٣/٤٣٥ و ٤/٢٤١ والترمذي انظر « تحفة الاحوذي » ٣/٣٧٥ والخطيب البغدادي في « الكفاية » ١٠٢ ــ ١٠٣ وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » ١/٧٠ والرامهرمزي في « المحدث الفاصل » ٣٦٣ .

(2) اخرجه البخاري في كتاب العلم في باب كتابة العلم ١/٢٨ والترمذي انظر « تحفة الاحوذي » ٣/٣٧٥ .

عبد الله : في الغضب والرضى ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « نعم فاني لا أقول الا حقــا » [1] .

ومن هذه الاحاديث ما أخرجه البخاري ومســلم عن ابن عباس قال : لمــا اشتد بالنبي صلى اللــه عليه وسلم وجعه قــال : « ائتوني بكتاب ، أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعــده » [2] .

ومن هذه الاحاديث مارواه الترمذي عن أبي هريرة قال : كان رجل من الانصار يجلس الى رسول اللــه صلى اللــه عليه وســلم فيسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه . فشكا ذلك الى رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم . فقــال صلى اللــه عليه وسلم : « اســتعن

---

(1) اخرجه أحمد في « مسنده » في مواضع انظر (طبعة شاكر) ١٦٢/٢ و ٢٠/١٠ والاحــاديث ٦٥١٠ ـــ ٦٩٣٠ ـــ ٧٠٢٠ وانظر الطبعة الاولى ١٦٢/٢ و ١٩٢ وقال احمــد شاكر : اسناده صحيح . واخرجه ابو داود ٤٣٤/٣ والحاكم ١٠٥/١ والدارمي ١٢٥/١ وانظر « جــامع بيــان العلــم » ٧١/١ و « تقييد العلم » ٧٤ و « تأويل مختلف الحديث » ٢٨٦ .

(2) اخرجه البخاري في كتاب العلم في باب كتابة العلم ٢٨/١ وفي كتاب الجهاد في باب هل يستشفع الى اهل الذمة ٥٥/٤ وفي كتاب الجزية في باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ٧٨/٤ ـــ ٧٩ وفي كتاب المغازي في باب مرض النبي ووفاته ٩/٦ وفي كتاب المرضى في باب قول المريض قوموا عنــي ١٠٤/٧ وفي كتاب الاعتصام في باب كراهية الخلاف ٩٠/٩ ومســلم في كتاب الوصية في باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصــي فيــه ٧٥/٥ .

بيمينك » وأومأ بيده الى الخط [1] .

ولو نظرنا في هذه الاحاديث لوجدنا انها متـأخرة زمنا ، فأبـو هريرة رضى اللـه عنه من الذين دخلوا في الاسلام في وقت متأخر ؛ اذ اسلم في السنة السابعة للهجرة ، فقد قـدم المدينة ورسول اللـه صلى الله عليه وسلم في خيبر . وكذلك فان حديث أبي شاه كان في السنة الثامنة،إذ أن الفتح كان فيها ، مما يؤيد نسخ حديث أبي سعيد المتقدم.

ويقول بعضهم : إن النهي الوارد في حديث أبي سعيد كان لعامة الناس ، فيمكن ان يكون الرسول صلى اللـه عليه وسلم أذن بالكتابة لمـن كان يثق بضبطه ودقته ، وعدم خلطه بين القرآن والحديث كعبد اللـه بن عمرو .

وقد تعرض ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » الى التوفيق بين حديث أبي سعيد . وإذن الرسول صلى الله عليه وسلـم لابـن عمرو بكتابة الحديث فقال :

[ان في هـذا معنيين :

أحدهما : أن يكون من منسوخ السنة بالسنة ، كأنه نهى في أول

---

(1) قال الشيخ ناصر : اسناده ضعيف . اقول : انظـر « تحفة الاحوذي » ٣/٢٧٥ قال الترمذي : هذا حديث ليس اسناده بذلك القائم وسبب ضعفه الخليل بن مرة قال الترمذي : وسمعت محمد بن اسماعيل – يعني البخـاري – يقـول : الخليل بن مرة منكر الحديث . وذكر الذهبي في « ميزان الاعتدال » ١/٦٥٣ هذا الحديث من طريق خصيب بن جحدر وقد ضعف خصيبا البخاري والدار قطني واحمد وابن معين وشعبة والقطان .

الامر عن أن يكتب قولـه ، ثم رأى بعد ــ لما علم ان السنن تكثر وتفوت الحفظ ــ أن تكتب وتقيد •

والمعنى الآخر : أن يكون خص عبد الله بن عمرو] [1] ثم ذكر علة هذا التخصيص بأن ابن عمرو كان متقنا ضابطا يعرف السريانية والعربية ويكتب بهما ، فمثله يؤمن غلطه بخلاف غيره ممن لم يتقنوا الكتابة [1] •

وهناك من يؤول حديث النهي الذي رواه أبو سعيد بأن المنع هو من كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة • وقد أورد الخطابي هذا القول بعد ان قرر النسخ فقال :

(وقد قيل : انه انما نهى ان يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لئلا يختلط به ، ويشتبه على القارىء • فأما ان يكون نفس الكتاب محظورا، وتقييد العلم بالخط منهيا عنه فلا)[2] •

وهناك من يؤوله على ان ذلك خاص بمن وثق بحفظه أما من لم يثق بحفظه فله ان يكتب •

وهناك من أعل حديث أبي سعيد بانه موقوف ، وهذا غير جيد ، فالحديث متصل صحيح •

---

(1) « تأويل مختلف الحديث » ص ٢٨٧ طبعة النجار .

(2) « معالم السنن » ٥/٢٤٦ بتحقيق محمد حامد الفقي . وطبعة حلب ٤/١٨٤ اقول : ويخطىء بعض طلبة العلم فينسبون هذا القول للخطابي ، والحق انه أورده بصيغة التمريض ، وقرر قبل ان يورده النسخ فقال : (يشبه ان يكون النهي متقدما وآخر الامرين الاباحة) فتنبه لذلك . والله أعلم .

ومما يؤيد نسخ الاحاديث السابقة لحديث أبي سعيد ما استقر عليه العمل عند اكثر الصحابة والتابعين من كتابة الحديث . أما القلة من الصحابة [1] والتابعين الذين كانوا يكرهون كتابة الحديث فلهم رأيهم ، وقد يكون عذر بعضهم انه لم يبلغهم أحاديث النسخ (ثم جاء اجماع الامة القطعي ـ فيما بعد ـ قرينة قاطعة على ان الإذن هو الامر الاخير ، وهو اجماع ثابت بالتواتر العملي عن كل طوائف الامة بعد الصدر الاول) [2] .

وقال القاضي عياض : [ووقع عليه بعد هذا الاتفاق والاجماع من جميع مشايخ وأئمته وناقليه] [3] .

وقال أيضا : [والحال اليوم داعية للكتابة لانتشار الطرق وطول من جميع مشايخ العلم وأئمته وناقليه] [3] .

وقال الرامهرمزي : [فأما والوقت متباعد ، والاسناد غير متقارب ، والطرق مختلفة ، والنقلة متشابهون ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فان تقييد العلم بالكتاب اولى وأشفى والدليل على وجوبه أقوى] [5] .

---

(1) من امثال الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم .

(2) « الباعث الحثيث » ص ١٣٣ ط ٣ .

(3) « الالماع » ص ١٤٧ .

(4) « الالماع » ص ١٤٩ .

(5) « المحدث الفاصل » ٣٨٦ .

اذن فقد بدأت كتابة الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بعض الصحابة بشكل محدود ، وقد ترك عدد منهم صحفا ضاع معظمها .

ومن أشهر هذه الصحف صحيفة عبد الله بن عمرو التي كان يسميها الصادقة [1] وقد جاءت في « مسند أحمد » .

ومن أشهرها صحيفة أبي هريرة التي كتبها همام بن منبه [2] ، فعرفت به فقيل صحيفة همام وقد عثر على نسختين مخطوطتين منها الدكتور محمد حميد الله في دمشق وبرلين ونشرها المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيقه ، وعدد أحاديثها ١٣٨ حديثا ، وقد جاءت هذه الصحيفة برمتها في « مسند الامام أحمد » .

ونقل النووي عن البيهقي أن البخاري ومسلما اتفقا على أحاديث من صحيفة همام بن منبه وأن كل واحد منهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع ان الاسناد واحد [3] وذكر النووي ان من خصائص

---

(١) انظر ذكرها في « تأويل مختلف الحديث » ٧٧ ــ ٧٨ ، و «طبقات ابن سعد» ١٢٥/٢ ط ليدن القسم الثاني ، و« جامع بيان العلم » ٧٢/١ و « سنن الدارمي » ١٢٧/١ و « المحدث الفاصل » ٣٦٦ ــ ٣٦٧ و « تقييد العلم » ٨٤ .

(٢) قال الخزرجي في « الخلاصة » في ترجمته : (... أبو عقبة الصنعاني اليماني روى عن ابي هريرة نسخة صحيحة ، وعن معاوية وابن عباس وطائفة .. وثقه ابن معين . قال ابن سعد : مات سنة احدى وثلاثين ومائة) .

(٣) « شرح صحيح مسلم » للنووي ٢٤/١ .

مسلم الدقة في رواية أحاديث صحيفة همام بن منبه فهو لا يرضى أن يروي كل حديث بالسند المذكور فيها . وانما كان يذكر السند ويقول : فذكر أحاديث منها كذا [١] .

التدوين في عصر الراشدين :

كان التدوين في عهد الخلفاء الراشدين عملا فرديا يقوم به الصحابة [٢] الذين يرون جواز الكتابة وتلامذتهم من التابعين الذين يروون أحاديثهم .

ولقد طرحت فكرة (جمع السنة من قبل الدولة) على البحث في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واستشار الصحابة في ذلك ، ويبدو ان عددا من الصحابة أشار عليه بكتابة الحديث ، ولبث شهرا يستخير الله في ذلك ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال : « اني كنت قد تذكرت من كتاب [٣] السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت ، فاذا اناس من أهل الكتاب قبلكم ، قد كتبوا مع كتاب الله كتبا ،

---

(١) « شرح مسلم » للنووي ٢٢/١ وضرب النووي على ذلك مثلا تجده في صحيح مسلم ٢١٢/١ ط فؤاد عبد الباقي .

(٢) يقول محمد مصطفى الاعظمي في مقدمة « دراسات في الحديث النبوي » ص٧ : (فوجدت بالبحث .. أما الصحابة الفوا الكتب في الموضوعات العديدة) .

(٣) أي كتابة ، فكتاب وكتابة وكتب مصادر للفعل كتب .

فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب اللـــه ، واني واللــه لا ألبس كتـــاب اللـــه بشيء أبـــدا » [1] .

ويبدو أن موضوع كتابة القـــرآن في الصحف ثم كتابته فـــي المصحف شغل بال الخلفاء الثلاثة رضي اللـــه عنهم ، حتى اســـتطاع عثمان ان ينجز كتابة المصحف [2] ، فلم يكونوا يـــرون ان يشـــغلوا أنفسهم بشيء غير كتابة القرآن ، هذا مع انشغالهم بالفتوحـــات التي كادت تشمل الدنيا المعمورة في ذاك العهـــد .

أما الخليفة الرابع علي رضي اللـــه عنه فقد كانت مـــدة خلافته مشحونة بالحـــروب والخلافات التي شغلته كثيرا ، واستأثرت بكثير من اهتمامه ، ولم تتح له الظروف الصعبة القلقة التي عاناها ان يتفرغ لمثل ذلك ، اذ المعروف انه كان يرى جواز الكتابة [3] وانه كان لديه صحيفة تتضمن بعض الاحكام التي سمعها من النبي صلى اللـــه عليه وسلم .

هذا وكان رأي عدد من الصحـــابة جواز الكتابة ، ومن أشهرهم عبد اللهبن عمرو ، وأنس بن مالك وابن عباس وابن مسعود وغيرهم [4] .

---

(١) « جامع بيان العلم » ١/٦٤ و « تقييد العلم » ص ٥٠ وانظر « طبقات ابن سعد » و « كنز العمال » .

(٢) انظر في هذا كتابنا « لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير » ص ٦٩ ــ ٨٣ .

(٣) هذا وهناك خبر يدل على ان عليا كان يامر بمحو الاحاديث المكتوبة ذكره ابن عبد البر في « جامع بيان العلم » ١/٦٣ فلتحقق صحته .

(٤) انظر « جامع بيان العلم » ١/٧٠ ــ ٧٦ .

واود ان اقرر ان تلك المحاولات الفردية لكتابة الحديث لم تكن مستوعبة الحديث كله ، وأن الرواية الشفوية هي العمدة في هذه المرحلة .

يقول ابن حجر في « مقدمة فتح الباري » :

[اعلم علمني الله واياك أن آثار النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن في عصر أصحابه وكبار تابعيهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة . . .] [1] .

عصر التابعين ومن بعدهم :

ما زال نفر من الناس يكره الكتابة في هذا العصر . معتمدين في ذلك على الحديث المتقدم ذكره عن أبي سعيد ، ووافقهم عدد من الصحابة الذين يشاركونهم الرأي . ولكن حدث في هذا العصر أمران جعلا جمهور التابعين يرضون بالكتابة وهونا على كثير منهم أن يكتب الحديث .

أما أولهما : فهو تبني الدولة موضوع كتابة الحديث وذلك عندما قام الخليفة الصالح العادل عمر بن عبد العزيز [2] بالعزم على تدوين السنة : قال البخاري في « صحيحه » في كتاب العلم : (وكتب عمر بن عبد العزيز الى أبي بكر بن حزم [3] انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فاني خفت دروس

---

(١) « هدي الساري » ص ٦ .
(٢) بويع بالخلافة في صفر ٩٩ هـ وتوفي في رجب ١٠١ .
(٣) نائب عمر في الامارة والقضاء على المدينة . قال مالك : لم يكن احد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند ابن حزم .

العلم وذهاب العلماء) [١] . وهذا طبيعـي اذ أن الفتوح الاسلامية العظيمة انما كانت زمن الامويين . والفتوح وقودها الرجال .

وكان أول من استجاب لهذا الطلب الرسمي عالم الحجاز والشام محمد بن مسلم بن شهاب [٢] الزهـري ت (١٢٤) الذي دون لـه في ذلـك كتابـا [٣] .

وكذلـك كتب عمر الى عمالـه في أمهـات المدن الاسـلامية لجمـع الحـديث .

وقـد جـاء في « الرسالة المستطرفة » ان عمر بن عبـد العزيز توفي قبل أن يبعث إليه أبو بكر ما كتبه [٤] .

وأمـا ثانيهما : فتخوف علماء التابعين من اختـلاط الحـديث الصحيح بالضعيف والموضوع المدسوس .

كان هذان الامران عاملين رئيسيين حملا كثيرا ممن كان يكـره الكتابة ورعا على أن يتراجع عن رأيـه .

وميزة التدوين في هذا العصر أن الحـديث كان ممزوجا غـالبا بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين كما في « موطأ مالـك » [٥] .

---

(١) انظر « صحيح البخاري » ١/٢٦ باب كيف يقبض العلم .
(٢) انظر في ابن شهاب « الحلية » ٣/٣٦٠ و « السنة ومكانتها في التشريع » للسباعي ٢٠٦ ـ ٢٢٦ الطبعة الثانية .
(٣) انظر « تدريب الراوي » ص ٤١ و « قواعد التحديث » ٤٦ ـ ٤٧ و « مفتاح السنة » ٢٠ .
(٤) « الرسالة المستطرفة » ص ٣ ـ ٤ .
(٥) قال الحافظ ابن حجر : (ان كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده) ومالك هو الامام الشهير ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي ١٧٩ هـ .

العصر الذهبي لتدوين السنة :

بعد انقضاء عصر التابعين عني العلماء بإفراد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وحدها وتجريدها من الفتاوى وأقوال الصحابة والتابعين ، فكانت كتب عديدة في السنة وكان منها المسانيد وهي كتب تورد الاحاديث خالية من فتاوى العلماء وهي مرتبة على حسب أسماء رواتها من الصحابة .

ولعل أول من ألف في ذلك أبو داود الطيالسي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ . قال ابن حجر : [.. رأى بعض الائمة منهم ان يفرد حديث النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وذلك على رأس المائتين فصنف عبيد الله بن موسى العبسي مسندا ، وصنف مسدد بن مسرهد البصري مسندا ، وصنف اسد بن موسى الاموي مسندا ، وصنف نعيم بن حماد الخزاعي نزيل مصر مسندا ، ثم اقتفى الائمة بعد ذلك أثرهم ، فقل إمام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة وغيرهم من النبلاء ، ومنهم من صنف على الابواب والمسانيد معا كأبي بكر بن أبي شيبة] [1] .

وسنتحدث عن المسانيد حديثا أكثر تفصيلا في بحثنا عن كتب الحديث وسنرى هناك أن مسند الامام أحمد يعتبر أوفى تلك المسانيد .

ولكن ما ان جاء القرن الثالث الذي يعتبر العصر الذهبي لتدوين

---

(١) « هدي الساري » ص ٦ .

السنة حتى نجد جهابذة أفذاذا وعلماء عمالقة أصحاب طاقات ضخمة ، يقفون حياتهم وجهودهم على طلب السنة والرحلة من أجلها ويحفظون ويكتبون ، نعد من هؤلاء البخاري ومسلما والترمذي وأبا داود والنسائي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأمثالهم .

الرحلة في طلب الحديث :

ومما يتصل بتدوين الحديث الرحلة في طلبه ، ويبدو أنها أمر طبيعي يتلازم وطلب العلم ، ولقد بدأت الرحلة في وقت مبكر حتى ان بعض الصحابة رحلوا في طلب الحديث ، ونمت الرحلة في عصر التابعين وتابعيهم ومن بعدهم ، حتى اضحت الرحلة شيئا لا بد منه لطالب العلم .

ويستدلون على طلبها وفضلها بقول الله تعالى : (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) [1] قال القاضي عياض : فهذا اصل في وجوب طلب العلم والرحلة في طلب السنن [2] وبقوله صلى الله عليه وسلم : « ومن سلك طريق يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة»[3] ونقل الخطيب بسنده الى ابراهيم بن أدهم قوله : (ان الله تعالى يدفع البلاء عن هذه الامة برحلة أصحاب الحديث) [4] . ونشأ فيما

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .
(٢) « الالماع » للقاضي عياض ص ٨ وانظر « شرف اصحاب الحديث » ص ٥٩ .
(٣) « صحيح مسلم » ٧١/٨ وهو قطعة من حديث طويل جميل .
(٤) « شرف أصحاب الحديث » صفحة ٥٩ .

بعد حافز جديد ، يستدعي الرحلة ، وهو طلب العلو في الاسناد والتحقق من صحة الحديث .

ولن نستطيع في حدود هذه الكلمة الموجزة ان نوفي موضوع الرحلة حقه من البحث والاستقصاء ، ولذلك فسنقتصر على ذكر بعض الامثلة .

ذكر البخاري تعليقا أن جابر بن عبد الله رحل مسيرة شهر الى عبد الله بن أنيس في حديث واحد [1] . وقال ابن حجر : (وهو حديث أخرجه المصنف في « الادب المفرد » وأحمد وأبو يعلى في مسنديهما من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني عن رجل حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتريت بعيرا ، ثم شددت رحلي فسرت اليه شهرا ، حتى قدمت الشام فاذا عبد الله بن أنيس ، فقلت للبواب : قل له جابر على الباب ، فقال : ابن عبد الله ؟ قلت : نعم . فخرج ، فاعتنقني . فقلت : حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخشيت أن أموت قبل أن أسمعه . فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر الله الناس يوم القيامة عراة ... » فذكر الحديث) [2] .

وأخرج الحاكم بسنده الى عطاء بن ابي رباح قال : خرج ابو أيوب الى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى

---

(١) « صحيح البخاري » ٢٢/١ باب الخروج في طلب العلم .

(٢) « فتح الباري » ١٧٤/١ وانظر أمثلة عديدة ذكرها ابن حجر في هذه الصفحة والتي تليها وانظر الحديث في « جامع بيان العلم » ٩٣/١ و « الادب المفرد » .

الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله غيره وغير عقبة . فلما قدم الى منزل مسلمة بن مخلد الانصاري ـ وهو أمير مصر ـ فأخبره ، فعجل عليه ، فخرج اليه فعانقه . ثم قال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله . قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة . فأخبر عقبة . فعجل فخرج اليه فعانقه فقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق احد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري وغيرك في ستر المؤمن . قال عقبة : نعم . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من ستر مؤمنا على خزية ستره الله يوم القيامة » فقال ابو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب الى راحلته فركبها راجعا الى المدينة . فما ادركته جائزة مسلمة بن مخلد الا بعريش مصر [1] .

وروى الحاكم عن يحيى بن معين قوله :

« أربعة لا تؤنس منهم رشدا :

حارس الدرب، ومنادي القاضي . وابن المحدث . ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث » [2] .

---

(١) « معرفة علوم الحديث » ص٧ـ٨ وانظر الحديث في « جامع بيان العلم » ١/٩٣ ـ ٩٤ وانظر « كتاب العلم » لزهير بن حرب تحقيق محمد ناصر الدين الالباني ص١١٧ رقم الحديث ٣٣ وانظر « المسند » ٤/١٠٤ .

(٢) « معرفة علوم الحديث » ص ٩ .

ـ وروى ابن عبد البر عن مالك أن سعيد بن المسيب قال:

« إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد » (١)

ـ وروى الدارمي عن أبي العالية أنه قال :

« كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نرض حتى ركبنا الى المدينة فسمعناها من أفواههم »(٢)

ـ وقد عقد الرامهرمزي باباً ذكر فيه العلماء الذين رحلوا في طلب الحديث فجمعوا بين الأقطار ورتبهم طبقات وبدأ بذكر عبد الله بن المبارك (٣) وانتهى بذكر أحمد بن عمير المعروف بابن الجوصاء (٤). ثم ذكر العلماء الذين قصدوا ناحية واحدة للقاء من بها .

ـ وكان من أثر الرحلة شيوع العلم في أمصار الاسلام وتعارف أهل العلم المتعاصرين حتى أصبحوا كأنهم في بلد واحد بل أفراد أسرة واحدة .

هذا وقد خصّ البغدادي موضوع الرحلة بكتاب هو « الرحلة في طلب الحديث » وقد نشره الأستاذ صبحي السامرائي ضمن « مجموعة رسائل في علوم الحديث » ، وطبع في القاهرة سنة ١٣٨٩ هـ .

---

(١) « جامع بيان العلم » ص ٩٤ وانظر هناك اخبارا عدة في هذا الموضوع .

(٢) « سنن الدارمي » ١/١٤٠ .

(٣) « المحدث الفاصل » ص ٢٢٩

(٤) « المحدث الفاصل » ص ٢٣١

البَابُ الثّاني

البلاغة النبويّة
ومكانة السّنة في اللغة والأدب



الفصل الأول

بلاغة الحديث النبوي وأسبابها

الحديث النبوي في الذروة من البيان ، ولايرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة . وما أجود ما قال الجاحظ في شأنه :

(هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف .. واستعمل [1] المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب والوحشي ، ورغب عن الهجين السوقي . فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، وشيد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق ، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة ، وغشّاه بالقبول ، وجمع له بين

---

(١) الضمير هنا يعود الى كلمة « الرسول » المذكورة في الكلام الذي حذفناهوأشرنا الى حذفه بهذه النقط .

(٢) الفلج : الفوز والغلبة .

المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام ، وقلة عدد الكلام ... لم تسقط له كلمة ، ولازلت به قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولاأفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ... ولايحتج إلا بالصدق ، ولايطلب الفلج[1] إلا بالحق ، ولايستعين بالخلابة ... ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أقصد لفظاً ، ولا أعدل وزنا ، ولاأجمل مذهباً ، ولاأكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى ، من كلامه صلى اللـه عليه وسلم)[2] .

وقال الجاحظ بعد أن وصف فصاحته صلى الله عليه وسلم :

(ولعلَّ بعض من يتسع في العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن أنا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ، ومن التزين والتجويد ، ما ليس عنده ، ولا يبلغه قدره كلاّ والذي حرَّم التزيد على العلماء ، وقبح التكلف عند الحكماء ، وبهرج الكذابين عند الفقهاء ، لا يظنّ هذا إلا من ضل سعيه[3] .)

وقال أبو حيان يصف بلاغة السنة :

(والثاني سنة رسول الله ،فإنها السبيل الواضح ،والنجم اللائح ، والقائد الناصح ، والعلم المنصوب ، والأمم المقصود ، والغاية في البيان والنهاية في البرهان . والمفزع عند الخصام ،والقدوة لجميع الأنام)[4] .

---

(١) الفلج : الفوز والغلبة .

(٢) « البيان والتبيين » ١٧/٢ .

(٣) البيان والتبيين ١٨/٢ وانظر كتاب «محمد رسول الله » للعلامة محمد الخضر حسين ص ٨٠ .

(٤) « البصائر والذخائر » ٨/١ .

وفصاحته صلى الله عليه وسلم أمر لايشك فيه عاقل ، ذلك أن القوم الذين أرسل اليهم هم أئمة البيان وهم في خصومته قوم لد ، لاتنقطع بهم حجة ، ولا يعوزهم منطق بليغ ، قد نعتوا الرسول بأوصاف عديدة كيداً ومخاصمة ، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته ، لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية زائفة باطلة لدى دهماء الناس جميعاً .

وهو صلى الله عليه وسلم أفصح العرب ، لكن الفرق بينه وبين الفصحاء يتفق مثله في الناس ، ويبقى في حدود الطاقة البشرية ، وليس أمرا خارقاً للعادة بالكلية ، بل إن الفرق بينه وبين الفصحاء يشبه الفرق بين البليغ والأبلغ ... والحسن والأحسن ... ولذا فقد استطاع بعضهم أن يأتي بقريب من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك يفسر وجود الحديث الموضوع ، إذ أن هؤلاء الوضاعين كانوا يتحرون احتذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوبه وخصائصه البيانية .[1]

٢ ـ وإن للنشأة اللغوية التي نشأها صلى الله عليه وسلم تأثيراً في فصاحته ، فهو من قريش ، وأخواله من بني زهرة ، واسترضع في بني سعد بن بكر ، وخالط في حياته بطون قريش والأنصار ، فكانت هذه النشأة مراناً حياً ، بأحسن الأساليب ، وأفصح اللهجات في العرب قاطبة .

٣ ـ هذه النشأة اللغوية النقية الخالصة صقلت تلك الموهبة الفذة التي لا نظير لها في المواهب البشرية ...

وتتمثل هذه الموهبة في فطرة صافية ، وذهن جوال ، وبصر

---

(١) انظر « النبأ العظيم » ص١٠٢ وما بعدها . وانظر كلمة ابن الجوزي في « الموضوعات » ١/٣١ .

نفاذ ، ونفس مجتمعة فاضلة ، وإحساس دقيق مرهف ، وبديهة حاضرة .

وليس غريباً أن يجتمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته وهو سبحانه يصنع رسله على عينه بما تقتضيه حكمته .

٤ ـ وكذلك فإن الذي مكّن لفصاحته صلى الله عليه وسلم أن تنمو وتقوى، ويشتد أسرها تأثر الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب القرآن الكريم ، وذلك أمر طبيعي جلي، فعلى قلبه المتصل بجلال الله تنزل القرآن (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)[١] ومن لسانه تلقاه المسلمون (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ..)[٢] وبأمره سجله الصحابة وكتبوه . وبالقرآن كان صلى الله عليه وسلم يحكم بين الناس (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)[٣] ومهمته صلى الله عليه وسلم شرحه وبيانه للناس (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)[٤] وبتلاوته أمر فكان يقرؤه آناء الليل وأطراف النهار (وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن)[٥] (أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة)[٦] .

فلا غرو أن يتأثر به الرسول وأن يتخرج من مدرسته ، ولقد وصفت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان

---

(١) الشعراء ١٩٤
(٢) المائدة ٦٧
(٣) المائدة ٤٩
(٤) النحل ٤٤
(٥) النمل ٩١ ـ ٩٢
(٦) العنكبوت ٤٥

خلقه القرآن [1].

وقد ذكر الأستاذ محمد الخضر حسين حديثا نبويا في وصف السحابة جعل رجلاً يقول له : يارسول الله ما أفصحك ، ما رأينا الذي هو أعرب منك فقال صلى الله عليه وسلم : «حق لي فإنما أُنزل القرآن عليَّ بلسان عربي مبين» [2] .

ومن الأمثلة على تأثره بأسلوب القرآن قوله «إن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون» [3] وقوله « .. حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» [4] .

---

(1) رواه مسلم والنسائي واحمد وانظره في « البداية والنهاية » ٦ / ٣٥ .

(2) « محمد رسول الله » للشيخ محمد الخضر حسين ص ٨٠ .

(3) رواه مسلم عن ابي سعيد وانظره في رياض الصالحين ص٥٢ باب التقوى

(4) رواه البخاري ٤/١٦٠

الفصل الثاني

أداء الرسول ﷺ للحديث

لقد توافرت للحديث كل أسباب الجودة وسنحاول فيما يأتي إيضاح ذلك في : الأداء ، والمعنى ، والأسلوب .

ونتحدث أولاً عن الأداء :

لم تكن فصاحته صلى الله عليه وسلم مقصورة على جودة الأسلوب ، وعمق المعنى ، بل جاوزت ذلك إلى الأداء ، فكان صلى الله عليه وسلم ضليع الفم ، يستعمل فمه جميعه اذا تكلم ، ولا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب ، وكان عليه الصلاة والسلام طويل السكوت ، لا يتكلم في حاجة ، وإذا تكلم لم يسرد سردا ، بل فصل وتمهل وأبان ورتل .

روى البخاري والترمذي عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، واذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً .[1] ولو أراد العادّ أن يحصي كلماته لأحصاها .[2] وكان كلامه فصلاً يفهمه كل من سمعه .[1] وتقول السيدة عائشة : إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم .[3]

---

(١) انظره في « رياض الصالحين » باب استحباب بيان الكلام وايضاحه للمخاطب ص٣٠٧ وانظر أيضا « تحفة الأحوذي » ٣٠٤/٤ .

(٢) « صحيح البخاري » ١٥٢/٤

(٣) متفق عليه ، اخرجه البخاري ١٥٢/٤ ومسلم ١٦٧/٧ و « تحفة الاحوذي » ٣٠٤/٤ .

وكان يعطي الكلام ما يستحق من اللهجة حتى ان ما يختلج في صدره كان يبدو على وجهه ، وصفه جابر فقال : « كان اذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه ، كأنه منـذر جيش يقول : صبحكم ومساكم » [1] .

وكان لحركته واشارته موضع كبير في اجادة الاداء ، فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبه الغافل ، وتعين على الحفظ والتذكر .

فاذا أراد ذكر القلب مثلا اشار الى صدره ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم « التقوى ههنا » [2]...

واذا أراد الملازمة أشار بسبابته والتي تليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما [3] .

واذا أراد وصف رضاع الطفل وضع سبابته في فيـه ، كمـا في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم : (ثم أقبل على ثـدي ه فجعل يرضع) يقول راوي الحديث : « فكأني أنظر الـى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها » [4].

---

(١) رواه مسلم ١١/٣ وذكره النووي في « رياض الصالحين » باب النهي عن البدع ص ٩٥ .

(٢) رواه مسلم ١١/٨

(٣) رواه البخاري وانظره في « رياض الصالحين » في باب ملاطفة اليتيم ص ١٣٧ .

(٤) انظره في « رياض الصالحين » في باب فضل ضعفة المسلمين ص ١٣٥ .

واذا أراد أن يؤكد أهمية الموضوع . غير جلسته كما في حديث شهادة الزور « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » .. قلنا : « بلى يارسول الله» ... قال : « الاشراك بالله وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور » . فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت [1]

وكان ينفعل بكلامه فيبتسم اذا كان في حديثه ما يوجب ذلك ، ويبكي اذا كان في كلامه ما يوجب ذلك [2]

وكان لشخصية الرسول الجذابة أثر كبير في كون الاداء قد بلغ الذروة ، فقد ورد في وصفه صلى الله عليه وسلم أن له هيبة وجلالا فاذا تكلم بين أصحابه كانوا كأن على رؤوسهم الطير [3] .

---

(1) رواه البخاري ومسلم وانظره في « رياض الصالحين » في باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور ص ٥٦٧ . و « تحفة الأحوذي » ٢٥٥/٣ .

(2) يدل على ذلك احاديث كثيرة

(3) « سنن أبي داود » ٦/٤

الفصل الثالث

معاني الحديث

ان في معاني الحديث صفات عديدة قل أن تجتمع في كلام سواه .
ومن هذه الصفات الغنى في الافكار ، والعمق ،والجدة ، والاحكام والانسجام والتسلسل ، والغوص في اغوار النفس الانسانية وملامسة أبعاد هذه النفس ، مما مكن لهذه المعاني أن تكون خالدة على وجه الدهر .

ولنتحدث بايجاز عن كل صفة من هذه الصفات :

١ ـ نرى في الحديث النبوي غنى مدهشا في الافكار والمعاني ، فمعاني الحديث الواحد كثيرة متنوعة ، ومما يدل على ذلك ما نجده في استنباط العلماء للافكار والاحكام العديدة من الحديث الواحد . وهذه الظاهرة عامة في معظم الاحاديث اذ نجد أن المعاني تزدحم في العبارة الحديثية .

اما اذا نظرنا الى معاني الاحاديث بشكل عام وجدنا غنى في هذه المعاني رائعا . ذلك أن السنة لم تترك معنى من معاني الحياة والعقيدة والتشريع والخلق الا وقررته وفصلت فيه القول على نحو يتم فيه هدف القرآن من اقامة المجتمع الافضل .

ان غنى معاني الحديث بهذا المفهوم الاخير ليدل على عظمة الاسلام الذي يتضمن النظرية الوحيدة القادرة على حل كل مشاكل الانسان المادية والمعنوية بدقة وتوازن واحكام .

٢ ــ وأما عمق هذه الافكار فذلك واضح من موازنة معاني الحديث بمعاني الشعر الجاهلي او السجع المعروف في ذلك الزمان . اننا نلمس في الحديث الحقيقة مجردة واضحة بينة ، ولا يدع الحديث جانبا من الفكرة مهما دق دون أن يسلط عليه الانوار الكاشفة ، ولا عجب في ذلك لانه قبس من نور الله الوضاء . وها هو ذا الحديث بفضل عمق معانيه يحقق سبقا في مجالات عديدة وقف الناس اليوم على بعضها وما تزال الايام المقبلة تحمل كثيرا من هذه الموافقات [١] .

وهكذا فان الحديث أدب عميق كلما أمعنت النظر فيه وقفت منه على جديد ، وما أجمل كلمة الرافعي فيه : (انه كلام كلما زدته فكرا زادك معنى) [٢] .

٣ ــ الجدة : معظم ما في هذه الاحاديث من معان جديدة جدة فاجأت الدنيا كلهاو لم تفاجىء العرب وحدهم ، فالدعوة الى المساواة دون تمييز معنى جديد ، نأخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله

---

(١) الامثلة على ذلك كثيرة منها ما يقرره علماء الاجتماع من أن المجتمع كالجسم وهذا ما قرره الحديث العظيم العميق « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخاري ٩/٨ . وانظر كتاب « علم الاجتماع » للدكتور عبد الكريم اليافي .

(٢) وحي القلم ج ٣ ص ٨

أتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى » انه معنى جديد بالنسبة الى الحضارات الفكرية القديمة كالحضارة اليونانية والرومانية،وجديد بالنسبة الى الحضارة الحديثة كحضارة اوروبا،وقد زعمت فرنسا أنها قررت معنى المساواة لأول مرة في ثورتها، ولكن تاريخها الاسود في بلاد الشام والجزائر يقيم الادلة العديدة على كذبها ودجلها .

انها جدة لا تبلى على تقدم الايام .. انها جدة انطلقت من حدود الزمان والمكان ، فالناس في كل زمان وفي كل مكان يجدون الحديث كأنه قيل لهم ، يعالج مشاكلهم ويحلها ، وينير لهم جوانب الطريق في درب الحياة الطويل ... وبهذه الصفة كان الحديث النبوي أدبا يفوق آداب الدنيا جميعا لانه أدب العصور .

٤ ـ الاحكام : يروعنا في معاني الحديث ما نلاحظه فيها من الاحكام، ونريد بالاحكام ان يكون المعنى صحيحا في نفسه ، مصيبا الحقيقة ذاتها ، فيلازم المعنى المؤدى الحق مهما تغيرت الاحوال وتبدلت الظروف ويكون صادقا أبدا ، لا يتحقق في زمن لأوضاع معينة ومناسبات موقوتة ، ثم تفارقه صفة الصدق اذا جدت أوضاع ومناسبات أخرى ، وكذلك نريد بالاحكام ان يكون المعنى ملما بالحقيقة من كل اطرافها ، فلا تفوته ناحية ولا يند منه جانب ، ومما يتصل بالاحكام ايضا الدقة المتناهية والانسجام والتوافق والتسلسل ، فكلامه صلى الله عليه وسلم بريء من التنافر والتناقض والاختلاف ، وقد بلغت المعاني النبوية من الاحكام والانسجام والتسلسل مبلغا عظيما يجعل جزئيات

معاني الحديث الواحدمترابطة محبوكة يشد بعضهـا الى بعض تماسك متين ، فكل جزئية من المعنى متممة لما قبلها ، ممهدة لمـا بعـدهـا .

ولنقرأ هذا الحديث : « ان الصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عنـد اللـه صديقا ، وان الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجـور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللـه كذابا »[1] .

والحديث : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم » [2] .

ويمكن اعتبار الاستقصاء من الدقة والاحكام ، وكثيرا ما نجد في الحديث استقصاء رائعا للحالات الممكنة او المتصورة والحديث الآتي شاهد مناسب لذلك ... « بادروا بالاعمـال سبعا هـل تنتظرون الا فقرا منسيا ، او غنى مطغيا ، او مرضا مفسدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، او الساعة فالساعة ادهى وأمر ؟ » [3] .

---

(۱) متفق عليه ، وانظره في رياض الصالحين ص ٤٤ .

(۲) رواه مسلم ، وانظره في رياض الصالحين ص ٣٥٦ .

(۳) رواه الترمذي عن أبي هريرة ٢٥٧/٣ وقال : هذا حديث غريب حسن ، لا نعرفه من حديث الاعرج عن ابي هريرة الا من حديث محرز بن هارون . وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٧٤/٤ : رواه الترمذي من رواية محرر ويقال محرز بالزاي وهو واه عن الاعرج ، وانظر « ميزان الاعتدال » ٤٤٣/٣ .. وقال الشيخ ناصر : اسـناده ضعيف ، بيانه في « سلسلة الاحاديث الضعيفة » « ١٦٦٦ » .

وهكذا يتضح لنا أن معاني الحديث محكمة منسجمة قد خلا من كل ما لا صلة له بالمعنى ، ويبدو الحديث ـ على إيجازه واحكامه ـ مبسوط المعنى باجزائه .. ليس فيها اضطراب ولا نقص ولا احالة ... حتى كأن تلك الالفاظ القليلة انما ركبت تركيبا على وجه تقتضيه طبيعة المعنى في ذاته ، وطبيعته في النفس الانسانية ، فمتى وعاها السامع ، واستوعبها القارىء ، تمثل المعنى في نفسه على حسب ذلك التركيب ، فوقع اليه تاما مبسوط الاجزاء ، وأصاب هو من الكلام معنى عميقا ، حتى كأن هذا الكلام قد انقلب في نفسه احساسا يحسه ويحياه [1] .

٥ ـ ومعاني الحديث تغوص في أغوار النفس الانسانية ، وتلامس أعماقها وابعادها ، وتؤثر فيها تأثيرا عظيما . ان حديثا واحدا كان يكفي لتغيير حياة انسان تغييرا جذريا أصيلا ، وكان يكفي ليصوغه من جديد ، لان معانيه كانت تهز وجدانه هزا عنيفا ، وتؤثر فيه ، وتتغلغل في أعماق نفسه ، ولـذا فان أثر الحديث مستمر .

ومصداق ذلك هذا الحديث : عن النواس بن سمعان قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم ، فقال : « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس » [2] .

---

(١) انظر « تاريخ آداب العرب » للرافعي ٢/٣٦٠ أو « اعجاز القرآن له » ص ٣٧٤ .

(٢) رواه مسلم ٨/٧ واحمد في « المسند » ٤/١٨٢ والترمذي ٣/٢٨٢ والحاكم في « المستدرك » ٢/١٤ وانظره في « الاربعين النووية » الحديث السابع والعشرين .

وعن وابصة بن معبد قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « جئت تسأل عن البر ؟ » قلت : نعم ، قال « استفت قلبك . البر ما اطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والاثم ما حاك في النفس ، وتردد في الصدر ، وان أفتاك الناس وأفتوك » [1] .

٦ ـ وأخيرا فان هذه المعاني الحديثية انسانية لم تخضع في جوهرها وأسسها الاولى لظرف الزمان ولا لظرف المكان . فلم ينظر فيها الى العرب وحدهم ، ولا الى الناس في زمن النبوة ، ولا الى جزيرة العرب وحدها ، ولا الى طبقة دون طبقة ، ولا الى لون دون لون ، ولا الى الرجل دون المرأة ، ولا الى المرأة دون الرجل . وانما كان الرسول العظيم ينظر في هذه المعاني الى الانسان من حيث هو انسان .

لقد زخرت هذه المعاني بالمثل الانسانية العليا من وحدانية خالصة ، وعدالة مطلقة ، ومساواة تامة ، وخلق رفيع ، ووقوف الى جانب الخير ، وسعي لاستئصال الشر ، وحرب للفقر والبؤس ، ورقي روحي يصل بالله ...

ان هذه الخصائص المذكورة وغيرها التي توافرت لمعاني الحديث هي التي مكنت لها من الخلود ، وستبقى خالدة الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

---

(١) رواه احمد في « المسند » ٢٢٧/٤ والدارمي ٢٤٦/٢ وانظره في « الاربعين النووية » الحديث السابع والعشرين .

الفصل الرابع

أسلوب الحديث

نجد في الحديث النبوي الجمال في السبك ، والجزالة في الديباجة ، والوضوح في الدلالة ، والدقة في الوصف والتعبير ، والابداع في التشبيه والتصوير ، والموسيقى الرائعة في الالفاظ والاجادة في الحوار ، والاصالة في العبارة والطبع ، والايجاز في القول ، والتأثر بالقرآن ، ومطابقة مقتضى الحال ، ومجانبة التكلف .

نجد ذلك كله مبللا بندى العاطفة المرهفة المشرقة ، مكتسبا رونق البهاء من شخصية قائله صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما لا نجد له مثيلا في أساليب القول البشري المبين .

جزالة ووضوح :

١ ــ وأول خصائص أسلوب الحديث جمعه بين الجزالة في المفردات والديباجة ، والوضوح في الدلالة ، واذا اقترن الوضوح بالجزالة في الكلام كان قطعة رائعة من البيان الساحر ، وأضحى صالحا لان يلقى على جماهير الناس .. وانه حينئذ لخليق أن يفتح مغاليق قلوبهم الى النور ، ويقودهم على درب الخير . وهذا ما نقرؤه في السيرة النبوية ، من تأثير الحديث في الصحابة واستحواذه على اعجابهم .

وضوح لا تحجبه مفردات غريبة ، ولا أساليب معقدة ، وجزالة

لا يفارقها الوضوح والبيان ولا تنافسها جزالة في متانةالتركيب ، وفخامة الايقاع ، وعدم الابتذال .

كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يكره التقعر والإغراب في الحديث كراهية شديدة ، ويؤثر الوضوح والسهولة في التعبير ، حتى يكون كلامه مفهوما من السامعين ، وكان من أجل ذلك يترك لهجته القرشية اذا جاءه وفد من القبائل العربية الاخرى ، ويكلمهم بالاسلوب المألوف لديهم الذي يستعملونه عادة في أحاديثهم ، ويأتي بالمفردات واللهجة التي يتكلمون بها ، مما أثار عجب أصحابه القرشيين .

فقد سمعه علي بن أبي طالب يخاطب وفد بني نهد بقوله : « اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ، (١) ومذقها وفرقها (٢) وابعث راعيها في الدثر (٣) بيانع الثمر . وافجر لهم الثمد (٤) وبارك لهم في المال والولد . من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ، ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا . لكم يابني نهد ودائع الشرك (٥) ووضائع (٦) الملك . لا تلطط (٧) في الزكاة ، ولا تلحد (٨) في الحياة ، ولا تتثاقل عن الصلاة » (٩) .

---

(١) المحض : الخالص . والمخض : مامخض من اللبن واخذ زبده .
(٢) المذق : المزج والمراد هنا المخلوط . والفرق : مكيال معين .
(٣) الدثر : المال والخصب والنبات .
(٤) الثمد : القليل . افجره : صيره لهم كثيرا .
(٥) الودائع : العهود والمواثيق .
(٦) الوضائع : ج وضيعة وهي مايوضع على الملك من ضرائب كالزكاة .
(٧) لا تلطط في الزكاة : لا تمنعها .
(٨) لا تلحد في الحياة : اي لا يكن منك ميل عن الحق مادمت حيا .
(٩) انظر « المثل السائر » ١٦٠/١ وانظر هناك كلمة طهفة بن ابي

فقال علي : يارسول اللـه نحن بنو أب واحد ونراك تكلم الوفود بما لا نفهم أكثره . فقـال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي وربيت في بني سعد » [1] .

أجل لقد أدبه ربه وعلمه ، ففاق أدبه كل أدب ، وسـما بيانـه فوق كل بيان ، وعلم بذلك ما لم يعلم أهله وأصحابه مع أنهم بنـو أب واحد .

ان هذا الحديث وأمثاله [2] من الاحاديث لتـدل على حـرص الرسـول صلى اللـه عليه وسلم على أن يتكلم بالكـلام الواضـح لسامعيه ، ولو ركب في سبيل ذلك الصعب الذي لا يألفـه ، فهـذه المفردات التي تبدو غريبة هي الكلمات الحية الواضحة المستعملة عند المخـاطبين .

اما اذا نظرنا الى عامة الاحاديث فاننا نجد هذه الخاصة (الوضوح مع الجزالة) هي الطابع العام لاحاديث النبي صلى اللـه عليه وسلم لان مهمته الاولى هي تبليغ هذه الرسالة ، والنفاذ بها الى قلوب الناس ، ولن يكون ذلك الا بالكلام الواضح المفهوم الجزل المتين .

زهير النهدي التي القاها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا الحديث جوابا عليهـا .

(1) والحديث ضعيف وانظر « احاديث القصاص » لابن تيميـه بتحقيقنا رقم الحديث ٧٨ واخرج نحوه السمعانـي في « أدب الامـلاء والاستملاء » ص ١ ونصه هناك : « ان اللـه ادبني واحسن ادبي ثـم أمرني بمكارم الاخلاق فقال : (خذ العفو وامر بالعرف) » .

(2) مثل كتابه الى بني نهد ، وكتابه الى اكيدر دومة وكتابه الـى وائل بن حجر وكتابه الى قبيلة همدان من اليمن ، وقد ذكرها القلقشندي في « صبح الاعشى » ٦/ ٣٧٠ وانظر « صبح الاعشى » ايضـا ٢/ ٢٤٤ و « المثل السائر » ١/ ١٦٠ .

قال الاستاذ عباس العقاد : (انالسمة الغالبة على أسلوب النبي صلى اللـه عليه وسلم هي سمة الابلاغ قبل كل سـمة أخرى • بل هيالسمة الجامعة التي لا سمة غيرها ، لانها أصل شامل لما تفرق من سمات ، هي منها بمثابة الفروع • وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا اما معاهدات ورسائل •• واما خطب وأدعية ووصايـا وأجـوبة عـن أسئلة •• والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعا • حتى ما جرى منة مجرى القصص او مجرى الاوامر الى المرؤوسـين ، ومجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليدعو اللـه على مثاله [1] •

ولنأخذ مثلا على ذلك قوله صلى اللـه عليه وسلم فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولاتنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عبـاد اللـه اخوانا كما أمركم الله تعالى ، المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخـاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : ماله ودمه وعرضه ، ان اللـه لاينظر الى صوركم وأجسادكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم • » [2]

بعـد عن التكلف وتجديد :

٢ ــ ومن خصائص أسلوب الحديث بعده عن التكلف وتجديده في أساليب النثر المألوفة ، فأسلوبه بعيد عن التكلف والتصنع،يفيض عن الفطرة السليمة الصافيـة ، والنفس المجتمعـة الهـادئة ، والعبقرية الفذة المتألقة ، فـلا تلقى ــ وانت تتنقـل في رياض

---

(١) « عبقرية محمد » صلى اللـه عليه وسلم ص ٧١ •

(٢) «تيسير الوصول» ٣/١٨ وانظر «رياض الصالحين» ص٥٧٥ •

الحديث النضرة ــ التكلف في سجع ، ولا التصنع السمــج في صورة ، بل تطالعك في الأحاديث كلها سجية مرسلة ، وأسلوب حرّ من كل قيد ، خال من كل زخرف مستكره .

ولنضرب على ذلك مثــلا موقف الرسول صلى اللــه عليــه وسلم من السجع ، الذي كان سمة النثر الفني في ذاك الزمان ، لقد كره صلى اللــه عليه وسلم سجع الكهان ، وأنكر على من حاول استعماله من صحبه ، فقال لمن حاول [1] تقليد الكهــان : « أسجعا كسجع الكهــان » .

---

(١) يروى ان حمل بن مالك تزوج بامراتين يقال لاحداهما مليكة بنت ساعدة وللاخرى ام عفيفةبنت مسروح فضربت ام عفيفة مليكــة بعمود فسطاطها وهي حامل فألقت جنينها، ورفعت امرها الى النبي صلى اللــه عليه فقضى على عاقلة الضاربة بغرة عبد او امة . فقال اخوها العلاء بن مسروح : يارسول اللــه أندي من لاشرب ولا اكل ، ولا نطق فاستهل ؟فمثل هذا يطل . فقال عليه السلام : « أسجعا كسجع الكهان » وقد أخرج الحديث البخاري ١١٧/٧ « في كتاب الطب باب الكهانــة » ومسلم ١١٠/٥ ــ ١١١ في كتاب « القسامة باب دية الجنين » وانظــر « الموطأ » ٨٥٥/٢ و « سنن الدارقطني » ١٩٨/٣ و « تلخيص الحبير » ٣٣/٣ و « سنن ابــي داود » ٢٦٥/٤ و « المســند » ٧٩/٤ ــ ٧٠ و « الرسالة » للشافعي ٤٢٦ و « سنن النسائي » ٤٢/٨ ــ ٤٣ وانظــر « قواعد التحديث » ٢٦١ « واللؤلؤ والمرجان » ١٨٣/٢ وانظر « النبأ العظيم » ص ١٠٦ وانظر شرح الحديث في « مبارق الازهارشرح مشارق الانوار » ٢٠٤/١ و « فتح الباري » ٢١٦/١٠ وانظر « تخريج الاحياء » ٣٥/١ ــ ٣١٤ و٣/ ١١٤ ــ ١٢١، وانظر «سر الفصاحة» ٢٠١ حتى ٢١٠.

والذي ينظر طويلا فيما وصلنا من سجع الكهان يستخلص له خصائص ، جعلته سمجا يأباه الذوق ، وثقيلا تنفر منه النفس ، وأهم هذه الخصائص مايأتي :

١ ــ المعنى في سجع الكهان يتبع اللفظ ، أي ان السجع يقصد فيه لذاته ثم يحال المعنى عليه .

٢ ــ الغموض في العبارة ، حتى يحتمل كلام الكاهن كثيرا من المعاني المتوقعة .

٣ ــ الاكثار من الكلمات الغريبة والحوشية .

٤ ــ الاعتماد على الايقاع الرنان للالفاظ الموحي بألوان من المشاعر الغامضة ، يبتغي الكاهن بذلك خداع الناس وإيهامهم أنهم يستمعون من خلال كلامه الى طلسمات الشياطين .

من اجل ذلك وغيره كره صلى الله عليه وسلم سجع الكهان وانكره لانه أداة للباطل ، وعدة للتدجيل ، واسفاف في الكلام ولكنه لم يكره السجع على الاطلاق ، بل لقد جاء منه بالبديع الرائع فكان آية الجودة والسحر الحلال . ويحسن بنا أن نورد بعض الاسجاع الواردة في الحديث وبعض اسجاع الكهان لنوازن بين النموذجين ولنرى كيف برىء ذاك السجع النبوي من كل هذه الهنات والسمات ، ولنتبين أي مستوى رفيع بلغه هذا السجع البديع .

عن عبد الله بن سلام قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » [1] .

---

(١) رواه الترمذي وذكره النووي في « رياض الصالحين » كتاب السلام باب فضل السلام ص ٣٥٦ واسناده صحيح .

وعن ابي هريرة عن النبي صلى اللـه عليه وسلم قال : « تعوذوا باللـه من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسـوء القضاء ، وشماتـة الاعـداء »[1] .

وعن زيد بن أرقم قال : كان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يقول : « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها انت خير من زكاهـا ، انت وليها ومولاها . اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع . ومـن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها »[2] .

وعن المغيرة بن شـعبة عن النبي صلى اللـه عليه وسلم قـال : « ان اللـه تعالى حرم عليكم عقوق الامهات . ومنعا وهـات . ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال . وكثرة السؤال واضاعة المال »[3] .

وها نحن أولاء ، ننقل لك شيئا مما ورد من سجع الكهان لترى البون الشاسع ولتمتاز الثريا من الثرى .

جاء في « الاغاني »[4] ان كاهن بني اسد عوف بن ربيعة قـال لقومه يتكهن بمقتل الملك حجر بن الحارث والد الشاعر امرىء القيس :

---

(١) اخرجه البخاري ومسلم وذكره النووي في «رياض الصالحين» ص ٥٣٠ باب الدعوات .

(٢) اخرجه مسلم وذكره النـووي في « رياض الصالحين » ص ٥٣٢ باب الدعوات .

(٣) اخرجه البخاري ٧٨/٩ ومسلم ١٣١/٥ وذكره النووي فـي « رياض الصالحين » ص ١٦٢ باب تحريم العقوق وانظر في « الرياض » شرح المفردات بقلم النووي نفسه ، وانظر « فتح الباري » ٢٦٤/١٣ .

(٤) ج ٩ ص ٨٤ طبعة دار الكتب .

« من الملك الاصهب ، الغلاب غير المغلب ، في الابل كأنها الربرب ، لا يعلق رأسه الصخب ، هذا دمه يثعب ، وهذا غدا أول من يسلب » .

واليك سجع كاهن آخر وهو الكاهن عزى سلمة ، فقد جاء في « بلوغ الارب » للآلوسي [1] ان هذا الكاهن قال في صدد بقرتين أكل النمر ولد احداهما :

« ذهب به ذو جسد اربد ، وشدق مرمع ، وناب معلق ، ما للصغرى في ولد الكبرى حق » .

ويقول الكاهن عزي ايضا في معرض كشف خبيء ، خبأه له قومه ، وسألوه عنه،وكان رأس جرادة : «خبأتم لي شيئا طار فسطع ، فتصوب فوقع ، في الارض منه بقع ، هو شيء طار فاستطار ، ذو ذنب جرار ، وساق كالمنشار ، ورأس كالمسمار » .

ان عرض هاتين الطائفتين من الاسجاع ليغني عن كل تحليل وتفصيل .

وهكذا فان هذه الخاصة التي تحدثنا عنها من خصائص اسلوب الحديث لتدل على أنه اسلوب جديد خرج عن المعروف والمألوف من سجع الكهان وخطب الجاهلية ، وانه لتجديد عظيم في النثر العربي .

التصوير في الحديث

٣ ــ ومن خصائص اسلوب الحديث القدرة الرائعة على التصوير الموحي والتشبيه الموضح ، مما يدل على موهبة فذة ، دانت لها الصور الجميلة، ودنت منها فاقتطفت ما رق منها وراق ، فأنت ــ في الحديث ــ أمام لوحات فنية رائعة ، ممتعة ساحرة ، تعجز

(١) « بلوغ الارب » ٣/٢٧٦ .

مواهب الدنيا ان تأتي بأروع منهـا وأبدع . يفيض هذه اللوحـات والمشاهد خيال واقعي خصب .

وان وفرة الصور الجميلة لتدل على ان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم كان يؤثر التعبير عن المعنى المجرد بالصورة الحسية المستمدة من حياة المخاطبين ، لان ذلك ادعى الى أن يفهموا مراده ويتأثروا به ، ولان الصورة البيانية تزيد في قيمة الأثر الأدبي ، وترفع من شـأنه ، وتكسو المعاني ابهة وتضاعف قواها في تحريك النفوس لها .

وقد ذكر الامام عبد القاهر الجرجاني قيمة التشبيه وتأثيره في قوة المعنى ، فقرر أن المعنى يزداد به فخامة وتأثيرا في النفس ، وأن قائله يستطيع أن يحقق غرضه كاملا ، ثم اورد طائفة من روائع الامثلة ، وازن بينها وبين امثالها من الجمل التي تؤدي المعنى نفسه دون صورة ، ثم قال : (وان اردت اعتبار ذلك في الفن الذي هو أكرم واشرف فقابل بين أن تقول : ان الذي يعظ ولا يتعظ يضر نفسه من حيث ينفع غيره وتقتصر عليه وبين أن تذكر المثل على ما جـاء في الخبر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذي يعلم الخير ولايعمل به مثـل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه » (١)

وفي الحديث طرائق متعددة في التصوير الموفق :

ـ منها مشاهد تصويرية تعتمد القصة السريعة تارة ، والمـوقف تارة أخرى .

ـ ومنها التشخيص الحي الذي يبث الحياة والحركة في الكائنات الجامدة .

---

(١) قال الشيخ ناصر : حديث صحيح ، رواه الطبراني وغيره من حديث أبي برزة وجندب .

(٢) « أسرار البلاغة » ص ١٣٤

ــ ومنها التشبيه الذي يقرب الأمر ويوضح الموضوع وهو كثير جدا .

ــ ومنها الكناية المهذبة اللطيفة .

ــ ومنها المجاز البليغ الرشيق ... الخ ..

ولن نستطيع الاستقصاء في حدود هذه الرسالة ، لأن موضوع التصوير في الحديث جدير بدراسة مستقلة وافية ، تفيد مما انتهى إليه **البحث في الأسلوب** والنقد الأدبي .[1] .

وبواسطة هذه الطرائق وغيرها مما نجده في الحديث عمد الرسول صلى الله عليه وسلم الى تصوير المشاعر الداخلية وتحليل الدوافع النفسية المتعارضة ، وتجلية القضايا التجريدية بكل وضوح .

وكثيرا ما تكون الصورة في دلالتها مغنية عن الكلام طويل .

ولنضرب بعض الأمثلة على بعض هذه الطرائق :

في صدد التعبير عن فرح الله الشديد بتوبة عبده يعرض لنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لوحة تصويرية صيغت على شكل قصة سريعة :

هذا رجل يمشي في الصحراء ، فأدركه التعب والجهد فنزل بعد أن وضع على ناقته زاده وماءه ، ثم نفاجأ بالرجل لايجد ناقته ، وتفلت منه ، فيوقن بالموت المحقق .. ويأتي شجرة فيضطجع في ظلها .... ثم نفاجأ مرة أخرى بالرجل يرفع رأسه فيرى ناقته فوق رأسه ، فيفرح فرحاً يعقد لسانه ، ويحمله على الغلط في كلامه ، إن فرح الله بتوبة عبده يفوق فرح هذا الرجل . يقول صلى الله عليه وسلم : « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض

---

(١) وقد الف الاقدمون في ذلك بعض المؤلفات من اشهرها كتاب « المجازات النبوية » للشريف الرضي المتوفى سنة ٤٠٦ هـ .

فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ،فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد آيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح » [1]

وفي موضوع الرفق بالحيوان والشفقة عليه لعجزه نرى لوحة فنية رائعة وردت في اطار قصة سريعة أخرى ولنستمتع برؤية المشهد الحي الموحي : يقول صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها.فشرب ثم خرج.فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني ، فنزل البئر ، فملأ خفه ماء ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له » قالوا : يارسول الله : إن لنا في البهائم لأجرا ؟ فقال : « في كل كبد رطبة أجر » [2] .

وهناك أحاديث كثيرة مشهورة وردت على شكل قصص من أشهرها حديث أصحاب الغار [3] ، وحديث الرجل الذي قتل مئة نفس[4] . وحديث الأبرص والأقرع والأعمى [5] ، وحديث الغلام والساحر والملك [6] .. الخ .

---

(١) رواه مسلم عن أنس ٩٣/٨ . وانظره في « رياض الصالحين » ص١٩ باب التوبة .

(٢) رواه البخاري ٩٧/٣ و ١١٦ و٩/٨ ومسلم ٤٤/٧ عن أبي هريرة . انظره في « رياض الصالحين » ص٧٧ باب بيان كثرة طرق الخير . وانظره في « فتح الباري » ٤١/٥

(٣) انظره في «رياض الصالحين » ١٦ باب الاخلاص

(٤) انظره في « رياض الصالحين » ص ٢٠ باب التوبة .

(٥) انظره في « رياض الصالحين » ص٤٩ باب المراقبة .

(٦) انظره في « رياض الصالحين » ص ٣٣ باب الصبر .

أما الامثلة على التشبيه فما اكثرها[1] وما أكثر ، ما نجد في الحديث من تشبيهات خالدة رائعة سنورد منها ما يأتي :

في موضوع تأثر مجموع الامة بافعال بعض الافراد ، وضرورة وضع حد لحرية الفرد ، حتى لايسيء الى الاخرين ، ووجوب التناصح ، والتآمر بالمعروف ، والتناهي عن المنكر ، وردع الآثمين المجرمين ، والأخذ على أيديهم يقول صلى الله عليه وسلم :

« مثل القائم في حدود الله [2] والواقع فيها [3] كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها ، وبعضهم أسفلها . وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا . وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا » [4] .

صورة رائعة حواها هذا التشبيه المحكم الخالد واستطاعت ان تبين ما لا تستطيع الصفحات أن تبينه .

---

(١) انظر كثيرا منها في كتاب « اقيسة النبي » للناصح الحنبلي الذي ذكر في هذا الكتاب مائة حديث كلها او معظمها مبنية على التشبيه . حقق هذا الكتاب احمد حسن جابر وعلي احمد الخطيب ، وطبع في مطبعة السعادة ونشرته دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م

(٢) حدود الله : ما نهى عنه الله والقائم فيها : اي المنكر لها الذي يدفعها ويزيلها .

(٣) الواقع فيها : اي مرتكب المعصية .

(٤) رواه البخاري ٣/١٢١ في كتاب الشركة في باب هل يقرع في القسمة عن النعمان بن بشير . وانظره في « رياض الصالحين » ص١٠٥ باب الامر بالمعروف . وانظر شرحه بقلم محمد قطب في « قبسات من الرسول » ١٦٧ ـ ١٨٣

وفي موضوع المرأة وكونها تختلف عن الرجل ، وأنه لن يستطيع أن يغير من طبيعتها ، يقول صلى الله عليه وسلم : « المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج »[1] وفي رواية لمسلم « .. كسرتها وكسرها طلاقها .. » .

يجسد الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم المعنى السابق بهذه الصورة الملموسة : إن الضلع أعوج .. ولن يستقيم .. فأن قبل الرجل المرأة على ما هي عليه سعد واستمتع ، وعاش عيش الهناء والسرور ، وإن رام تغييرها عن طبيعتها استحالت الحياة المشتركة وكان الفراق والطلاق .

وفي موضوع حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على دعوة الناس الى الحق وهم يتفلتون منه يقول صلى اللهعليه وسلم : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي »[2] .

صورة فنية رائعة تعتمد على مشهد يتكرر كثيرا في حياة الع ، ويرونه كل مساء . وهو في عمقه ودقته فاق حد التصور ، فالمعاصي ، والشرك ومخالفة امر الله نار محرقة ، والمقبلون عليها فراش لاعقول لهم وجنادب لاتعي . والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يدفع الناس ويشدهم عن الوقوع في الهلاك وهم ماضون في تقحم النار والوقوع فيها .

وفي موضوع تعين الرزق وتكفل الله به وضرورة التوكل على الله في ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « لو انكم تتوكلون على الله حق

---

(1) رواه الشيخان عن أبي هريرة وانظره في « رياض الصالحين » ص ١٤٠ باب الوصية بالنساء .

(2) رواه مسلم عن جابر . وانظره في « رياض الصالحين » ص٩٢ باب الامر بالمحافظة على السنة .

توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا »[1].

مثل رائع يقرب المسألة بأمر ملموس يراه الناس جميعا ؛ وذلك لأن موضوع الرزق كثيراً ما يحمل نفرا من الناس على الرضى بالهوان خشية أن يضيع عليهم شيء من الكسب .

يصور هذا الحديث أن الرزق آت والله متكفل به وليس على الانسان أن يعطي هذا الموضوع من الأهمية أكثر مما يستحق بحيث يرضى بالذل من أجل ذلك . فالطير لا تعرف لها موردا معينا ومع ذلك فهي لاتعود في المساء إلا وقد امتلأت بطونها .

فعلام يرضى المسلم بالدنية ويقبل الهوان ؟ وعلام يخالف أمر الله من أجل دريهمات معدودات يظن فيها زيادة رزقه ؟

ـ وفي الحديث النبوي صور جميلة وردت من طريقة التشخيص الحي الذي يبث الحياة . والحركة والتفكير في الكائنات .

والأمثلة على ذلك مستفيضة سأقتصر على إيراد بعضها دون إسراف في التحليل .

يقول صلى الله عليه وسلم : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلم تدر شماله ما أنفقت يمينه »[2] . نحن هنا أمام يد ليست كالايدي . انها يد تدري وتعرف ، وقد كان ذاك الرجل موفقا عندما استطاع اخفاء الصدقة عن تلك اليد .

---

(1) رواه الترمذي عن عمر وانظره في « رياض الصالحين » ص٥٧ باب التوكل . قال الشيخ ناصر : وهو حديث صحيح كما شرحته في « الاحاديث الصحيحة » ٣١٠ .

(2) قطعة من حديث أخرجه احمد ٢/٤٣٩ والبخاري ١/١١١ ومسلم ٣/٩٣ وغيرهم من حديث أبي هريرة . وانظره في « رياض الصالحين » باب الحب في الله ص ١٧٨ و « فتح الباري » ٢/١٤٢ .

لقد نفخ هذا الحديث الحياة في اليد فأضحت شخصا . هذا وفي مجموع الجملة صورة بالغة الدلالة في الاخفاء .. أجل لقد تمت الصدقة ولم يدر بها أحد . بل لم تدر اليد الشمال ما فعلت اليد اليمين .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان قريشا قد نهكتهم الحرب »[1].

ـ وهناك صور جميلة وردت من طريق الاستعارة الرائعة كما في قوله : « رفقا بالقوارير » [2] .

وهناك صور جميلة وردت من طريق الكناية المهذبة اللطيفة .

كما في قوله صلى الله عليه وسلم : « من كشف قناع امرأة وجب لها المهر » يكني عن الدخول بكشف القناع ، لانه يكشف في تلك الحالة غالبا [3] .

وكما في الحديث الذي مر معنا آنفا : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها ، فلم تدر شماله ما أنفقت يمينه » .

وهكذا فان خاصة التصوير من خصائص اسلوب الحديث . وقد بلغت مستوى من الجودة والاحكام لا نظير له في غير هذا اللون السامي من ألوان الادب البشري .

دقة الوصف في الحديث

٤ ـ في الحديث النبوي لوحات وصفية نادرة في دقتها واحاطتها وواقعيتها . والملاحظ أن الاوصاف في الحديث جاءت مقتضبة وفق

---

(١) أخرجه البخاري في قصة صلح الحديبية ـ كتاب الشروط ، وأحمد « ٣٢٨/٤ ـ ٣٣١ » .

(٢) أخرجه البخاري ٣٢/٨ ومسلم ٧٨/٧ وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » ٤٧/٦ : ياانجشة ويحك ارفق بالقوارير ، وهذا الحديث في الصحيح عن انس .

(٣) الكنايات للجرجاني ص ٦ .

الخاصة الأصيلة التي يصدر عنها الحديث في شتى الأغراض ، وهي خاصة الايجاز .

وان خلا الحديث من وصف الطبيعة والجمال فذلك لان الوصف يعتمد في هذه الشؤون على الخيال ، والخيال ــ كما هو معروف ــ دعامة من دعائم الشعر . وقد أطلق حسان الشعر على عبارة نثرية قالها ابنه عبد الرحمن لاعتمادها على الخيال ، ذكر الرواة أن عبد الرحمن ابن حسان لسعه زنبور يوما وهو صبي فجاء أباه يبكي .

فقال : مالك ؟

فقال : لسعني طائر ملتف في بردة حبرة . [1]

قال حسان : قلت والله الشعر [2] .

ولقد صدق حسان إذ أن هذا الوصف كان من عيني شاعر ذي خيال. وما كان ينبغي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون شاعرا ، قال تعالى: (وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، ان هو الا ذكر وقرآن مبين) [3] .

ومن هنا كان وجود الخيال في الحديث النبوي أمرا غير متوقع الا عندما يكون مصدرا للتشبيه والتمثيل والتصوير ومن هنا لم نجد وصف الطبيعة والجمال في الحديث .

قال الاستاذ الرافعي :

(ان الكلام في وصف الطبيعة والجمال والحب على طريقة

---

(١) حبرة : كعنبة ضرب من ثياب اليمن، ذو حمرة تضرب الى سواد .

(٢) انظر أسرار البلاغة ص١٦٧ المنار الثالثة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩ (ومقدمة ديوان حسان للبرقوقي) .

(٣) سورة يس ، الآية ١٩ .

الاساليب البيانية انما هو باب من الاحلام ، اذ لابد فيه من عيني شاعر أو نظرة عاشق . وهنا نبي يوحى اليه ، فلا موضع للخيال في أمره الا ما كان تمثيلا) .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان بلاغة رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سخرت للدعوة وظهرت في مجالاتها ، ولم تكن صناعة فنية يمارسها الرسول صلى الله عليه وسلم في كل الاغراض والموضوعات كما يمارسها كل بليغ ، بل لقد ترفع الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل مالا يليق بمكانة النبوة السامية من الموضوعات والاساليب .

والموصوفات التي تطالعنا في الحديث متنوعة ففيها ما يتعلق بالانسان وبالحيوان وفيها ما يتعلق بالامور المعنوية .

ولولا خشية الاطالة لاتينا على كل نوع بشاهد غير ان من الضروري ان نشير الى أن نصيب الموصوفات المعنوية اوفر لما تقدم من الاسباب .

وقد اتخذ الحديث وسائل عديدة للوصف ، من اهمها اعتماده التشبيه والتصوير ، فلقد كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يؤثر ان يستخدم التشبيه المحكم [1] وسيلة فعلية للوصف الدقيق الذي يستجمع شرائط الجودة كلها ، ولنضرب بعض الامثلة ففيها البيان الذي يفوق كل بيان :

فمن ذلك وصف البخيل والكريم :

---

(1) وقد سبق ان تحدثنا عن التشبيه في موضع سابق .

عن ابي هريرة قال : ضرب رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ، قـــد اضطرت أيديهما الى ثـديّهما وتراقيهما ، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أناامله وتعفو أثره . وجعل البخيـــل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها . قـــال : فأنا رأيت رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم يقول بأصبعه في جيبه ، فلقـــد رأيته يوسعها ولا توســـع [1] .

جاء في « شرح مسلم » للنووي :

وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق . والبخيل بضد ذلك . وقيل : هو تمثيل لكثرة الجود والبخل،وان المعطي اذا اعطى انبسطت يداه بالعطاء وتعود ذلك . واذا أمسك صار ذلك عادة له . وقيل ... والصواب الاول . والحديث جاء على التمثيل لا على الخبر عن كائن ، وقيل : ضرب المثل بهما لان المنفق يستره اللــه تعالى بنفقته ويستر عوراته في الدنيا والاخرة كستر هذه الجبة لا بسها .

والبخيل كمن لبس جبة الى ثدييه فيبقى مكشوفا بادي العورة مفتضحا في الدنيا والاخرة . [2]

وقال الاستاذ الرافعي في شرح هذا الحديث :

---

(١) متفق عليه ، اخرجـه البخـــاري ٩٨/٢ و ١٢٣/٧ – ١٢٤ ومسلم ٨٨/٣ وانظره في « رياض الصالحين » ص ٢٥٣ باب الكرم والجود وفي « اللؤلؤ والمرجان » ٢١١/١ .

(٢) « شرح مسلم » ١٠٩/٧ اقول : وليس يبعد عندي ان تكون هذه المعاني كلها واردة .

(فأنت ترى ظاهر الحديث ، ولكن فنه العجيب في هذا الحديد الذي يراد به طبيعة الخير والرحمة في الانسان ، فهي من أشد الطبائع جمودا وصلابة واستعصاء متى اعترضتها حظوظ النفس الحريصة وأهواؤها ، ومعذلك فان السخاء بالمال يبسطمنها ، وينتهي في الطبع الى ان يجعلها لينة ، فلا تزال تمتد وتسبغ حتى يكون كمال طبع السخاء هو كمال طبع الخير في النفس الكريمة . فمن ألزم نفسه الجود والانفاق راضها رياضة عملية كرياضة العضل بأثقال الحديد ومعاناة القوة في الصراع ونحوه .

أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة ولكنه يدعها جامدة مستعصية ، لا تلين ولا تستجيب ولا تتيسر . وقد جعل الجبة من الثدي الى التراقي ، وهذا من أبدع ما في الحديث لان كل انسان فهو منفق على ضروراته ، يستوي في ذلك الكريم والبخيل ، فهما على قدر سواء من هذه الناحية ، وانما التفاوت فيما زاد وسبغ من وراء هذا الحد ، فهاهنا يبسط الكريم بسطه الانساني ، أما البخيل فهو (يريد) لانه انسان ، والإرادة عمل عقلي لا أكثر ، فاذا هو حاول تحقيق هذه الارادة وقع من طبيعة نفسه الكزة فيما يعانيه من يوسع جبة من الحديد لزقت كل حلقة من حلقاتها في مكانها ، فهي مستعصية متماسكة ، فهو يوسعها فلا تتسع .

ألا ترى كيف تتوجه الحجة ، وكيف تدق الفلسفة وهي في أظهر البيان وأوضحه ؟ وهل تحسب طبيعة البخيل في دقائقها النفسية لو هي نطقت بالغة من وصف نفسها هذا المبلغ من جمال الفن وابداعه ؟

وهو ــ بعد ــ وصف لو نقل الى كل لغات الارض لزانها جميعا ، ولكان في جميعها كالانسان نفسه لا يختلف تركيبه ، فلن يكون بثلاثة أعين لا في بلاد شكسبير ولا في بلاد الزنوج) [1] .

ومن ذلك وصف موقف الناس من الدعوة :

عن ابي موسى ان رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وسلم قال : « ان مثل ما بعثني اللـــه به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب [2] الكثير . وكان منها أجادب [3] امسكت الماء فنفع اللـــه بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان [4] لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى اللـــه الذي أرسلت به » [5] . جاء في « فتح الباري » [6] : [ضرب النبي صلى اللـــه عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتـــي

---

(1) « وحي القلم » ١٤/٣ .

(2) الكلأ يطلق على النبت الرطب واليابس معـا ، أمـا العشب فيطلق على النبت الرطب فقط .

(3) الاجادب جمع جدب وهو الارض الصلبة التي لا ينضب منها الماء .

(4) قيعان جمع قاع وهو الارض المستوية الملساء التي لا تنبت .

(5) متفق عليه . راجع « رياض الصالحين » ص ٩١ باب الامر بالمحافظة على السنة واخرجه البخاري ٢٢/١ باب فضل من علم وعلم ومسلم ٦٣/٧ ، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ١٤/١ وفتح الباري ١٧٥/١ والادب النبوي للخولي ص ١٨ .

(6) « فتح الباري » ١٧٧/١ .

الناس في حال حاجتهم اليه ، وكذا كان حال الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت . ثم شبه السامعين له بالارض المختلفة التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم فهو بمنزلة الارض الطيبة،شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها . ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله او لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره فهو بمنزلة الارض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس بـه وهو المشار اليه بقوله « نضر الله امرءا سمع مقالتي فأداها كما سمعها . ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره فهو بمنزلة الارض السبخة او الملساء التي لا تقبل الماء . وانماجمع في المثل بين الطائفتين الاولين المحمودتين لا شتراكهما في الانتفاع بهما وأفرد الطائفة المذمومة لعدم النفع بها].

وهذه الصورة المنتزعة من حياة العرب الذين يهتمون بالمياه استطاعت أن تصف موقف الناس من الدعوة الوصف الدقيق الرائع الموجز .

ومن ذلك الحديث الذي تضمن وصف شعور المؤمن بالذنب :

« ان المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه ، وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه »[1] .

وتتجلى دقة الوصف ايضا في الاحاديث التي تحدد نوعا معينا من

---

(١) وحي القلم ٢٥/٣ رواه الترمذي . قال الشيخ ناصر : هذا حديث موقوف ، وليس بمرفوع ، أخرجه أحمد «٣٨٣/١» ، والبخاري من قوله .
في اول « كتاب الدعوات » باب التوبة ٥٧/٨ عن عبد الله بن مسعود

الناس او وقتا من الاوقات ونلمس في هذا التحديد جدة جديدة وروعة رائعة ولنضرب بعض الامثلة :

فمن ذلك الحديث الذي يذكر المنافق ، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » . متفق عليه [1] .

ومن ذلك حديث وصف وقت العصر :

« العصر اذا كان ظل كل شيء مثله ، وكذلك ما دامت الشمس حية ، والعشاء اذا غاب الشفق الى أن تمضي كواهل الليل »[2] .

وقريب من هذا الحديث جوابه صلى الله عليه وسلم لمن سأله : متى تصلي العشاء الآخرة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا ملأالليل بطن كل واد » [3] .

ومن ذلك تحديده وقت كراهة الصلاة :

قال : « اذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى

---

(1) « رياض الصالحين » ص ٣٠٥ باب الوفاء بالعهد وانجاز الوعد ، وهناك حديث آخر راويه ابو هريرة ، أورده النووي ص ١١٠ في باب الامر باداء الامانة ويذكر فيه ثلاث خصال فقط . وص ٣٠٤ في باب الوفاء بالعهد ويذكر فيه كذلك ثلاث خصال فقط .

(2) « وحي القلم » ٢٣/٣ .

(3) « وحي القلم » ٢٤/٣، قال الشيخ ناصر : حديث صحيح، رواه احمد وغيره ، وقد خرجته في « الاحاديث الصحيحة » ١٥٢٠ .

ترتفـع » [١] .

ومن ذلـك تعريفه الشديد من الرجـال :

عن ابي هريرة ان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قـال : « ليس الشديد بالصُّرَعَة ، انما الشـديد الذي يملـك نفسه عند الغضب » . متفق عليه [٢] .

اننا لنرى في هذا الحديث تعريفا جديدا يخالف ماالفه الناس وعرفوه وفيه يقرر الرسول صلى اللـه عليه وسلم ان الانسان انما هـو انسان بارادته لا بعضلاته ، فليس الشديد هو الذي يصرع الناس بقوته لكن الشديد هو الذي يملك السيطرة على اعصابه ، ويستطيع ان يتصرف التصرف الموزون اللبق حالة الغضب والانفعال ، وبذلك يكـون الانسـان انسـانا .

ومن ذلك تعريفه للمسكين :

عن أبي هريرة قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : « ليس المسكين الذي ترده التمـرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي يتعفف » [١] .

---

(١) أخرجه الشيخان ـ واللفظ للبخاري من حديث ابن عمر وانظره في « جامع الاصول » ١٧٦/٦ .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب الادب باب الحذر من الغضب ٢٤/٨ ومسلم في كتاب البر والصلة والاداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ٣٠/٨ . واخرجه مسلم ايضـا من حـديث ابن مسعود بلفظ « فما تعدون الصرعة فيكم ؟ » قلنا : الذي لا تصرعه الرجال . قال : « ليس ذلك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب » انظـره في « رياض الصالحين » ص ٤١ باب الصبر .

انما المسكين الذي يتعفف » .

وفي رواية في الصحيحين : « ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس »[1] .

وتتجلى دقة الوصف ايضا في الاحاديث التي تصف امورا غيبية كنعيم الجنة ، والخيرات الحسان التي يلقاها المؤمنون الصادقون . ومن ذلك وصف أهل الجنة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة ، لايبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ،أمشاطهم الذهب ، ورشحهم المسك ،ومجامرهم الألوة[2] أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد ، على صورة ابيهم آدم ، ستون ذراعا في السماء . وفي رواية : « آنيتهم فيها الذهب ، ورشحهم فيها المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لااختلاف بينهم ولاتباغض . قلوبهم قلب رجل

---

(١) أخرجه البخاري ١٠٦/٢ في كتاب الزكاة باب قول الله تعالى لا يسألون الناس الحافا ومسلم ٩٥/٣ في كتاب الزكاة باب المسكين الذي لايجد غنى وانظر « اللؤلؤ والمرجان » ٢١٩/١ وانظر «فتح الباري» ٣٤١/٣ و انظره في « رياض الصالحين » ص ١٣٨ باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة .

(٢) عود الطيب .

واحد يسبحون الله بكرة وعشيا »[1]

وان هذا الوصف للحياة الغيبية الرائع ليجعلنا نتصور النعيم المقيم، والجمال الكامل ، والعيش الصافي من الاكدار والمتاعب ، واللذات المتوالية من أكل وشرب وكسوة وامتعة ، وطيب حياة زوجية هادئة هانئة ، هناك تكون الحياة قد تخلصت من كل المعكرات والمنغصات ، فلا ألم ولا جوع ولا ظمأ ولاعري ولا قبح ولا تباغض ولا اختلاف .

وهناك احاديث كثيرة تبدو فيها دقة الوصف وروعته ، وجماله وسنذكر بعض النماذج التي تؤكد هذه الخاصة الهامة التي نتحدث عنها فيما يأتي ولن نستطيع الاستقصاء لانها من الوفرة بمكان :

• قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في سوقه وبيته بضعاً وعشرين درجة ، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد لا يريد الا الصلاة ، لا ينهزه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، حتى يدخل المسجد . فاذا دخل المسجد كان في الصلاة ماكانت الصلاة هي تحبسه،والملائكة يصلون على أحدكم مادام في مجلسه الذي صلى فيه ، يقولون : اللهم ارحمه ، اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه » متفق عليه .[2]

• وقال صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد وقد كسا امرأته قبطية : « أخاف أن تصف حجم عظامها » .[3]

---

(١) متفق عليه و انظره في « رياض الصالحين » ص ٦٩١ باب بيان ما اعده الله للمؤمنين في الجنة .

(٢) «رياض الصالحين » ص١٥ باب الاخلاص واحضار النية . وينهزه اي : يخرجه وينهضه .

(٣) انظر تخريجه في كتاب « حجاب المراة المسلمة» للشيخ ناصر الالباني ، وانظره في « وحي القلم » ٢٢/٣

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : ألست فيما شئت ؟ قال : بلى . ولكني احب أن ازرع . قال فبذر . فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال ». اخرجه البخاري [1] .

وهكذا فان في الحديث النبوي الوصف الرائع . الذي يجلو الموصوف باوضح صورة ، واوجز عبارة وارفع بيان ضمن الاطار الذي تقتضيه الرسالة السامية والنبوة الفاضلة .

موسيقى الحديث :

٥ ــ وهذه خاصة اخرى من خصائص اسلوب الحديث النبوي ، تواجهك في كل حديث تستمع اليه أو تقرؤه .

والموسيقى الموفقة صفة أساسية من صفات الجودة في الأسلوب ، وهي أمر يرتبط بالموهبة . والاذن المرهفة ، والذوق السليم . ومن الشعراء الذين اشتهروا بها البحتري في العصر العباسي ، وأحمد شوقي فى العصر الحديث .

وموسيقى الكلام بلغت الكمال المعجز في القرآن ، وقد جلا هذا الموضوع الاستاذ سيد قطب رحمه الله في كتابه القيم « التصوير الفني في القرآن » .

وأما الموسيقى في الحديث فهذا ما نعالجه في هذا الفصل .

ان موسيقى حلوة رائعة عذبة تنساب في الكلمة الحديثية ، وفي الجملة الحديثية ، كما تنساب في الكلام النبوي .

اذن فموسيقى الحديث النبوي تنطلق من :

---

(١) وحي القلم ٣/٢٤

١ ـ حروف الكلمة الواحدة ، التي تكون الموسيقى الداخلية للكلمــة .

٢ـ ومن الكلمات مجتمعة في جملة تكون الموسيقى الداخلية للجمــلة .

٣ ـ ومن الجمل للحديث ، التي تكون موسيقى الكلام .

ولنفصل القول في كل من هذه الامور :

١ ـ للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قدرة كبيرة على اختيــار الكلمات ذوات الإيقاع الموسيقي المحبب ، بحيث يتوافر لكــل كلمة منها أمران اثنان لهما أهمية كبرى في اعطاء الكلمة موسيقاها الحلوة هما : التعاطف بين المعنى واللفظ . والانسجام في إيقاع الحروف .

أ ـ التعاطف بين المعنى واللفظ واضح في الكلمة الحديثية ، وهو يضفي على الكلمة موسيقى معينة ، حتى أصبحت هــذه الموسيقى تخدم المعنى وتقود اليه وتدل عليه .

ومن ذلك كلمة (يغرغر) التي تحكي صوت من يعالج الموت في حنجرته ، والتي وردت في قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » .[١]

فموسيقى هذه الكلمة ساعدت على تصوير المعنى وتقريبــه بشكل تمثيلي .

ب ـ الانسجام في أصوات الحروف وإيقاعها : لو ذهبنا نبحث عن كلمة تتنافر حروفها في الحديث لما استطعنا أن نجد شيئا منها أبداً،

---

(١) رواه الترمذي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وهو حديث حسن انظره في « رياض الصالحين » باب التوبة ص ١٩ و « المشكاة » ٢٣٤٣

بل إن كلمات الحديث تتمتع بجرس موسيقي رائع ، تنساب حروفها على اللسان انسياباً ، وترتاح الأذن لسماعها . ولنقرأ هذا الحديث على سبيل المثال :

« حُفَّت النار بالشهوات ، وحُفَّت الجنة بالمكاره »(١) فاننا نرى كل كلمة من كلماته منسجمة الاصوات ، سهلة النطق ، مأنوسة الوقع على السمع .

٣ ــ أما الجملة فإن موسيقاها الجيدة تبدو لك من ترديد حديث واحد أكثر من مرة . فقد تكون الكلمة مقبولة في ذاتها ، ولكنها عندما تجتمع مع كلمات أخر يحصل تنافر بينها ونبو لها عن الأذن ، واستثقال للنطق بها .

إن الكلمات الحديثية عندما تضم الواحدة منها الى أخواتها يحلو جرسها ، وتزيد عذوبتها ، ويحسن ايقاعها .

واقرأ ان شئت قوله صلى الله عليه وسلم : « يا فلان اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم اني أسلمت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك . آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت . فانك ان مت من ليلتك مت على الفطرة ، وأن أصبحت أصبت خيرا »(٢) .

---

(١) متفق عليه ، عن ابي هريرة ، وانظره في « رياض الصالحين » باب المجاهدة ص ٦٧ .

(٢) متفق عليه . عن البراء بن عازب وانظره في « رياض الصالحين » باب التوكل ص ٥٧

ولعل سبب هذه الموسيقى الساحرة في الجملة هنا يعود الى الانسجام في ايقاع الكلمات والى هذا التآلف المدهش بين مخارج حروف الكلمات ، فأنت لاترى ازدحاماً بحرف ثقيل في الحديث ، ولا انتقالا مفاجئاً من ايقاع الى ايقاع ... انها تتناسب وجو النوم الهادىء الذي يهيىء الجو المأنوس المأمون الذي يشعر صاحبه بالطمأنينة ، لأنه يسلم نفسه الى الله ولأنه يتوجه ويلجأ اليه . ما أشبه هذا الحديث باللحن الحلو الذي يريح الاعصاب ، ويمهد للنوم ... أضف الى ذلك ترديد كلمة (اليك) التي هي بمثابة قفل ينهي الجملة ؛ وكذلك فإن الدعاء ختم بمخاطبة الله سبحانه بصيغة المفرد ، وبأفعال تنتهي بالتاء المهموسة التي تلائم جو الاسترسال في النوم .

٣ ـ أما الكلام بجمله المتعددة فإن مما يعطيه لحنا جميلا الامور الآتية:

أ ـ الموسيقى الداخلية للالفاظ والجمل .

ب ـ الموازنة والتقابل .

ج ـ السجع .

أ ـ وقد تحدثت لك قبل قليل عن الموسيقى للالفاظ والجمل .

ب ـ ولنوجز القول في الموازنة فيما يأتي :

إن أثر الموازنة والتقابل في الجمل إن أثر ذلك في موسيقى الكلام كبير وواضح ، ذلك أن الكلام يكون مقسما يتيح للقارىء أن يجعل صوته موزعا بين جزأين ، فتكون فقرات الجملة المتقابلة مؤدية لحنا معينا يعطي الكلام الموسيقى الجميلة .

ولنعد الى الامثلة ففيها البيان الشافي :

« ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط

يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[1].

ان المقابلة والموازنة بين طرفي الكلام جلية في هذا الحديث ، ففي الطرف الاول بسط اليد في الليل ليتوب مسيء النهار ، وفي الطرف الثاني بسط اليد في النهار ليتوب مسيء الليل .

« عجباً لأمر المؤمن ! ان أمره كله خير ؛ وليس ذلك لاحد إلا للمؤمن : ان أصابته سراء شكر ، فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له »[2] .

فقوله صلى الله عليه وسلم :« إن أمره كله له خير » جملة تقابلها الجملة التي بعدها من ناحية الجرس وهي : « وليس ذلك لاحد الا للمؤمن » .

والجملتان الاخيرتان مثل واضح على الموازنة الدقيقة والمقابلةالتامة وانظر في الجملتين : « ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له » . « وان اصابته سراء شكر ، فكان خيرا له » .

فلا تزيد الجملة الثانية حرفا من ناحية العدد على الجملة الاولى ، وكل ما في الامر وضع كلمتي (ضراء) و (صبر) مكان (سراء) و (شكر) .

ـ« ياغلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله

---

(1) رواه مسلم عن ابي موسى الاشعري ، وانظره في « رياض الصالحين » باب التوبة ص ١٩

(2) رواه مسلم عن صهيب ، وانظره في « رياض الصالحين » باب الصبر ص٣١

تجده تجاهك . اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الاقلام وجفت الصحف ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك . واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » (١) .

ففي الشرط وجوابه « احفظ الله يحفظك .. اذا سألت فاسأل الله .. تعرف الى الله في الرخاء يعرفك .. » في ذلك موازنة تضفي على الاسلوب ايقاعا موسيقيا واضحا . وفي نهاية الحديث موازنة وتقابل بين جملتين : احداهما تقرر سعي الناس في أمر ، وتقرر الاخرى قضاء الله وقدره المحتم .

ج ـ اما السجع فقد سبق ان تحدثت عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه في موضع سابق ، والذي يهمني الآن أن أقرر دوره في اعطاء الكلام لونا من الموسيقى ، ولنقرأ هذا الحديث :

« يا أيها الناس : افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الارحام وصلّوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » (٢) .

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عباس ، والحديث الذي ذكرته من روايتين ، وانظره في « رياض الصالحين » باب المراقبة ص ٤٨

(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن سلام وانظره في « رياض الصالحين » ص ٣٥٦ باب فضل السلام ، وسبق ايراده ص ٧٠ .

ولنقرأ الحديث الآتي لنجد فيه السجع والمقابلة والموسيقى الداخلية للالفاظ : « بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم أعوذ بك أن أضل او أضل ، او أزل ، او أزل ، او أظلم او أظلم ، او أجهل او يجهل علي » [1] . ولنردد هذا الحديث لنرى التساوق في ايقاع الكلمات ، والسحر في لحن الموسيقى بشكل قل نظيره في أي كلام : « اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » [2].

وأخيرا فاني أود أن أشير الى أن موسيقى الحديث النبوي ذات ألوان تختلف باختلاف الغرض .

ففي مجال الوعظ والترهيب نجد القوة والفخامة .
وفي مجال الدعوة والترغيب نجد الرقة والليونة .
وفي الدعاء قبل النوم نجد اللحن الهادىء الخفيف .
وفي الدعاء عند الحرب نجد اللحن الحماسي العنيف . وهكذا ..

بهذه اللمحة ــ وهي غيض من فيض ــ يتضح لنا أن أسلوب الحديث يمتاز بالموسيقى الرائعة التي تعد من خصائص الاسلوب المبين .

الحوار في الحديث :

٦ ــ أسلوب الحوار محبب إلى النفس ، يضفي الحيوية على النص الأدبي الجميل ، ويدفع الملل والشرود ، ويشد انتباه السامع ، ويجعل الاقبال على متابعة النص أشد ، والذهن أكثر تفتحا وتجاوبا .

---

(١) رواه الترمذي وابو داود عن أم سلمة وانظره في « رياض الصالحين » باب التوكل ص ٥٨

(٢) رواه الترمذي عن ابي ذرو معاذ وانظره في « رياض الصالحين» ص ٤٧ باب المراقبة

وذكروا في وصف الحوار الجيد أنه يجب أن يحتوي على صفتين أساسيتين : التركيز والايجاز ، وقرروا أن الطول في العبــارة الحوارية يميت الحيوية •

وشأن الحوار الجليل ملموس في حياتنا العملية في مجالس الناس ، فالمتحدث الناجح لا يرتضي لنفسه أن يكون هو المتحدث الوحيد ،بل تراه حريصا على أن يشرك معه الحاضرين ، ويستثير اهتمامهم بخلق الحوار حتى يكون حديثه مقبولا ومسموعا •

ونعرف هذا ايضا في مجال التعليم • فالدرس الجيد قائم علــى مبدأ الحوار الذي يديره المدرس ، متخذا منه وسيلة لاداء المعلومات وايصالها الى اذهان تلامذته •

وقد كان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يتخذه أداة تعليمية يلجأ اليها ليحرك أذهان صحابته في الموضوع الذي يريد أن يتحدث فيه، حتى اذا انتهى أحدهم الى نتيجة بسبب هذه الاثارة الذهنية تطلع الى الرسول يصغي لحديثه ينظر : هل وفق الى السداد ؟

وتشترك في هذا التحفز كل قواه وطاقاته وأعصابه ، وعندئــذ يتمكن الجواب من نفسه أي تمكن ، وتتجلى روعته بأحلى صورة •

وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم طرق في اثارة الحوار •

فمن هذه الطرق :

١ ــ أن يأتي بجملة تبدو غريبة لأول وهلة ، وقد تكون معارضة لما تعلم الصحابة من أحكام هذا الدين الجديد ، فتستثير اسئلتهم •••

إنهم جيل مثالي رُبّوا تربيةً إسلامية فاضلة فهم لايسكتون على أمر يرونه غريبا أو متعارضاً مع ما فهموا من أحكام دينهم ••

ولنضرب على ذلك مثلا الأحاديث التالية :

عن أبي ذر أن ناسا قالوا : يارسول الله ذهب أهل الدثـور [1] بالاجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ويتصدقـون بفضول أموالهم قال : « أوليس الله قد جعل لكم ماتصدقون به ؟ ان بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صـدقـة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة ».

قالوا : يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر » [2] .

ففي قوله صلى الله عليه وسلم : « وفي بضع أحدكم صدقة » غرابة تثير حوارا ، وهذا ما حدث إذ أن الصحابة لم يستطيعوا السكوت عليها ، لان الذي وقر في أذهانهم أن الاجر انما يكون على الواجبات التي يتحمل المسلم في أدائها شيئا من المشقة ، أما الشهوات التي يمارس الانسان فيها غريزته فكيف يكون له فيها أجر إن أتاها ؟ فقالوا : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ فبين لهم صلى الله عليه وسلم أن تصريف الشهوات في السبيل الذي شرعه الاسلام عمل طيب يثاب عليه فاعله ، لانه ان وضع هذه الشهوة في الحرام كان مؤاخذا مذنبا .. وكذلك فان من يحمل نفسه على التزام احكام الشرع ولايتعدى حدود الله مثاب مأجور .

فإتيانه صلى الله عليه وسلم بهذه الجملة أثار حوارا مركزا حرك السامعين وجعلهم أكثر تجاوبا .

---

(١) أي الاموال ج دثر .

(٢) رواه مسلم وانظره في « رياض الصالحين » باب بيان كثرة طرق الخير ص ٧٥ .

• قال رسول لله صلى الله عليه وسلم : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما .

فقال رجل : يارسول الله ! أنصره اذا كان مظلوما ، أرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟

قال : « تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم فان ذلك نصره »[1] .

وهذا مثل آخر على استثارة الحوار « انصر أخاك ظالما » جملة غريبة أشد الغرابة ، لايمكن للفرد المسلم الذي ربي في مدرسة النبوة المحمدية أن يقر مثل ذلك ، لأنه يراها متعارضة مع ما فهمه من أحكام هذا الدين الذي يحارب الظلم ويأباه ، فلا بد من أن يثور في نفوسهم استغراب واستيضاح ، فينطلق صوت رجل سائلا بأدب وبجرأة أيضا : أرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟

وهنا يأتي التوضيح والبيان فيستقر الجواب في النفس أتم استقرار .

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار » .

قلت[2] : يارسول الله هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟

قال : « انه كان حريصا على قتل صاحبه »[3]

تقريره صلى الله عليه وسلم أن المقتول في النار يثير الاستغراب لاول وهلة عند سامع الحديث فيحمله ذلك على السؤال .. ويأتيه

---

(١) رواه البخاري عن أنس وانظره في « رياض الصالحين » باب تعظيم حرمات المسلمين ص ١٢٥ .

(٢) القائل هو نفيع بن الحارث الثقفي راوي الحديث .

(٣) متفق عليه من رواية نفيع بن الحارث رواه البخاري ١٢/١ في باب وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فسماهم المؤمنين . ومسلم ٨ / ١٧٠ في باب اذا تواجه المسلمان بسيفيهما وانظره في « رياض الصالحين » باب الاخلاص واحضار النية ص ١٥

الجواب . ويتولد من ذلك كله حوار مركز جميل .

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى » قيل : ومن يأبى يارسول الله ؟

قال : « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » [1]

سؤال في محله : من يأبى دخول الجنة ؟

أثار هذا السؤال استثناؤه صلى الله عليه وسلم : « إلا من أبى » .. ويأتي الجواب ، ويكون من ذلك هذا الحوار المركز الجميل .

هذه أحاديث أربعة ، وغيرها كثير [2] ، نرى فيها انه صلى الله عليه وسلم كان يحملهم على أن يسألوه ، وفي ذلك من بعث الحوار في الكلام القصير ما يأسر اللب ويستحوذ على الاعجاب .

٢ ـ ومن هذه الطرق أن يورد السؤال بشكل مشوق يرغبهم في أن يعرفوا الجواب . وذلك كأن يذكر لهم أمراً عظيماً ، ومقصداً هاماً ، وهدفاً مرجواً ، يسعى إليه كل مسلم . ثم بعد ذلك يورد السؤال : ألا أدلكم عليه ؟ ومن الطبيعي أن يكون الجواب من الصحابة : (بلى).

ومن ذلك الحديثان الآتيان :

الحديث الأول قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ »

قالوا : بلى يارسول الله .

قال : « إسباغ الوضوء على المكاره . وكثرة الخطا إلى المسجد ،

---

(١) رواه البخاري عن ابي هريرة ٦٧/٩ وانظر « فتح الباري » وانظره في «رياض الصالحين» باب الامر بالمحافظة على السنة وادبها ص٩٠

(٢) مثل حديث شتم الرجل والديه وانظره في « رياض الصالحين » باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم ص ١٦١

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط »[1] .

إن مايكون سبباً لمحو الخطايا ، ورفع الدرجات ، مطمح يسعى إليه كل مسلم . ويترقب السامعون الدلالة عليه ، ويصغون إليه ، ويعقدون العزم على فعله ، مشرقة نفوسهم ، مبتهجة قلوبهم .

الحديث الثاني قوله صلى الله غليه وسلم « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ » ثلاثاً . قلنا : بلى يارسول الله .

قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس ، فقال : « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .[2] هنا أمر مكروه تأباه النفوس المؤمنة ، والقلوب التي تخشى الله سبحانه .. أكبر الكبائر .. إنه شيء مخيف ... ويكرر صلى الله عليه وسلم السؤال ثلاث مرات بتوجس وخيفة : بلى يارسول الله . وعندئذ يأتيهم الجواب .

وهكذا فإن الحوار في مثل هذه النماذج كان نتيجة لسؤال مهم يطرحه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيهيء الأذهان للسماع حتى لايكون التقرير المجرد ، ويأتي الجواب بعد ذلك .

وقد نجد أحيانا أحاديث من هذا القبيل ولكن ليس فيها جواب

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة ١٥١/١ وانظره في « رياض الصالحين » باب بيان كثرة طرق الخير ٧٨ .

(٢) متفق عليه من رواية أبي بكرة نفيع بن الحارث رواه البخاري في صحيحه ١٥٠/٣ ورواه مسلم في صحيحه ٦٤/١ وانظره في « رياض الصالحين » باب تحريم العقوق و قطيعة الرحم ص ١٦١ .

السامعين بل فيها السؤال والجواب كما في الحديث الآتي : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم »[1]

٣ ــ ومن هذه الطرق أن يوجه صلى الله عليه وسلم الى الصحابة سؤالا ، ويستمع الى أجوبتهم ، ثم يناقشهم في هذه الاجوبة . ويبين لهم الصواب .. وقد يعتذرون عن الاجابة ويقولون : الله ورسوله أعلم فيدلي بالجواب . ولننظر في الامثلة :

• قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون من المفلس ؟» . قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

فقال : « ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت ، عليه ثم طرح في النار »[2] .

لو ألقى صلى الله عليه وسلم على الصحابة تعريف المفلس دون اثارة هذا الحوار ، لكان من الممكن أن يمر على آذان السامعين مرورا مؤقتا ، سرعان ما ينسون مضمونه ، ولكن تبين لهم بعد هذا الحوار أن المفلس غير ما كانوا يعهدون ... ومن أجل ذلك فانهم لاينسونه أبدا .

• ومثله حديث جبريل الطويل حيث سأل الرسول صلى الله

---

(١) رواه مسلم ٥٣/١ . وانظره في « رياض الصالحين » . باب فضل السلام والأمر بانشائه ص ٣٥٦ .

(٢) رواه مسلم عن ابي هريرة ١٨/٨ . وانظره في « رياض الصالحين » ١٨/١٨ باب تحريم الظلم ص ١١٩ .

عليه وسلم بعد انطلاقه : « أتدري من السائل ياعمر ؟ » قال عمر : قلت: الله ورسوله أعلم • قال صلى الله عليه وسلم : « فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم »[1] •

• ومثله حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فما تعدون الصرعة فيكم ؟» قلنا : الذي لاتصرعه الرجال • قال : « ليس ذلك ، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب »[2] •

٤ ـ وهناك حوار نجده في الحديث ليس مما تقدم •• بل هو حوار عادي لم يتعمده الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنها الوقائع أملته •• فوصل إلينا على شكل حوار ، غير أنني أقدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرحب بمثل هذه المحاورات أشد الترحيب لانها مما كان يحرص عليه كما رأينا •

فهذا أبو ذر يتوجه من تلقاء نفسه بسؤال بل بسلسلة من الأسئلة ويطرحها على الرسول صلى الله عليه وسلم فيتولى صلوات الله وسلامه عليه اجابته على أسئلته ولنستمع الى أبي ذر :

قلت : يارسول الله أي الاعمال أفضل ؟

قال : « الايمان بالله والجهاد في سبيل الله » •

قلت : أي الرقاب أفضل ؟

قال : «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا » •

قلت : فان لم أفعل

قال : « تعين صانعا أو تصنع لاخرق » [3]

---

(١) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب ٢٩/١ وانظره في « رياض الصالحين » باب المراقبة ص ٤٧

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٣٠/٨ في كتاب البر والصلة باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وقد تقدم برواية أخرى •

(٣) الاخرق : الذي لايتقن ما يحاول فعله

قلت : يارسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟

قال : «تكف شرك عن الناس ، فانها صدقة منك على نفسك »[1].

والامثلة على هذا النوع كثيرة [2] . لان الصحابة كانوا من الحرص على معرفة أحكام دينهم بمكان كبير ، ومن أجل ذلك فما أكثر ما نجد الاحاديث التي بنيت على أسئلة ومن ذلك أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : « تطعم الطعام . وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » [3] .

٥ ـ وهناك أحاديث صيغت على شكل قصص قصيرة ، قصها رسول الله صلى عليه وسلم على المسلمين للعظة والعبرة والدعوة ، ولا يخلو حديث منها من الحوار الرائع الموحي المعبر ، وهذا طبيعي ما دامت قد وردت على شكل أقاصيص .. فالحوار دعامة القصة وأساس أصيل فيها .

والامثلة على ذلك كثيرة ، ولكن طولها النسبي يحول دون الاستشهاد بها في هذه العجالة فأكتفي بالاشارة اليها .

فمن ذلك حديث الاعمى والاقرع والابرص [4] .

---

(١) متفق عليهمنرواية ابي ذر وانظره في « رياض الصالحين » باب بيان كثرة طرق الخير ص ٧٤ .

(٢) مثل حديث عمرو بن عبسة الوارد في باب الرجاء من « رياض الصالحين » ص٢٠٢

(٣) متفق عليه من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص وانظره في « رياض الصالحين » في باب فضل السلام ص ٣٥٥

(٤) انظر الحديث في باب المراقبة من « رياض الصالحين » ص ٤٩

وحديث القاتل والراهب والعالم (١) وحديث الملك والساحر والغلام (٢) وحديث جريج (٣) وغيرها كثير •

وهكذا نرى أن الحوار أسلوب كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرتضيه ويعمل على اثارته لما فيه من الحيوية والجمال ، والشيء الذي يستحق التسجيل أن الحوار انما يطلب في الكلام الطويل والقصص والروايات أما أن يكون في مثل هذا الحيز الضيق والكلام القصير، ويكون بمثل هذا التوفيق فهو مجل التقدير والاعجاب •

الايجاز :

٧ ــ من خصائص أسلوب الحديث النبوي الإيجاز :

والايجاز ــ عند البلاغيين ــ هو تأدية المعاني الكثيرة بالالفاظ القليلة ، وهو قسيم المساواة والاطناب عندهم •

ويقوم ــ في العصر الحاضر ــ جدل حول الايجاز وموقف علماء البلاغة منه ، ومن الذين أثاروا هذا الحوار ، العلامة الفاضل الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله تعالى بما ينم عن أصالة وحسن تذوق في كتابه القيم : « النبأ العظيم » وهو يرى أن الايجاز هو المقدار الذي يؤدى به المعنى بأكمله بأصله وحليته على حسب ما يدعو اليه المقام من اجمال وتفصيل بغير اجحاف ولا اسراف ، ويعتبر أن كل من نقص عن هذا القدر أو زاد حائد عن الجادة بقدر ما نقص أو زاد •

فالكلام الطويل ان حوى كل جزء فيه فائدة تمس الحاجة اليها ولا يسهل أداء تلك الفائدة بأقل منه كان هو عين الإيجاز المطلوب، وإن

---

(١) انظره في باب التوبة من « رياض الصالحين » ص ٢٠

(٢) انظره في باب الصبر من « رياض الصالحين » ص٣٣

(٣) انظره في باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء من « رياض الصالحين » ص١٣٤

أمكن أداء الاغراض فيه كاملة بحذف شيء أو بإبداله بعبارة أخصر منه كان حشوا أو تطويلا معيبا .. والكلام القصير ان وفى بالمقاصد الاصلية والتكميلية المناسبة لمقتضى الحال كان هو التوسط المطلوب ، والا كان بترا أو تقصيرا معيبا .(١)

وهذا الرأي سديد فيما أرى على أن ننبه الى أن الايجاز مراتب ، فمنه ما يبلغ حد الاعجاز وهو القرآن الكريم ، ومنه ما يبلغ الكمال في البيان البشري ، وهو ما نجده في جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، ومنه ما دون ذلك .

ومهما يكن من أمر هذا الجدل فان اجماع النقدة قديما وحديثا منعقد على الثناء على الايجاز وتقديمه ، واحلاله المرتبة السامية في الكلام العربي المبين ، وعلى أنه أشد تأثيرا في السامعين ... وقرروا أنه لا يقوى عليه الا الفصحاء الأبيناء ولهم في ذلك أقوال عديدة تبين منزلته ومزاياه ، كقولهم : البلاغة الإيجاز .

والإيجاز قوة في التعبير ، وامتلاك لناصية اللغة ، وهو أصلح للحفظ والرواية والتمثيل ، ولابد في الإيجاز المعتبر من الوضوح التام ، فإن لم يكن الكلام وافياً بالغرض دالاً على المراد فهو الإخلال ، وهو عيب في الكلام كالتطويل .

ولا يؤتى الإيجاز إلا من رزق حدة في الذهن ، وإرهافاً في الإحساس البياني ، ومعرفة تامة بدلالة المفردات ، وإدراكاً واعياً لأحوال المخاطبين. وقد اجتمع ذلك كله في الرسول صلى الله عليه وسلم على أكمل وجه .

---

(١) انظر « النبأ العظيم » للدكتور محمد عبد الله دراز ص ١٤٣

والإيجاء هو السمة البارزة التي تميز الحديث النبوي ، وبذلك وصفه البلاغيون والنقاد :

قال ابن رشيق القيرواني المتوفى سنة ٤٦٣ هـ بعد أن أورد عدة أحاديث أمثلة على الإيجاز : (ومثل هذا كثير ، في كلامه صلى الله عليه وسلم • ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالإيجاز وقد قال : « أعطيت جوامع الكلم ») [1] .

وقال أبو هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ بعد أن أورد روائع من كلامه صلى الله عليه وسلم : (فمعاني هذا الكلام أكثر من ألفاظه ، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فحلّها وابنها بناءً آخر ، فإنك تجدها

---

(١) « العمدة » لابن رشيق ج ١ ص ٢٢٤ والحديث الذي ذكره متفق عليه فقد اخرجه البخاري في كتاب الجهاد في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب ٤/ ٤٣ وفي كتاب التعبير في باب رؤيا الليل ٢٩/٩ بلفظ « أعطيت مفاتيح الكلم » وفي باب المفاتيح في اليد ٣٢/٩ وفي كتاب الاعتصام في باب قول النبي (ص) « بعثت بجوامع الكلم » ٧٥/٩ واخرجه مسلم في كتاب المساجد ٦٤/٢ عن ابي هريرة ، وانظر « فتح الباري » ٢٤٧/١٣ واخرجه الدارقطني عن ابن عباس في « السنن » ١٤٤/٤ بلفظ « أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الحديث اختصارا » وأورد ابن كثير هذا الحديث في « البداية والنهاية » ١٩٨/١ بلفظ : « أيها الناس إني قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لي اختصارا » وانظر تفسير ابن كثير ٥٠٣/٢ أول سورة يوسف، وعزاه السيوطي في « الجامع الصغير » الى أبي يعلى في مسنده عن عمر وانظر « ضعيف الجامع الصغير للالباني وقال المناوي في « فيض القدير » ٥٦٣/١ : ورواه عن عمر أيضا البيهقي في « شعب الايمان » .

في أضعاف هذه الألفاظ)[1] .

وكذلك صنع ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧ هـ عندما علق[2] على نماذج أوردها من كلامه صلوات الله عليه وسلامه قائلا : (وكلام النبي صلى الله عليه وسلم كله هكذا كما قال : « أوتيت جوامع الكلم »[3]).

وقد أكثروا من الاستشهاد بكلامه عليه الصلاة والسلام على الإيجاز .

وكان يغلب على البيان النبوي الرفيع القصر ، فقلما كان يطيل عليه الصلاة والسلام اذا تكلم ، الا ما يروى عنه في بعض الحالات اذا اقتضت المصلحة ذلك .

فقد روى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد العصر ولم يزل يخطب حتى لم يبق من الشمس الا حمرة على أطراف السعف[4] .

وليس معنى هذا أن كلامه صلى الله عليه وسلم في هذه الخطب الطويلة قد جانب الايجاز ، فاننا عندما ننظر في هذه الخطب الطوال التي رويت نجد سمة الايجاز ملازمة لجملها واقرؤوا ـ ان شئتم ـ ما نقل أبو سعيد الخدري من هذه الخطبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فينظر

---

(١) « الصناعتين »لابي هلال العسكري ص ١٧٨

(٢) « المثل السائر » لابن الاثير ج ٢ ص ١١٦

(٣) انظر تخريجه في التعليق رقم ١ من الصفحة ١٠٧ .

(٤) انظر « اعجاز القرآن » للباقلاني ص ١٣٣ و « وحي الرسالة » ١١٥/٣ وقد أخرجه أحمد ١٩/٣ بنحوه وسنده ضعيف

كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة اسرائيل كانت في النساء »[1] .

والرائع في ايجاز الحديث أنه بعيد عن التكلف ، وأنه كان سجية للنبي صلى الله عليه وسلم يصدر عنها في حديثه كله ، طويله وقصيره ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر به أصحابه فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لجرير بن عبد الله البجلي :« ياجرير اذا قلت فأوجز ، واذا بلغت حاجتك فلا تتكلف »[2] .

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الثرثرة والثرثارين ، فقدقال : « إن أبغضكم مني مجالس يوم القيامة أساوئكم أخلاقا والثرثارون المتشدقون [3] المتفيهقون »[4] .

---

(١) رواه مسلم وانظر في « رياض الصالحين » باب التقوى ص ٥٢ .
(٢) نقل هذا الحديث المبرد في « الكامل » ١/٥ والدكتور دراز في « النبأ العظيم » ص ١٤٣

(٣) المتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه . والمتفيهق : أصله من الفهق وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويغرب به تكبرا وارتفاعا واظهارا للفضيلة على غيره وانظر « رياض الصالحين » ص ٢٨١

(٤) رواه احمد في « مسنده » عن ابي ثعلبة الخشني ١٩٣/٤ ونصه : « إن احبكم الي واقربكم مني في الآخرة محاسنكم اخلاقا ، وان ابغضكم الي وابعدكم مني فيالآخرة مساويكم اخلاقا :الثرثارون المتفيهقون المتشدقون » ورواه بطريق آخر عن ابي ثعلبة ١٩٤/٤ . ورواه الترمذي عن جابر في باب معالي الاخلاق ١٥٠/٣ ونصه :«إن من احبكم الي واقربكم

وروي أن اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « **كم دون لسانك من حجاب** » ؟ قال : شفتاي وأسناني • قال : « **فإن الله عز وجل يكره الانبعاق في** الكلام ، فنضر الله وجه امرىءٍ **أوجز في كلامه فاقتصر على حاجته** »[١]

وقد جمع الايجاز النبوي الى احتوائه على المعاني الكثيرة الخصائص الأسلوبية التي سبق أن تحدثنا عنها •

وبعد فان تاريخ القول عرف نماذج من الايجاز في الجاهلية وصدر الاسلام وفي العصور التي تلتها ، ولكنها قلما كانت تخلو من التكلف ، ومن أجل ذلك فقد تجردت من القوة في السبك ، والجمال في التعبير ، والصدق في البيان وهذا مايجعل الايجاز في كلام النبي صلى الله عليه وسلم فذا قليل النظير في كلام البشر •

مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ، وان من ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يارسول الله ! قد علمنا الثرثارين والمتشدقين ، فما المتفيهقون ؟ قال « المتكبرون » . رواه ابن حبان (انظر « موارد الظمآن » ص ٤٧٤)عن أبي ثعلبة بلفظ : « إن احبكم الي واقربكم مني في الآخرة احاسنكم اخلاقا ، وابعدكم مني في الآخرة اسوؤكم اخلاقا المتشدقون المتفيهقون الثرثارون » وروى الخرائطي في « مكارم الاخلاق » ص٥ الجزء الأول من الحديث واورده ابن كثير في « التفسير » ٣/٤٤٩ . وانظر الحديث وشرحه في « الكامل » للمبرد ٣/١ وفي« رياض الصالحين » ٢٨١ باب حسن الخلق

(١) انظر الحديث في كتاب « أدب الدنيا والدين » ص ٢٥٢ بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا . والانبعاق : الانصباب في الكلام بشدة .

ولنورد بعض الامثلة :

• عن سفيان بن عبد الله قال : قلت : يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك .

قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » [1] .

كلمتان اثنتان جمعتا كل خير ، واحاطتا بجوانب الاسلام كلها ، حتى قال النووي فيه : هذا أحد الاحاديث التي عليها مدار الاسلام .

لقد أشار هذا الحديث الى ركني الحياة السامية : تلك الحياة التي حرص الاسلام على أن ينعم بها كل إنسان ، هذان الركنان هما :

• العقيدة الحقة

• والسلوك المستقيم

فالايمان بالله يمثل العقيدة الصالحة الحقة ، وليست هناك عقيدة تقوى على منافسة الايمان بالله أبدا ، وهو يصوغ للمسلم التصور الصحيح للكون والحياة ،ويحل له المشكلات الفكرية التي يحار الفكر البشري بشأنها ، ويحرره من كل عبودية ، ويحله في المنزلة الرفيعة التي لا يليق غيرها بالانسان .. ويهبه من القوة ما يذلل له كل عقبة ، ويحقق له كل أمل ويجعله قادرا على أن يأتي بالاعمال الجسيمة ، ويطمح الى معالي الامور .

والاستقامة على ما يقتضيه هذا الايمان تمثل السلوك الذي يثبت ايمان صاحبه وصدقه في ذلك .

---

(١) رواه مسلم واحمد والدارمي وابن حبان في « صحيحه » والطبراني والحاكم والبيهقي . وانظره في« رياض الصالحين » ص٦٠ — باب الاستقامة .

فما أسهل الدعوى ان بقيت في حيز القول ، غير أن العمل الصالح ، والسلوك النظيف ، والمعاملة الطيبة كل أولئك يكون ترجمة حية وعملية لإيمان المؤمن . وهل هناك شيء من الخير لا يدخل في مفهوم هاتين الكلمتين :

الايمان بالله — والعمل بمقتضى الايمان ؟

أجل لقد جمع هذا الحديث مبادىء الاسلام . وخيري الدنيا والاخرة : (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا • فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون • أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) • [1]

• عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجزمن اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني » [2] •

في الشطر الاول من الحديث تحديد الكياسة ، التي يحرص الناس جميعا على أن يتحلوا بها ، فالرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يبين لنا صفات الكيس بايجاز ليس يسمو فوقه ايجاز ، فيقرر أن من مستلزمات الكياسة أن يحاسب المسلم نفسه قبل أن يحاسب ، ويعمل

---

(١) الاحقاف ١٣ و١٤

(٢) رواه الترمذي والحاكم وابن ماجة وأحمد وانظره في « رياض الصالحين » ص ٥١ . قال الشيخ ناصر : سنده ضعيف ، فيه أبو بكر ابن أبي مريم ، وكان اختلط . راجع تعليقنا على « المشكاة » ٥٢٨٩ .

للدار الآخـرة • فالمحاسبة وسيلة رائعة مـن وسائل تقويـم النفس وترويضها وحملها على الجادة السوية • انها خطوة تحول بين الانسان والغفلة والانزلاق في مهاوي الانحراف •• وانها الضمان الواقي للمرء من ان يتسلط عليه ضعفه ، أو تستعبده الشهوات الآثمة واللذائـذ المحرمة • ان المحاسبة لتسهل على المسلم أن يتخلص تدريجيا من كثير من عاداته السيئة ، وهي تمثل اليقظة الدائمة التي تميزه من غيره من النـاس •

أما العمل للدار الآخرة فذاك يرتبط بالكياسة أشد الارتباط • ان حياتنا لن تنتهي بالموت ، بل الموت مقدمة لحياة أبدية لا انتهاء لها •• فالعاقل هو الذي لا تخدعه المتع الرخيصة التافهة عن العمل لتلك الحياة الخالدة ، ورأس مال المسلم هو هذا الوقت الذي يقضيه على هـذه الارض ، قبل أن يأتيه أجله ، ولاتكون تنمية رأس ماله الا بأن يعمل للدار الآخرة بالقيام بالواجبات ، وبترك المحظورات ، والتقرب الى خالقه بالقربات •

وفي الشطر الثاني من الحديث تحديد للعجز الذي يأبى الناس جميعا الاتصاف به ويكرهون أن يعرفوا به • ويذكر رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أن العجز الحقيقي انما هو في هزيمة المرء أمام نفسه ، وفي انهيار ارادته ازاء شهوته ، وفي أن يتمنى الاماني الكبيرة علـى اللـه وعمله سيء • اما اتباع النفس الهوى فهو الآفة التي يئن منهـا المجتمع ، والتي يسقط بسببها عدد ممن يظنون انهم رجال •• ان الازمة

التي يعانيها المسلمون في كل زمان هي ضعف الارادة وانهزامها أمام الشهوات والاهواء . فالعاجز هو الذي يتتبع الشهوات ، لا تعرض له شهوة تلوح له بحسنها وتغريه بلذاتها حتى يسعى متهافتا وراءها .. والشهوات كثيرة .. وقدبرع زبانية الشر وأنصار الشيطان في تزيين الشهوات ، والزيادة في اغرائها براعة منقطعة النظير . ومن هنا كان الذي يتمرد على سلطان الهوى هو المبرأ من العجز .

ويقرر الحديث أمرا آخر يلازم هذا العاجز الاحمق وهو أن يتمنى على الله الاماني وهو على حالته من تتبع الشهوات،والانغماس في المخالفات ، كأن المكاسب الكبيرة تنال بالاماني فقط .

فيا لعجزه ...و يا لحماقته ..

وسأكتفي بايراد أمثلة اخرى دون تعليق :

• عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » (١) .

• وقال صلى الله عليه وسلم : « حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره » (٢) .

---

(١) رواه البخاري وانظره في « رياض الصالحين » ص٦٦ باب المجاهدة وفي « مبارق الازهار » ٢/١٦١ ومعنى الغبن : الخسران في المعاملة .

(٢) رواه البخاري ومسلم وانظره في « رياض الصالحين » ص ٦٧ باب المجاهدة . وفي « مبارق الازهار » ٢/٢٣١ .

• وقــال صلى اللــه عليه وسلــم : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم : حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[1] .

• وقال : « اذا لم تستح فاصنع ما شئت »[2] .

• وقال : « ان من البيان لسحرا »[3] .

• وقال : « الاحسان أن تعبد اللــه كأنك تراه فان لــم تكن تراه فانه يراك »[4] .

• وقال : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى »[5] .

وهذا قل من كل ، وعامة أحاديثه صلى اللــه عليه وسلم تتسم بالايجاز وكونها جوامع الكلم[6] .

---

(١) رواه مسلم ٨/١٨ وانظره في «رياض الصالحين» ص ١١٥ باب تحريم الظلم .

(٢) رواه البخاري وابو داود وابن ماجه عن ابن مسعود ، واحمد عن حذيفة . وانظر « جامع الاصول » لابن الاثير ٣٤/١

(٣) رواه البخاري وابو داود واحمد ومالك والترمذي عن ابن عمر وانظره في « الصناعتين » ص ١٧٨ .

(٤) رواه مسلم وابو داود ، والترمذي والنسائي عن عمر ، ورواه مسلم والبخاري واحمد وابن ماجه عن ابي هريرة .

(٥) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن عمر وانظر « جامع الاصول » لان الاثير ١١٨/٢ .

(٦) ومن المفيد ان نشير الى ان الحافظ ابا نعيم الف كتابا عنوانه « الايجاز وجوامع الكلم » ذكره الحافظ العراقي في « المغني عن الاسفار » ٢١٥/١ و ٢٢٢ .

الاصالة :

٨ ـ الخاصة الثامنة من خصائص أسلوب الحديث : الاصالة ، قال الاستاذ أحمد حسن الزيات : الاصالة أن يكون أسلوب الرجل خاصا به ، لا ينهج فيه نهج غيره ، وأن تكون في عباراته طرافة وجدة مع حلاوة ملموسة ، تحمل من يأتي بعده أن يحرصوا على اقتباسها واستعمالها .

ويراد بالاصالة في الاسلوب بناؤه على ركنين أساسين : من خصوصية اللفظ ، وطرافة العبارة . وتلك هي الصفة الجوهرية للاسلوب البليغ .

وملاك الاصالة أن لا تكتب كما يكتب الناس ، وأن تكون أصيلا في نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظا عاما ، ولا تعبيرا محفوظا ، ولا استعارة مشاعة [١] .

أما خصوصية اللفظ فهي دلالته التامة على المعنى المراد ، ووقوعه الموفق في الموقع المناسب ، وآية مطابقته لمعناه ومبناه انك لا تستطيع أن تبدله ولا أن تنقله .

والخصوصية في اللفظ أصل الدقة في التعبير ، والوضوح في المعنى ، والصدق في الدلالة ، لان الكلمة اذا تمكنت في موضعها الاصيل دلت على المعنى كله ، فإذا حشرت فيه حشرا ، أو قسرت عليه قسرا دلت على بعض المعنى أو أبانت عن غيره .

وفي اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع لان الكلمة ميتة مادامت في المعجم فاذا وصلها الكاتب أو الاديب أو الشاعر بأخواتها في التركيب ،

---

(١) انظر « دفاع عن البلاغة » للاستاذ الزيات

ووضعها في موضعها الطبيعي من الجملة دبت فيها الحياة وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون [1]

والكلمة في الجملة ، كالقطعة في الآلة اذا وضعت في موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الالة والا ظلت جامدة .

أما طرافة العبارة فأساسه الابتكار في حكاية الخبر ، وتصوير الفكر ، وتقويم الموضوع ، وهيهات أن تجد الكلمة المبتكرة التي تثير الاعجاب ، وتحدث الاثر ، وتحرك الفتنة الا اذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدذ الفروقو تجدد العلاقة وتبعث الحركة .

وبخصوصية الكلمة ، وجدة العبارة ، يتحقق الطبع في الاسلوب [1] .

وقد اتصف الحديث النبوي الشريف بالاصالة في الكلمة ، والتركيب ، والطبع .

وتتضح فيه الاصالة في الكلمات الحديثة كما تتضح الاصالة في العبارات الحلوة والتراكيب الجميلة التي ارتجلها الرسول صلى الله عليه وسلم لاول مرة . قال الخطابي : (ومن فصاحته أن تكلم بألفاظ اقتضبها ، لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدم كلامها كقوله:

« مات حتف أنفه »[2]

و « حمي الوطيس »[2].

و « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[2].

---

(١) انظر « دفاع عن البلاغة » من ص ٨١ حتى ص ٨٩ .

(٢) انظر دلائل الاعجاز ٣١٠ والبيان والتبيين ١٥/٢ والحيوان ٣١٥ . « البداية والنهاية » ٣١٣/٣ وانظر هناك السبب الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث من اجله.

وفي ألفاظ عديدة تجري مجرىا لامثال)[1] . ومن هذه الجمل المـأثورة قولـه :

« كـل الصيد في جوف الفرا »[2] . وقوله : « هدنـة على دخن »[3] . وقوله : « لا تنتطح فيه عنزان »[4] .

ويتجلى لنا في الحديث الطبع الذي هو سمة الاصالة وتتيجتها ، الطبع الصافي الذي يورث الاسلوب الدقةوالحيوية والوضوحوالروعة.

هذه اهم خصائص أسلوب الحديث ، وهناك خصائص أخـرى غيرها كتأثره بأسـلوب القرآن ، ولكنا اقتصرنا على ذكر ما رأينـاه المهـم منهـا .



(١) « المزهر » ١/٣٠٩ .
(٢) ضعيف لارساله انظر « كشف الخفاء ٢/١٢١ — ١٢٢ .
(٣) قال الشيخ ناصر الدين : لم أجده .
(٤) قال الشيخ ناصر الدين : ضعيف . وانظر الحيوان ١/٣٣٥ والبيان والتبيين ١٥/٢

الفصل الخامس

موازنة بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث

ان هذه الموازنة توضح الفرق الكبير بين الاسلوبين ، بما لا يدع مجالا للتردد في أن مصدري هذين الاصلين مختلفان .

وقد كتب في هذا الموضوع عدد من المؤلفين القدامى والمحدثين [1] . فقرروا أن الحديث جاء على الاسلوب المعتاد للعرب في التخاطب وان كان قد ارتقى في سلم البيان والبلاغة الى درجة عالية . أما القرآن فهو أسلوب مبتكر لا شبيه له فيما يعرف من كلام العرب . وسأورد بعض ما قاله هؤلاء العلماء فيما يأتي :

١ ـ قال البلاقلاني : « والذي يصور عندك ما ضمنا تصويره ويحصل لديك معرفته اذا كنت في صنعة الادب متوسطا ، وفي علم العربية متبينا أن تنظر أولا في نظم القرآن ، ثم في شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فتعرف الفصل بين النظمين والفرق بين الكلامين .

---

(١) ومنهم الباقلاني في « اعجاز القرآن » والاستاذ الرافعي في الجزء الثاني من « تاريخ آداب العرب » والاستاذ مصطفى الزرقا في رسالته « في الحديث النبوي » والدكتور معروف الدواليبي في كتابه « المدخل الى أصول الفقه » والاستاذ الزرقاني في « مناهل العرفان » .

فان تبين لك الفصل ، ووقعت على جلية الامر وحقيقة الفرق فقد أدركت الغرض وصادفت القصد » [٢] .

ثم روى للنبي صلى الله عليه وسلم سبع خطب وكتابين ثم قال : « ولا أطول عليك وأقتصر على ما ألقيته اليك ، فان كان لك في الصنعة حظ أو كان لك في هذا المعنى حس ، أو كنت تضرب في الادب بسهم ، أو في العربية بقسط ــ وان قل ذلك السهم أو نقص ذلك النصيب ــ فما أحسب أن يشتبه عليك الفرق بين براعة القرآن وبين ما نسخناه لك من كلام النبي في خطبه ورسائله . وما عساك تسمعه من كلامه ويتساقط اليك من ألفاظه ، وأقدر أنك ترى بين الكلامين بونا بعيدا ، وأمدا مديدا ، وميدانا واسعا ومكانا شاسعا ، فان قلت : لعله أن يكون تعمل للقرآن وتصنع لنظمه ، وشبه عليك الشيطان ذلك من خبثه فتثبت في نفسك . وارجع الى عقلك ، واجمع لبك ، وتيقن أن الخطب يحتشد لها في المواقف العظام ، والمحافل الكبار ، والمواسم الضخام ، ولا يتجوز فيها ، ولا يستهان بها ، والرسائل الى الملوك مما يجمع لها الكاتب جراميزه ويشمر لها عن جد واجتهاد ، فكيف يقع بها الاخلال ؟ وكيف تعرض للتفريط ؟ فستعلم لا محالة أن نظم القرآن من الامر الالهي وأن كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الامر النبوي .

فاذا أردت زيادة في التبين . وتقدما في التعرف ، واشرافا على الجلية وفوزا بحكم القضية . فتأمل هداك الله ما ننسخه من خطب الصحابة والبلغاء . لتعلم أن نسجها ونسج ما نقلنا من خطب النبي صلى الله عليه وسلم واحد . من التفاوت بين كلام الفصيحين وبين شعر الشاعرين ، وذلك أمر له مقدار معروف وحد ينتهي اليه مضبوط .

---

(٢) « اعجاز القرآن » ص ١٢٧ تحقيق الاستاذ الصقر .

فإذا عرفت أن جميع كلام الآدمي منهاج ، ولجملته طريق ، وتبينت ما يمكن فيه من التفاوت ونظرت الى نظام القرآن ، نظرة أخرى وتأملته مرة ثانية فتراعي بعد موقعه ، وعالي محله وموضعه) .

ثم أورد بضع عشرة خطبة وكتابا لعدد من الصحابة والخلفاء والخطباء وقال بعد ذلك : (قد نسخت لك جملا من كلام الصدر الاول ومحاوراتهم وخطبهم ، وأحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنفة في هذا الشأن . وتأمل ذلك وسائر ما هو مسطر من الاخبار المأثورة عن السلف وأهل البيان واللسن والفصاحة والفطن ، والالفاظ المنثورة ، والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ، ثم انظر بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفريغ لب ، وجمع عقل في ذلك ، فسيقع لك الفضل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين ، وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الادميين ، وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ ، والخطيب والخطيب ، والشاعر والشاعر ، وبين نظم القرآن جملة)[1] .

٢ — ومما قاله المحدثون في هذا الموضوع : (على أن أعجب شيء أنك اذا قرنت كلمة من تلك البلاغة الى مثلها مما في القرآن رأيت الفرق بينها في ظاهره كالفرق بين المعجز وغير المعجز سواء ، ورأيت كلامه صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة خاصة مما يطمع في مثله ، وأحسست أن بين نفسك وبينه صلة تطوع لك القدرة عليه : وتمد لك أسباب المطمعة فيه ، بخلاف القرآن فانك تستيئس من جملته ولا ترى لنفسك اليه طريقاً البتة ، إذ لا تحس منه نفسا انسانية ولا أثراً من آثار هذه النفس ، ولا حالة من حالاتها حتى تأنس الى ذلك على التوهم ثم تتوهم

(١) « اعجاز القرآن » ص ١٥٤ .

الطمع والمعارضة من هذه الأنسة فتمضي عزمك ، وتقطع برأيك وتبت القول فيه كما يكون لك قراءة الكلام الانساني ، فان جميع هذا الكلام الآدمي منهاج ولجملته طريق ، وحدود البلاغة التي تفصل بعضها عن بعض ، كلها مما يوقف عليه بالحس والعيان ، ويقدر فرق ما بين بعضها الى بعض مهما بلغ من تفاوتها واختلافها في السبك والصنعة والغرابة .

بيد أن ذلك مما لا يستطاع في القرآن ولا وجه اليه بحال من الاحوال ، فما هو الا ان تقرأ الآية منه حتى تراها قد خرجت من حد المألوف ، وانسلت منه ، وفاتت سمت ما قدرت لها من مطلع ومقطع ، فمهما وجدت لاتجد سبيلا الى حدها ، ومهما استطعت لا تستطيع أن تقرن بها كلاما تعرف حده في البلاغة ، ان لم يكن بالصنعة فبالحس .

وهذا وجه من أبين وجوه الاعجاز في القرآن ، وقد جاء من طبيعة تركيبه، وأنه لا أثر فيه من آثار النفس الانسانية ، وعليه قول الجاحظ في كتاب « النبوة » وان كان لم يهتد الى تعليله : لو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم (أي العرب) سورة قصيرة أو طويلة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعا أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها ابلغ العرب لاظهر عجزه عنها) [1] .

٣ ـ ومما قاله المحدثون في الموازنة بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن : (الفرق عظيم جدا بين أسلوب القرآن واسلوب الحديث في طريقة البيان العربي ، فبينهما شقة واسعة ، لا يشبه احدهما الآخر ، لدى أهل البصر باللغة وأساليبها وبالمأثور المألوف من بيانهـا : قديمه وحديثه .

---

(١) انظر « تاريخ آداب العرب » ٢/٣٦٦

وان هذا التفاوت الكبير في الاسلوبين اذا انعم الانسان النظر فيه وكان ذا ملكة بيانية لا يترك لديه مجالا للشــك والريبة في أن الحديث النبوي والقرآن صادران عن مصدرين مختلفين ، ولقد تقدمت في العصر الحديث دراسة الاساليب بشكل اصبح الدارسون يستطيعون فيه تحديد معالم الشخصية لصاحب النص بشكل دقيق ، وقد يذكرون تاريخ حياته وصفاته ومقدرته العلمية من النظر في آثاره، وقد أصبح في حكم المقرر أن الاسلوب جزء من شخصية المرء لا يملك ان يحور فيه ولا أن يعدل ، وهذا أمر ملموس مقرر ، **اذ أنك لو جئت** لانسان درس اسلوب شاعر ما بأبيات لم يسبق أن اطلع عليها فسرعان ما يحكم على أنها من شعره .

فالحديث جاء على الاسلوب المعتاد للعرب في التخاطب وان كان قد ارتقى في سلم البيان والايجاز والبلاغة الى درجة عالية ، أما القرآن فهو أسلوب مبتكر لا شبيه له فيما يعرف من كلام العرب فلقد قــرر الاحكام وجاء بقصص الانبياء المتقدمين ، وأورد مواعظ مؤثرة ودعا الى أخلاق فاضلة بأسلوب منقطع النظير .

فلو اخذ قانون تشريعي وقورن بأحكام القرآن الآمرة الناهية لما كان له به شبه في الاسلوب اصلا ولو اتحد موضوع الامر والنهي فيهمـــا .

واذا اخذ كتاب تاريخ وقورن بما في القرآن من قصص تاريخي لما وجــد ايضا بينهما شبه في الاسلوب ولو انهما عالجا قصة واحدة .

ولو اخذ كذلك كتاب مواعظ واخلاق وقورن بما في القرآن من مواعظ لما كان بينهما ايضا شبه اصلا في الاسلوب ولو اتحد الموضوع .

انــه صورة جديدة مبتكرة في البيان العربي ... جاريــة على

قواعد العرب وطريقتهم في التركيب ... فلو خلطت سورة أو جملة آيات بمجموعة أخرى من الكلام العربي لاستطعت أن تميزها بسهولة .

أمـا الحديث النبوي فكثيرا ما يشبه اسلوبه أسلوب سـائر الاقوال والحكم المأثورة اذا كانت بليغة ، ومن هنا امكن الوضع في الحديث .

ومن المسلم به لدى اهل البصر الادبي انـه من المتعذر علـى الشخص الواحد أن يكون له اسلوبان في بيانه يختلفان اختلافا كبيرا أحدهما عن الاخر ويجري كل منهما في ذاته على نسق متشابه لا يختلف في درجة بلاغته وطربقته ، ويختلف عن اسلوبه الاخر اختلافا كليا ، فهذا مما لم يعهد في التاريخ الادبي المعروف ، بل اذا أراد احد الكتاب أن يخرج عن الاسلوب الذي هو متميز فيه الى أسلوب اخر فلا بد ان يظهر فيه التكلف ، ولا يمكن ان يتقن ذلك الاسلوب الثاني . فمـا بالك بهذا التفاوت الكلي بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث ؟ .

ان هذا الاختلاف الواسع المدى بين اسلوب القرآن واسلوب الحديث ليوجب الحكم باختلاف مصدرهما . وان ذلك يتجلى مـن الموازنة بين نصوص منهما في موضوع واحد ، فلو اننا اخذنا مـن القرآن آيـات ، ومن الحديث النبوي أحـاديث في موضوع تلـك الآيات نفسه لرأينا بهذه الموازنة من اختلاف الاسلوبين الحاكم باختلاف المصدر ما فيه البرهان الكافي) [(١)] ثم اورد عددا من الايات مقرونة بأحاديث في موضوعها ، وسـنورد تلك الأمثلة ونضيف امثلة أخرى :

---

(١) انظر « في الحديث النبوي » لاستاذنا الشيخ مصطفى الزرقـا من صفحة ٧٥ حتى ٧٨ .

١ ــ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر :

القرآن : (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (١) .

الحديث : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (٢) .

٢ ــ الاخاء في الدين :

القرآن : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (٣) .

الحديث : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه » (٤) .

٣ ــ المساواة بين الناس عامة والتفاضل انما هو بالتقوى فقط :

القرآن : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) (٥) .

الحديث : « أيها الناس : ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٠٤ .
(٢) اخرجه الطحاوي في « شرح معاني الآثار » ٢/٦١ .
(٣) سورة الحجرات الاية : ١٠ .
(٤) متفق عليه من حديث ابن عمر ، وانظر « رياض الصالحين » ١٢٣ باب تعظيم حرمات المسلمين
(٥) سورة الحجرات الاية : ١٣ .

٤ ــ ارتباط صلاح الحياة الاجتماعية بنظام العقوبة :

ولا لأحمر على أسـود ولا لأسـود على أحمر الا بالتقوى » [١] .

القرآن : (ولكم في القصاص حيـاة يا أولي الالبـاب لعلكم تتقـون) [٢] .

الحديث : « اقامة حد بأرض خـير لاهلهـا من مطـر اربعين صبـاحا » [٣] .

٥ ــ وجوب اداء الامانة والعدل :

القرآن : (ان اللـه يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان اللـه نعما يعظكم بـه ان اللـه كان سميعا بصيرا) [٤] . .

الحديث : « اد الامانة الى من أئتمنك ولا تخن من خانك »[٥] .

٦ ــ الصـدق :

القرآن : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)[٦].

الحديث : « انالصدق يهدي الى البر ، وان البر يهدي الـى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند اللـه صديقا » [٧] .

---

(١) رواه احمد وغيره بسند صحيح .
(٢) سورة البقرة الاية : ١٧٩ .
(٣) حديث حسن .انظر «سلسلة الاحاديث الصحيحة» رقم ٢٣١.
(٤) سورة النساء الاية : ٥٨ .
(٥) حديث صحيح راجع « صحيح الجامع الصغير » .
(٦) سورة التوبة : ١١٩ .
(٧) متفق عليه من حديث ابن مسعود ، وقد سبق تخريجه .

٧ ــ الصبر :

القرآن (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا اللـه لعلكم تفلحون) [١] (ولنبلونكم بشيء من الخـوف والجـوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشـر الصـابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا للـه وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [٢] .

الحديث : « عجبا لامر المؤمن ان امره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن إن اصابته سراء شكر فكان خيرا لـه ، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا لـه » [٣] .

٨ ــ التوبة :

القرآن : (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى اللـه توبة نصوحـا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي اللـه النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على شيء قدير) [٤] .

الحديث : « يا أيها الناس توبوا الى اللـه واستغفروه فاني اتوب في اليوم مائة مرة » [٥] .

---

(١) سورة آل عمران : ٢٠٠ .
(٢) سورة البقرة : الايات ١٥٥ ــ ١٥٧ .
(٣) رواه مسلم وقد سبق تخريجه
(٤) سورة التحريم : ٨ .
(٥) رواه مسلم من حديث الاغر المزني، وانظره في «رياض الصالحين» ١٨ .

القرآن : (يا أيها الذين آمنــوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
٩ ــ التقوى :
يصلح لكم أعمــالكم ويغفر لــكم ذنوبــكم ومن يطع الله ورسوله فقــد فــاز فوزا عظيمــا) (١)

الحديث : « اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركــم وأدوا زكــاة أموالكــم وأطيعوا أمراءكــم تدخلوا جنة ربكم » (٢)

١٠ ــ التوكــل :
القرآن : (ومن يتوكــل على الله فهو حسبه ان الله بالــغ امره قد جعــل الله لكــل شيء قــدرا) (٣)

الحديث : « لو انكم تتوكلون على اللــه حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغــدو خمــاصــا وتروح بطــانا » (٤)

١١ ــ المبادرة الى الخــيرات :
القرآن : (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنــة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء و الضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس واللــه يحب المحسنين والذين اذا فعــلوا فاحشــة او ظلموا أنفسهم ذكروا اللــه فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا اللــه ولــم يصروا على مافعلوا وهــم يعلمون أولئــك جزاؤهم مغفرة مــن ربهم وجنات تجري من تحتها الانهــار خــالدين فيها ونعم اجر العاملين) (٥)

---

(١) سورة الاحزاب : ٧٠ ــ ٧١ .
(٢) رواه الترمذي من حديث ابي امامة، وقال: حديث حسن صحيح .
(٣) سورة الطلاق : ٣ .
(٤) رواه الترمذي من حديث عمر
(٥) سورة آل عمران : ١٣٢ ــ ١٣٦ .

الحديث : « بادروا بالاعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل »[1] .

ثم قال الاستاذ مصطفى الزرقا :

(وهكذا اذا تقصينا الموضوعات والمعاني ، التي وردت في القرآن وفي الحديث معا ، نجد بينهما في الاسلوب العربي هذا البون الكبير الذي يجزم معه كل ذي بصر وانصاف ان شخصا لايمكن أن يصدر عنه هذان الأسلوبان معاً ، ولكل منهما طابعه الخاص البعيد كل البعد عن الآخر . وكل منهما في ذاته وفي جميع أمثلته ونصوصه متشابه لايختلف ، بل يجري على غرار واحد ، فيحافظ على طريقته المتميزة ، وعلى اختلافه عن غيره ذلك الاختلاف الكبير .

وانه يتجلى من هذه الامثلة ونظائرها ان اسلوب الحديث هو اسلوب التخاطب المألوف بين العرب ، الذي يمتاز بأنه من جوامع الكلم ومن حكيم البيان ، وفصيح اللغة ، وانه العقل الناطق بأبلغ تعبير معتاد وأوجزه ، أما أسلوب القرآن فيتجلى فيه الأسلوب الذي لم يعهد له مثيل ، ولا يشبهه شيء من كلام العرب في طرائق بيانه ومناهج خطابه)[2]

---

(١) رواه مسلم من حديث ابي هريرة .
(٢) انظر « في الحديث النبوي » ص ٨٠ ــ ٨١

الفصل السادس
الاحتجاج بالحديث

ان الحديث ــ كما رأينا في الفصول السابقة ــ من أبلغ ما عرفنا في لغة العرب وعرف الدارسون ، وهو في الذروة من البيان البشري ومن أجل ذلك فإن الاحتجاج به في اللغة والنحو أمر طبيعي ؛ ولولا أن هناك رأياً باطلا يقول بخلاف مايمليه المنطق والحق لما كانت هناك ضرورة تقتضي أن نعقد هذا الفصل .

فسدت سلائق العرب بسبب اختلاطهم بالاعاجم الذين دخلوا في الاسلام وتسرب اللحن الى ألسنتهم ، وعندما شرع العلماء بوضع قواعد اللغة العربية لم يحتجوا الا بمن وثقوا بسليقته ممن كانوا في زمن لم يعم فيه اللحن ولم تفسد فيه اللغة ؛ ويمكننا ان نعتبر قرار مجمع اللغة العربية في مصر قولا معتمدا في موضوع الاحتجاج وهذا القرار هو :

(*) انظر ما كتبه استاذنا الاستاذ سعيد الافغاني في كتابه « في أصول النحو » حول هذا الموضوع واستاذنا الاستاذ محمد الخضر حسين في مجلة المجمع ١/٢٠٢ و « دراسات في العربية » من ص ١٦٦ حتى ص ١٨٠ والاستاذ طه الراوي في مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/٣٢٥ .

(ان العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم هم عرب الامصار الى نهاية القرن الثاني وأهل البدو من جزيرة العرب الى آخر القرن الرابع)[1] .

وبناء على ذلك فان اعتماد الحديث في الاحتجاج هو مايقتضيه المنهج السليم في الاحتجاج وهو أي: الحديث مقدم على سائر أنواع الكلام الاخرى التي يحتجون بها لانه ليس هناك بعد القرآن نص أفصح ولا أثبت من الحديث . ولكن وجد بين النحويين من يمنع الاحتجاج بالحديث وهم قلة ، والجمهور على الرأي الصحيح من جواز الاحتجاج به .

المانعون : ادعى هذا النفر القليل من العلماء أنه لايجوز الاحتجاج بالحديث على قواعد اللغة واستندوا الى ملاحظات ثلاث وهي اهون بكثير من الملاحظات الواردة على مايحتجون به من أشعار وكلمات وأمثال ، وملخص هذه الملاحظات :

١- من الرواة من أجاز رواية الحديث بالمعنى فلا نستطيع الجزم بأن هذه الاحاديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- وقوع بعض اللحن في بعض الاحاديث بسبب الرواة الاعاجم .

٣- لم يحتج المتقدمون من أئمة اللغة والنحو بالحديث .

المجيزون : وهم الجمهور ومذهبهم هو الاصل السديد الصحيح وهو الذي أخذ به علماء اللغة حيث امتلأت معجماتهم التي

---

(١) انظر القرار في مجلة المجمع ج ١ ص ٢٠٢ وقد نقل هذا القرار الاستاذ عباس حسن في كتاب «اللغة والنحو بين القديم والحديث » ص٢٤ .

تركوهـا بالحديث ، وكذلك فان كتب أئمـة النحو المتقدمين مترعـة بالاحاديث يستشهدون بها كابن فارس وابن جني • قال ابن الطيب :

(لا نعلـم أحـدا من علمـاء العربية خـالف في هذه المسـألة الا مـا أبـداه الشيخ أبـو حيـان [1] في « شـرح التسهيل » وأبو الحسـن الضـائع [2] في « شـرح الجمـل » وتابعهمـا في ذلـك الجلال السيوطي [3]) [4] •

وسار النحويون المتأخرون كابن مالـك وابن هشام على هـذا النهج وزادوا فيه وأكثروا وتلافوا ما فات أسلافهم الذين لم تكن كتب السنة ومدوناتها شائعة في عصرهم [5] •

---

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الاندلسي الغرناطي ولد في الاندلس ثم رحل الى مصر وتوفي سنة ٧٤٥ (انظر « بغية الوعاء » و « الرد الوافر » ٦٢) .

(٢) هو علي بن محمد بن علي الاشـبيلي ابو الحسن المعروف بابن الضائع ، كان من انبغ الناس من عصره في العربية مات سنة ٦٨٠ وقد قارب السبعين (بغية الوعاة ٣٥٤) .

(٣) هو عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي المؤلف العالم الموسوعي توفي سنة ٩١١ . (وانظر ترجمته المفصلة التي كتبتها في مقدمة « تحذير الخواص » لـه) .

(٤) انظر مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٩/٣ وانظر « دراسات في العربية » للسيد محمد الخضر حسين ص ١٦٦ .

(٥) فسيبويه من رجال القرن الذي صنفت فيه المدونات والكتب والمسانيد وهو القرن الذي شاعت فيه مؤلفات الحديث كما رأينا في بحث تدوين السنة . هذا وقد استشهد سيبويه بعدد من الاحاديث ني كتابه : انظر « شواهد سيبويه » للعلامة الاستاذ احمد راتب النفاخ .

وقدرد هؤلاء المجيزون الاعتراضات التي أوردها عليهم الآخرون :

١ ـ تجويز رواية الحديث بالمعنى هو رأي طائفة من علماء الحديث بالمعنى كابن سيرين ، والمجيزون أنفسهم يقولون : ان الاصل روايته باللفظ ، اذن فأمر روايته بالمعنى أمر احتمالي . وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظا بلفظ في معناه هو عربي مطبوع يحتج بكلامه العادي .

وقد كان رواة الحديث يتحرون ضبط ألفاظ الحديث حتى اذا شك راو في لفظين أوردهما جميعا متشككا ، كما في الحديث :

« وهل يكب الناس في النار على وجوههم ـ او قال : على مناخرهم ـ الا حصائد ألسنتهم » [١] .

هذا وقد كان عدد من الصحابة يكتبون الحديث في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما أن بدء التدوين كان في القرن الأول نفسه مما يرجح أن الذي في مدونات الطبقة الاولى لفظ النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ، فان كان هناك ابدال لفظ بمرادفه فالذي أبدله عربي فصيح يحتج بكلامه كما قلنا آنفا .

ومهما يكن من أمر الحديث فانه أحسن حالا بكثير من الاشعار والابيات التي يلجأ اليها النحويون ويملؤون بها كتبهم ، وبعضها منحول والآخر مشكوك فيه أو مجهول لا يعرف قائله.

---

(١) رواه الترمذي وغيره وصححه . وانظره في «رياض الصالحين» ٥٥١ باب تحريم الغيبة .

٢ ـ أما ما زعموه من وقوع اللحن في بعض الاحاديث بسبب عجمة الرواة ، فهو قليل ولا تقوم بهذا الزعم حجة لاحد ولا يصح أن يمنع من أجله الاحتجاج بالحديث الصحيح ، وهل يمنع عاقل الاحتجاج بالقرآن اذا لحن به بعض الناس ؟

وقد حذر العلماء من اللحن في الحديث أشد التحذير ، وعد بعضهم الحديث الملحون كذبا على النبي صلى الله عليه وسلم يدخل مرتكبه في هذا الوعيد الشديد الوارد في قوله عليه الصلاة والسلام « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » (١) .

قال الاصمعي : ان اخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم « من كذب علي ... » لانه لم يكن يلحن ، فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه (٢) .

وقال ابن حجر : يؤخذ من الحديث ان من قرأ حديثه وهو يعلم انه يلحن فيه يدخل في الوعيد الشديد لانه بلحنه كاذب عليه .

٣ ـ أما ما زعموه من أن أحدا من أئمة النحو المتقدمين لم يحتج في كتبه بالحديث فذلك ـ ان صح ـ عائد الى أن كتب الحديث

---

(١) انظر شرح الحديث المذكور بهذا المعنى في « قواعد التحديث » ص ١٥٦ وهذا الحديث متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وانظر بعض طرقه في « الاسرار المرفوعة » لملا علي القاري بتحقيقنا و « تحذير الخواص » للسيوطي بتحقيقنا ايضا .

(٢) « تدريب الراوي » ص ٣١٧ .

لم تكن متوفرة لغير ذوي الاختصاص في ذلك الحين •

ولولا ذلك لاقتصروا على الاستشهاد بها دون الأشعار • وقد تلافى المتأخرون هذا فكانوا يحتجون دائما بالحديث •

ومما يدل على فساد رأي المانعين أن هناك أحاديث نقطع بورود لفظها بالذات ووصوله الينا وسنورد سبعة أنواع من الاحاديث لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج بها في اللغة والقواعد مثل :

١ ــ الاحاديث التي تروى بقصد الاستدلال على فصاحته •
كقوله صلى الله عليه وسلم « حمي الوطيس » [١] ــ « مات حتف أنفه » [٢] ــ « الظلم ظلمات يوم القيامة » [٣] •

٢ ــ ومثل أحاديث الذكر ــ والدعاء التي يتعبد بها كالقنوت والتحيات •

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد علم بعض الصحابة دعاء يدعو به قبل النوم وهو « اللهم اني أسلمت نفسي اليك ووجهت وجهي اليك وفوضت أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك ؛ آمنت بكتابك الذي أنزلت

---

(١) اخرجه مسلم ٥/١٦٧ وأحمد ١/٢٠٧ .
(٢) قال الشيخ ناصر : لم اجده .
(٣) رواه مسلم ٨/١٨ عن جابر وابن عمر .

وبنبيك الذي أرسلت » ، فلما قرأهـا الرجل قال : (وبرسولك الـذي أرسـلت) فلـم يرض منه الرسول صلى اللـه عليه وسلم ذلك وقال مصححا : « وبنبيك » [1] .

٣ ـ ومثل الاحاديث التي كان يخاطب فيها كل قـوم من العـرب بلغتهم ، كحديث الصيام في السفر [2] وكالحديث الذي أوردناه في مخاطبته صـلى اللـه عليه وسـلم وفـد بنـي نهـد .

٤ ـ ومثل الاحاديث التي يرويها قـوم لا يجيزون روايـة الحديث بالمعنى كابن سيرين والقاسم بن محمد .

ن ـ ومثل الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها ، فان اتحاد الالفـاظ مع تعدد الطرق دليـل على ان الرواة لـم يتصرفوا في ألفاظها .

(١) متفق عليـه .

(٢) ونصه كما أخرجه الخطيب في « الكفاية » ص ٢٨١ طبع مصر : ليس من امبر امصيام في مسفر . قـال ابن حجر في « تلخيص الحبير » ٢٠٥/٢ : (رواه احمد من حديث كعب بن عاصم الاشعري بلفظ « ليس من ام بر امصيام في أم سفر » وهذه لغـة لبعض أهـل اليمن يجعلـون لام التعريف ميما ، ويحتمل ان يكون النبي صلى اللـه عليه وسلم خاطب بها هذا الاشعري لانها لغته ، ويحتمل ان يكون الاشعري هذا نطق بهـا على ما الف من لغته ، فحملها عنه الراوي واداها باللفظ الذي سمعها به وهذا الثاني اوجه عندي . واللـه اعلم) . قال الشيخ ناصر : ولكنه لا يصح الا باللفظ المشهور . اما اللفظ المشار اليه فشاذ كما حققته في غير هذا الموضع .

٦ ـ ومثل الاحاديث التي دونها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك والشافعي .

٧ ـ ومثل الاحاديث التي جاءت في كتب النبي صلى الله عليه وسلم ومعاهداته .

أما الاحاديث الشاذة المغموزة أو الموضوعة فهي التي لا يصلح أن يحتج بها [١] .

---

(١) انظر دراسات في العربية لمحمد الخضر حسين . وانظر «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » ٤/٣٢٥ ـ ٣٢٧ .



الباب الثالث

مصطلح الحديث



الفصل الأول

الحديث والسنة والخبر والأثر

الحديث :

الحديث في اللغة الجديد ، نقيض القديم .

ومادة الكلمة (حَدَثَ)تدور حول معنى واحد ، وهو : كون الشيء بعد ان لم يكن .

والحديث : كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء، بعد ان لم يكن[1].

وانما سميت الكلمات والعبارات حديثا ؛ لان الكلمات انما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية ، وكل واحد من تلك الحروف يحدث عقب صاحبه ، او لان سماعها يحدث في القلوب من المعاني والعلوم الشيء الكثير . قال تعالى : (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) [2] .

ويجمع (الحديث) على (أحاديث) على خلاف القياس ، ويرى الفراء أن واحد الاحاديث أحدوثة ، ثم جعلوه جمعا للحديث .

وقال ابن بري : ليس الامر كما زعم الفراء ؛ لان الاحدوثة بمعنى الاعجوبة ، يقال : قد صار فلان أحدوثة ، أما احاديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يكون واحدها الا حديثا [3] .

---

(١) « مقاييس اللغة » لابن فارس : مادة (حدث) .
(٢) سورة الطور ، الآية ٣٤ .
(٣) « تاج العروس » للزبيدي : مادة (حدث) ٦١٣/١ .

ويرى الزمخشري في « الكشاف » [1] أن الاحاديث اسم جمع .
وخالفه أبو حيان في « البحر » [2] فقال : ليس الاحاديث باسم
جمع ، بل هو جمع تكسير للحديث على غير القياس كاباطيل ، واسم
الجمع لم يأت على هذا الوزن .

وأما الحديث في اصطلاح المحدثين فهو :

ماأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وتقرير وصفة.
والحديث ــ عند الاطلاق ــ ينصرف الى ما روي عنه صلى الله
عليه وسلم بعد النبوة [3] .

وقد يقتصر الاصوليون على الاقوال والافعال والتقريرات التي
تثبت الاحكام وتقررها [4] .

فقول النبي صلى الله عليه وسلم حديث وذلك كقوله : « انما
الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى ... » [5] .

---

(١) انظر « الكشاف » ٢/٢٤٣ .
(٢) انظر « البحر المحيط » ٥/٢٨١ عند تفسير اول سورة
يوسف . وانظر « الكليات » لابي البقاء ص ١٥٢ الطبعة الاميرية القاهرة
سنة ١٢٨١ هـ .

(٣) « فتاوى ابن تيمية » ١٨/٩ .
(٤) «الاحكام» للامدي ١/١٦٩ و «ارشاد الفحول» للشوكاني ٣٣
و « السنة » للسباعي ٦١ ط ١ .

(٥) رواه البخاري في مواضع متعددة من صحيحه هي : في مطلع
كتابه : كيف كان بدء الوحي لرسول الله ١/٣ وفي كتاب الايمان في باب
ما جاء ان الاعمال بالنية ١/١٦ وفي كتاب العتق في باب الخطأ والنسيان
٣/١٢٧ وفي كتاب اصحاب النبي في باب هجرة النبي واصحابه الى المدينة

وحكاية فعله صلى اللـه عليه وسلم حديث كما ورد في الحديث عن عائشة رضي اللـه عنها أن النبي صلى اللـه عليه وسلم كان لا يدع اربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة (١) .

والتقرير : ما أقره الرسول صلى اللـه عليه وسلم من افعـال صدرت عن بعض أصحابه بسكوت منه ، او هو عدم انكاره لامر رآه أو بلغه عمن يكون منقادا للشرع (٢) ، مثل اقراره على المضاربة التي كانوا يعتادونها (٣) ، واقراره في الاعياد على مثل غنـاء الجاريتين (٤)

٤٨/٥ وفي كتاب النكاح في باب من هاجر أو عمل خيرا لتزويج امرأة ٤/٧ وفي كتاب الايمان والنذور في باب النية في الايمان ١١٨/٨ وفي كتاب الحيل في باب ترك الحيل ٢٠/٩ .

ورواه مسلم في كتاب الامارة باب قوله صلى اللـه عليه وسلم انما الاعمال بالنية ٤٨/٦ وانظره في « رياض الصالحين » ص ١٢ . ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد في باب النية ١٤١٣/٢ .

(١) رواه البخاري في باب الركعتان قبل الظهر ٥٢/٢ وانظره في « رياض الصالحين » باب تأكيد ركعتي سنة الصبح ص ٤٣١ .

(٢) « الاحكـام » للآمـدي ١٨٨/١ و « ارشـاد الفحـول » ٤١ و « مفتاح السنة » للخولي ص ٤ .

(٣) « مجموع فتاوى ابن تيمية » ٩/١٨ .

(٤) متفق عليه اخرجه البخاري في كتاب العيدين في باب الحراب والدرق يوم العيد ١٥/٢ وفي باب سنة العيدين ١٥/٢، وفي باب اذا فاته العيد ٢١/٢ وفي كتاب الجهاد في باب الدرق ٣١/٤ وفي كتاب المناقب في باب قصة الحبش ١٤٨/٤ وفي كتاب فضائل اصحاب النبي في باب مقدم النبي واصحابه المدينة ٥٧/٥ وفي كتاب النكاح في باب حسن المعاشرة ٢٥/٧ . واخرجه مسلم في كتاب صلاة العيدين في باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه ٢١/٣ .

ومثل لعب الحبشة بالحراب في المسجد[1] ، وإقراره لهم على أكل الضب على مائدتـــه [2] .

ومثل اقراره صلى اللـــه عليه وسلم لاجتهاد الصحابة في أمـــر صلاة العصر في غزوة بني قريظة حين قال لهم : « لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة » [3] .

ومثل اقراره صلى الله عليه وسلم لعائشة على اللعب بالبنات[4].

---

(١) « فتح الباري » ٢/٤٤٠ .

(٢) « فتاوى ابن تيمية » ١٨ ص ٩ . هذا وقـــد ورد في حـــديث النص على انه ليس بحرام وهو : نظر الرسول صلى اللـــه عليه وســـلم الى خالد وهو يأكل الضب على ما ئدته متعجبا من حبه اياه . فقال خالد : أحرام هو ؟ قال : « لا ، ولكنه لم يكن بارض قومي » وهذا الحديث متفق عليه ، رواه البخاري في باب ما كان النبي صلى اللـــه عليه وسلم يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو ٧/٦١ و « فتح الباري » ٩/٥٣٤ ورواه مسلم في باب اباحة الضب ٦/٦٧ — ٦٨ .

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي في باب مرجع النبي صلى اللـــه عليه وسلم من الاحزاب ومخرجه الى بني قريظة ٥/٩٣ وفي كتاب صلاة الخوف باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وايماء ٢/١٤ ورواه مســـلم ٥/١٦٢ وانظر « سيرة ابن هشام » و «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» ص ١٦٦ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الادب في باب الانبســـاط الى النـــاس ٨/٢٦ ومسلم وابو داود وابن ماجهوانظر « فتاوى ابن تيمية » ١٨/٩ . وجاء في « المختار » : (والبنات التماثيل الصغار تلعب بها الجواري) .

والوصف : ان يعمد واحد من الصحابة فيصف لنا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وذلك كقول انس بن مالك يصف النبي صلى اللـه عليه وسلم :

[كان ربعة من القوم ،ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق [1] ولا آدم ، ليس بجعد قطط [2] ولا سـبط [3] رَجِلٍ ، أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه ، وبالمدينة عشر سنين،وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء] [4].

السنة والخبر والاثـر :

وهناك ألفاظ مرادفة للحديث ، وهـي : السنة والخبر والأثر .

السنة : (في اللغة) الطريقة المسلوكة ، وكلمة السنة اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحمودة . وقد تستعمل في الطريقة المذمومة لكنها تكون مقيدة كقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم : « ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده

---

(١) المهق : البياض الخالص لا يخالطه حمرة ولا صفرة .

(٢) قطط : شديد الجعودة .

(٣) سبط : شديد السبوطة .

(٤) متفق عليه رواه البخاري في كتاب المناقب في باب صفة النبي صلى اللـه عليه وسلم ٤/١٥٠ ومسلم في باب صفة النبي صلى اللـه عليه وسـلم ٧/٨٧ .

من غير ان ينقص من أوزارهم شيء »[1] .

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الطريقة المتبعة وذلك في قوله تعالى : (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا)[2] (وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين)[3] .

ويبدو أن هذه الكلمة وردت بهذا المعنى في بعض الاحاديث . فمن ذلك قوله صلى اللـه عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ »[4] .

ومن ذلك قوله : « فمن رغب عن سنتي فليس مني »[5] وهذا المعنى للسنة هو الذي عبر عنه الخليفة العظيم عمر بن الخطاب رضي اللـه عنه عندما كتب كاتبه : « هذا ما رأى اللـه ورأى عمر »

---

(١) « صحيح مسلم » كتاب العلم ٨/٦١ وانظره في « رياض الصالحين » ص ٩٧ « باب فيمن سن سنة حسنة او سيئة » .

(٢) سورة الاسراء الاية ٧٧ .

(٣) سورة الانفال الاية ٣٨ .

(٤) رواه ابو داود ٤/٢٨١ والترمذي ٣/٣٧٧ ، وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ١/١٥ . وانظره في « رياض الصالحين » ص ٩٠ باب الامر بالمحافظة على السنة . وانظره ايضا في « الباعث على الخلاص » ص ١٢٤ بتحقيقنا .

(٥) رواه البخاري في كتاب النكاح في باب الترغيب في النكاح ٧ ص ٣ ومسلم في كتاب النكاح ايضا ٤/١٢٩ وغيرهما . وانظره في « الترغيب والترهيب » للمنذري في باب الترغيب في النكاح ج ٣ ص ٧ . طبعة عيسى البابي الحلبي على نفقة محمد هاشم الكتبي .

فقال : بئس ما قلت !! قل : « هذا ما رأى عمر . فان يك صوابا فمن الله ، وان يك خطأ فمن عمر » ، وقال : « السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للامة » [1] .

أما عند الفقهاء فانهم يستعملونها استعمالين .

١ — يستعملونها في ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجوب . وهي حكم من الاحكام الخمسة : (الواجب — الحرام — السنة — المكروه — المباح) كصلاة ركعتين بعد صلاة المغرب .

٢ — ويستعملونها في مقابل كلمة البدعة أحيانا كقولهم : « طلاق السنة كذا وطلاق البدعة كذا » ..

أما عند المحدثين ، فهي مرادفه للحديث ، والصلة بين المعنيين : (اللغوي والاصطلاحي) واضحة ، لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله وتقريره طريقة متبعة عند المسلمين ليس لهم خيرة في الامر الذي يدعو اليه (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) [2] .

وهناك بعض الاحاديث التي تدل على أن هذا المعنى الاصطلاحي استعمل من قبل النبي صلى الله عليه وسلم . فمن هذه الاحاديث قوله فيما أخرجه الحاكم « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي » [3] .

---

(١) « تاريخ التشريع الاسلامي » للخضري ص ١١٨ .
(٢) سورة الاحزاب الاية ٣٦ .
(٣) انظره في « صحيح الجامع الصغير » ٣٩/٣ برقم ٢٩٣٤ ، « مشكاة المصابيح » ٦٦/١ برقم ١٨٦ وانظر « الموطا » .

وقد وجد من العلماء من يفرق بين الحديث والسنة فيطلق الحديث على مـا ينقل من قول النبي صلى اللـه عليه وسلم وفعلـه وتقريره وصفاته ، ويطلق كلمة السنة على الواقع العملي في تطبيقات الشريعة منذ عصر الرسول صلى اللـه عليه وسلم الى آخـر عصر الصحابة ، فيقولون : « نقل في الحديث كذا والسنة على خلافه » أي ان العمل المأثور في عهد الرسول صلى اللـه عليه وسلم والصحابة كان جاريـا على خلاف ما جاء في هذا الحديث ، وكأن هذا التفريق يراعي الأصل اللغوي لكلمة (السنة) .

يدل على هذا التمييز بين الكلمتين ما روي عن عبد الرحمن بـن مهدي [1] وقد سئل عن رأيـه في الامام مالك [2] والاوزاعـي [3] وسفيان بن عيينة [4] وأيهم أعلم ؟ فقال :

« الاوزاعي امام في السنة وليس بامام في الحديث ، وسفيان امام في الحديث وليس بامام في السنة ، ومالك امام فيهما » [5] .

---

(١) هو الامام المشهور ، ابو سعيد البصري اللؤلؤي الحافظ ، كان من اعلم الناس بالحديث توفي ١٩٨ هـ.

(٢) هو الامام مالك بن انس الاصبحي،ابو عبد الله امام دار الهجرة وصاحب المذهب المعروف توفي ١٧٩ هـ .

(٣) هو الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي ابو عمرو الشامي الامام العلم ، كثير الحديث والعلم والفقه توفي ١٥٧ هـ .

(٤) هو الامام سفيان بن عيينة ابو محمد الكوفي قال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . توفي ١٩٨ هـ .

(٥) « ترتيب المدارك » للقاضي عياض ١٣٢/١ و« شرح الزرقاني على الموطأ » ٤/١ .

ولكن هذا التفريق لم يعش طويلا فيما بعد ، وأضحت الكلمتان مترادفتين . ولا نذكر هذا التفريق الا من أجل فهم مثل العبارة الواردة عن ابن مهدي والتي ذكرناها آنفا .

وهناك تفريق آخر بين (الحديث) و (السنة) ، وهو ما ذكره العلامة الكتاني من ان الموقوف لايسمى سنة ، ولكنه يسمى حديثا[1].

ومن نافلة القول ان نقرر ان هـذه الكلمة عربية ، ويبـدو ان هناك من انكر هذه البديهية ، وقد رد هذا الزعم الباطل الاستاذ الشيخ محمود شلتوت ونفى ان تكون مأخوذة من العبرية [2] .

الخبر والاثر :

الخبر ـ لغةً ـ العلم [3] ، والنبأ . والظاهر ان الخبر والنبأ مترادفان وقد فرق بعضهم بينهما بان قال : النبأ خبر مقيد بكونه عن امر عظيم . وقالوا : ان الخبر في اللغة ما يصح ان يقال لقائله صادق او كاذب ، وقال الخطيب البغدادي : [الخبر ما يصح ان يدخلـه الصـدق او الكذب] [4] أي لذاته بغض النظر عن قائله او الواقع .

وجمعه أخبار ، وجمع الجمع أخابير [5] .

---

(١) انظر « الرسالة المستطرفة » ص ٣٢ .

(٢) انظر « كتاب الاسلام عقيـدة وشريعـة » للشـيخ محمـود شلتوت ص ٥١٣ .

(٣) « معجم مقاييس اللغة » ٢/٢٣٩ .

(٤) « الكفاية » ص ٥٠ وانظر ما قاله علماء البلاغة في علم المعاني .

(٥) « تاج العروس » ٣/١٦٦ .

والاثر ـ لغة ـ البقية من الشيء ؛ يقال : أثر الدار لما بقي منها،وما بقي من رسم الشيء ، وكذلك استعملوا كلمة الاثر للدلالة على ما يؤثره الرجل بقدمه .

والاثر ـ ايضا ـ الخبر .

وجمعه آثار وأثور [1] .

وهما ـ اصطلاحا ـ لفظان آخران يستعملان بمعنى الحديث تماما ، وهذا هو الذي عليه اصطلاح الجمهور .

لكن بعض العلماء المحققين ، ومنهم الفقهاء الخراسانيون [2] يفرقون بين الحديث والاثر ، فيقولون : الحديث والخبر : هو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ،والاثر هو ما يروى عن الصحابة من أقوالهم في الشؤون الشرعية .

والجمهور يسمون هذا خبرا موقوفا ، للوقوف به عند الصحابي كما سنرى ذلك بالتفصيل في موضعه ان شاء الله [3] .

وكأن هذا التفريق قد ساد في الايام الاخيرة عند عدد من الباحثين المعاصرين والمحققين لكتب التراث .

وقيل : الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والخبر ما جاء عن غيره .

---

(1) « تاج العروس » ٣/٤ .

(2) « علوم الحديث » لابن الصلاح ص-٤٢ و « شرح مسلم » للنووي ٦٣/١ و « قواعد التحديث » ص ٣٥ .

(3) انظر تفصيل هذا الموضوع في الفصل التاسع من هذا الباب الثالث من هذا الكتاب .

وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل حديث خبر ولا عكس[1].

الحديث الواحد :

الحديث الواحد : يراد به مارواه الصحابي من الكلام المتصل بعضه ببعض ، سواء أكان جملة واحدة أم جملتين أم جملا كثيرة .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « لاتغضب »[2] حديث ، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم :« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب »[3] وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر إليه[4]

وكذلك فإن حديث توبة كعب بن مالك الطويل[5] ــ الذي يستغرق صفحات عدة ــ حديث واحد وكذلك حديث الإفك[6] ونحو ذلك من

---

(١) انظر « قواعد التحديث » للقاسمي ص ٣٦

(٢) رواه البخاري في كتاب الادب ٢٤/٨ عن ابي هريرة ، وانظره في « رياض الصالحين » ص ٢٨٣ باب الحلم .

(٣) رواه البخاري في كتاب الاذان ١٢٥/١ ومسلم في كتاب الصلاة ٩/٢ وابو داود ٣٠١/١ والترمذي ٢٠٦/١ والنسائي عن عبادة بن الصامت ، وانظر الحديث في « جامع الاصول » ٢٢٣/٦ .

(٤) سبق ان ذكرنا تخريج الحديث عند تعريف الحديث ، وانظره في « رياض الصالحين » ص ١٢ .

(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي ٤/٦ ومسلم في كتاب التوبة ١٠٥/٨ واقرا الحديث في « رياض الصالحين » ص ٢١ حتى ص ٢٩ .

(٦) رواه البخاري في كتاب التفسير ٨٨/٦ ومسلم في كتاب التوبة ١١٢/٨ واقرا الحديث فيكتب السيرة مثل « نور اليقين » ص ١٥٥ .

الأحاديث الطوال ، فإن الواحد منها يسمى حديثاً •
وقل أن يشتمل الحديث الواحد على جمل إلا لتناسب بينها ، وإن كان يخفى التناسب في بعضها على بعض الناس •

إذن فالكلام المتصل بعضه ببعض يسمى حديثا واحدا ، أما إذا روى الصحابي كلاما ، ثم بعد أن فرغ منه روى كلاما آخر وفصل بينهما بأن قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ••••) أو بأن طال الفصل بينهما ، فهذان حديثان •

فالحديث الواحد ليس كالجملة الواحدة ، إذ قد يكون جملا ، وليس كالسورة الواحدة، إذ أن السورة قد يكون بعضها نزل قبل بعض أو بعد بعض ، بل إنه يشبه الآية الواحدة ، أو الآيات التي يتصل بعضها ببعض •
وقد يسمى الحديث واحدا وإن اشتمل على قصص متعددة ، اذا حدث الصحابي حديثا متصلا بعضه ببعض ، فيكون واحداً باعتبار اتصاله في كلام الصحابي •

مثل حديث جابر الطويل الذي يقول فيه : (كنا مع رسول الله صلى عليه وسلم •••) وذكر فيه ما يتعلق بمعجزاته وما يتعلق بالصلاة ، فهذا يسمى حديثا بهذا الاعتبار •

وقد يكون الحديث طويلا، لكن بعض المصنفين يفرقونه في أبواب مختلفة، فيجعلونه أحاديث، كما فعل البخاري بعدد من من الأحاديث الطويلة، وقد أجاز العلماء ذلك بشرط أن لا يتغير المعنى بهذا التفريق [1] •

---

(١) انظر في الحديث الواحد « فتاوى ابن تيمية » ج ١٨ من صفحة ١٣ حتى ١٧

الفصل الثاني

المتن والسند

لورجعنا الى كتب السنة كالبخاري مثلا ، فإننا نجد في كــل حديث عنصرين السند والمتن .

أما السند فهو سلسلة أسماء رواة الحديث ، وأما المتن فهــو نص الحديث ، وسنفصل القول في كل من هذين المصطلحين في هذا الفصل :

١ ـ المتــن :

المتن : هو نص الحديث المروي ، وهو غاية ما ينتهي إليه السند من الكلام ، هذا في الاصطلاح .

وأما المتن (فيِاللغة) فهو الظهر ، يذكر ويؤنث ، والجمع متون .

وفي الظهر متنان وهما ما يكتنفان الصلب عن يمين وشمال ، والمتنة لغة في المتن ، قال امرؤ القيس يصف فرسه :

كأن على المتنين منه اذا انتحى   مداك عروس أوصلاية حنظــل [1]

---

(١) انتحى : وقف في ناحية من البيت ، والمداك : الحجر الذي يداك به الطيب أي ، يسحق ، والصلاية : الصخره الملساء يدق بها لــب الحنظل . وقد روي هذا البيت في نسخة من نسخ الديوان وفي بعض كتب المختارات على وجه آخر يخالف الرواية التي أثبتناها .

وقال يصف فرسه أيضا :

لهــا متنتــان خظــاتا كمــا أكبَّ على ســاعديه النمــر [1]

وقد سمي به نص الحديث لأنه يشبه الظهر في كونه معتمداً عليه ، والحديث يعتمد عليه ، لأنه أصل في الاستنباط والتشريع .

ونقل الأستاذ القاسمي عن ابن جماعة احتمالات أخرى عديدة لتسميته ، منها : أن المتن مأخود من المماتنة ، وهي المباعدة في الغاية لأنه غاية السند .... ومنها : أنه مأخوذ من المتن وهو ماصلب وارتفع من الأرض لأن المسنِد يقويه بالسند ويرفعه الى قائله [2] غير أن ماذكرناه أولا أوضح .

٢ ــ السنــد :

وأما السند فهو سلسلة أسماء الرواة الذين نقلوا هذا الحديث بالتسلسل واحداً عن واحد ، يبتدىء السند بشيخ المؤلف وينتهي الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا في الاصطلاح .

والسند (فى اللغة) :

هــو ما يُستند إليه ويعتمد عليه ، يقولون : فلان سند : أي معتمد [3] . وقد سميت بــه سلسلة الــرواة النــاقلــين لأن معرفة ثبوت هذا الحــديث مــن عدمــه ودرجة الثقــة بصحة وروده عن النبــي صلى الله عليه وسلم يعتمد ذلــك علــى حالة الرواة ، ودرجة

---

(١) الديوان : ١١٤ وخظاتا : كثيرتا اللحم مكتنزتان صلبتان .
(٢) « قواعد التحديث » ١٨٧
(٣) « قواعد التحديث » ص ١٨٦

الثقة بهم علما وأمانة ووعياً وضبطاً .[1]

وقد يستعملون (السند) و(الإسناد)لشيء واحد[2] ، والإسناد مصدر من قولك : أسندت الحديث الى قائله إذا رفعته إليه بذكر ناقله.

وكلمة (إسناد) مصدر ، ولذلك لايثنى ولا يجمع ، وكثيرا مايراد به السند فيثنى ويجمع تقول : (إسنادان أو أسانيد) وأما السند فيثنى ولايجمع ، تقول (حديث له سندان) وكأنهم استغنوا بجمع الإسناد (أسانيد) عن جمع السند[3] .

مرادفان للسند :

ويقال للسند : (الطريق) لأنه يوصل الى المقصود هنا وهو الحديث ، وقد يقال للطريق (وجه) تقول : هذا حديث لايعرف إلا من هذا الوجه .

قيمة الاسناد :

وللإسناد قيمة كبرى في الاسلام عبر عنها ابن المبارك بقوله : « الإسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء »[4] وهذا أمر ملموس ، فعندما يتوقع مخبر أنك ستسأله عن نقل هذا الخبر يخاف انكشاف كذبه إن كان كاذباً فيحجم[5] .

---

(١) « توجيه النظر » ص ٢٤ ــ ٢٥

(٢) « قراعد التحديث » ص ١٨٦ .

(٣) « توجيه النظر » ص ٢٥

(٤) « مقدمة صحيح مسلم » ١/١٢ و «معرفة علوم الحديث » ٦ و « الإلماع » ١٩٤ و «شرف اصحاب الحديث » ٤١ و « الكفاية ٥٥٨ و «توجيه النظر » ٢٤ وانظر شرح مسلم للنووي ١/٨٧ .

(٥) وغريب جدا ماذكره روزنتال في كتابه « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » ص ١٣٠ عندما زعم زورا أن فكرة العنعنة جعلت عمل الوضاعين سهلا ميسورا . فيا للعجب ! !!

وقال أيضا : « بيننا وبين القوم القوائم »[1] يعني الاسناد .

وقال أيضاً : « مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم »[2] .

وقال الثوري :« الاسناد سلاح المؤمن »[3] .

وقال أيضا : « الاسناد زين الحديث ، فمن اعتنى به فهو السعيد[4]

والاسناد من خصائص هذه الأمة الاسلامية التي انفردت بها ولم تشاركها هذه الخصيصة أمة من أمم الأرض يمكنها أن تسند عن نبيها إسناداً متصلا غير هذه الأمة . وكان ذلك تحقيقا لوعد الله في حفظ ما أنزل من الذكر ، فلله الحمد والمنة .

وقد عقد ابن حزم في « الفصل في الملل والنحل » فصلا في وجوه النقل عند المسلمين فذكر المتواتر كالقرآن وما علم من الدين بالضرورة ثم المشهور .... ثم قال : (وليس عند اليهود والنصارى من هذا النقل شيءأصلا) ثم ذكر أن السند بين اليهود ونبيهم موسى عليه السلام منقطع (حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصرا في أزيد من ألف وخمسمائة عام ... وأما النصارى فليس عندهم من صفة هذا

---

(1) « مقدمة صحيح مسلم » ١٢/١

(2) « الكفاية » ٥٥٨ و « شرف أصحاب الحديث » ٤٢ و « طبقات الشافعية » ١ /٣١٤

(3) «شرف أصحاب الحديث » ص ٤٢ و « طبقات الشافعية » ٣١٤/١

(4) «طبقات الشافعية » ٣١٤/١

النقل الا تحريم الطلاق وحده على أن مخرجه من كذاب قد صح كذبه)[1] .

الاسناد العالي والاسناد النازل :

وهناك نوعان من الاسند :

إسناد عال وهو : ما قرب رجال سنده من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب قلة عددهم اذا قيسوا بسند آخر يرد في ذلك الحديث نفسه بعدد كثير .

وإسناد نازل وهو : ما قابل العالي [2] .

وطلب العلو في الاسناد سنة عن الائمة السالفين . قال أحمد بن حنبل : «الاسناد العالي سنة عمن سلف» . وقال : : «طلب علو الاسناد من الدين » [3] وقيل ليحيى بن معين في مرض موته : ما تشتهي ؟ قال : بيت خالي واسناد عالي .

ولهذا تداعت رغبات كثير من الائمة النقاد وكبار الحفاظ الى الرحلة الى أقطار البلاد طلبا لعلو الاسناد [4] ، وذلك لان علو الاسناد أبعد عن الخطأ والعلة ، (لان كل رجل من رجاله يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا او عمدا ، ففي قلتهم قلة جهات الخلل ، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل) [5] .

---

(1) انظر « الفصل في الملل والنحل » ٢ /٨٢و ٨٣ و « قواعد التحديث » ١٨٥ وفصل هذا الموضوع الاستاذ الفاضل محمد ابو زهرة في كتابه القيم « محاضرات في النصرانية » . انظر ص ٨٩ وما بعدها منه .

(2) « قواعد التحديث » ص ١٠٨ .

(3) « طبقات الشافعية »١/٣١٤

(4) انظر اخبار ارتحال الصحابة والتابعين من أجل علو الاسناد في « معرفة علوم الحديث » ص٨ ومابعدها وفي الكتب التي أشرنا اليها في حواشي آخر مبحث تدوين السنة

(5) انظر « علوم الحديث لابن الصلاح » ص ٢٣١ طبعة حلب .

وقال ابن حجر : (وانما كان العلو مرغوبا فيه لكونه أقرب الى الصحة وقلة الخطأ ، لأنه ما من راو من رجال الاسناد إلا والخطأ جائز عليه ... فكلما كثرت الوسائط وطال السند كثرت مظان التجويز وكلما قلت ... قلت ...) (١)

وقد استشهدوا على إجازة طلب العلو من الاسناد بحديث ضمام الذي يرويه أنس ، فقال : يامحمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك قال : « صدق .... » (٢)

قال الحاكم : [وفيه دليل على طلب المرء العلو من الاسناد وترك الاقتصار على النزول فيه وان كان سماعه عن الثقة ، اذ البدوي لما جاءه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فرض الله عليهم لم يقنعه ذلك حتى رحل بنفسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه مابلغه الرسول عنه ، ولو كان طلب العلو في الاسناد غير مستحب لأنكر عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم سؤاله إياه عما أخبره رسوله عنه ولأمره بالاقتصار على ما أخبره الرسول عنه] (٣)

والعلو في الاسناد خمسة أقسام : (٤)

---

(١) « شرح النخبة » ص ٣١

(٢) انظر الحديث في « صحيح مسلم » ١/٣٢ وانظر تخريجنا للحديث عند ما نورده في الفصل الخاص بطرق تحمل الحديث

(٣) « معرفة علوم الحديث » للحاكم ص ٥ ـ ٦

(٤) فصل القول في هذه الاقسام العلامة المرحوم أحمد شاكر في كتابه « الباعث الحثيث » ص ١٦١ وما بعدها ط ٣

١ ــ القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد صحيح نظيف خال من الضعف .

٢ ــ ان يكون الاسناد عاليا للقرب من امام من أئمة الحديث كالاعمش ومالك مع صحة الاسناد اليه .

٣ ــ علو الاسناد بالنسبة الى كتاب من الكتب المعتمدة المشهورة ، صورته : أن يأتي محدث لحديث رواه البخاري مثلا ، فيرويه هذا المحدث بإسناده الى شيخ البخاري أو شيخ شيخه، ويكون رجال اسناده في الحديث أقل عددا مما لو رواه عن طريق البخاري . وهذا القسم جعلوه انواعا اربعة لا نرى كبير فائدة من ذكرها ويمكن لمن يريد الوقوف عليها أن يرجع الى كتب المصطلح [1] .

٤ ــ تقدم وفاة الشيخ الذي تروي عنه عن وفاة شيخ آخر، وان تساويا في عدد الاسناد . قال النووي في « التقريب » : (فما أرويه عن ثلاثة عن البيهقي عن الحاكم، أعلى مما أرويه عن ثلاثة عن أبي بكر بن خلف عن الحاكم ، لتقدم وفاة البيهقي على ابن خلف)[2] .

٥ ــ العلو بتقدم السماع : فمن سمع من الشيخ قديما كان أعلى ممن سمع منه أخيرا . ويتأكد ذلك في حق من اختلط شيخه أو خرف . وصورة هذا القسم : كأن يسمع شخصان من شيخ واحد، أحدهما سمع منذ ستين سنة مثلا ، وآخر منذ أربعين سنة فالاول اعلى من الثاني . وأما النزول في الاسناد فهو مفضول بالنسبة الى العلو اللهم الا أن يكون رجال الاسناد النازل أجل من رجال العالي .

---

(١) انظرها ص ١٦٢ من المصدر السابق وص ٣١ من « شرح نخبة الفكر » لابن حجر طبعة البابي الحلبي و ص ٢٣٣ وما بعدها من «علوم الحديث لابن الصلاح » .

(٢) انظر النص في «تقريب النووي » ص ٣٦٥ المطبوع أعلى تدريب السيوطي

الفصل الثالث

الحديث القدسي

١ ــ تعريفه :

هو الحديث الذي يسنده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، فيرويه النبي صلى الله عليه وسلم على أنه كلام الله تعالى .
والقدسي : نسبة تكريمية للقدس ، ومعناه التنزيه والطهارة .
وقد يدعو بعضهم الأحاديث القدسية بالأحاديث الإلهية .

ومن المفيد أن نشير الى أن وصف الحديث بالقدسي لايعني أبداً أنه صحيح ، إذ أن الصحة والضعف يعتمد فيهما على السند ، بينما هذا الوصف يتعلق بنسبة الكلام الى الله تبارك وتعالى .

٢ ــ الحديث القدسي كلام الله بالمعنى .

والحديث القدسي كلام الله بالمعنى ، أما اللفظ فللرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا القول هو الذي نرجحه ، وهناك قول آخر مرجوح في نظرنا ، يدعي أن الحديث القدسي كلام الله بلفظه ومعناه ، ولكن لم يرد به التحدي ، وقد قلنا : إنه مرجوح وغير صحيح لما يأتي :
• لو كان الحديث القدسي منزلا بلفظه ومعناه ، لكان ينبغي

أن يكون له من الحرمة والقدسية في نظر الشرع ما للقرآن، إذ لا وجه للتفرقة بين لفظين منزلين من عند الله •

• وكان يجب ـ بناء على ذلك : أن تمنع روايته بالمعنى إجماعا لأن علماء المسلمين متفقون على أن القرآن الكريم لا يجوز أن تروى آياته بالمعنى ، بينما يجيز الجمهور رواية الحديث القدسي بالمعنى ـ كما سيمر معنا في مبحث رواية الحديث بالمعنى•

• وكان يجب كذلك أن يتعبد بتلاوته •
• وكان يجب أن يحرم على المحدث مسه •

ولايقول بذلك أحد من أهل العلم

والحكمة التي اقتضت إنزال الحديث القدسي بمعناه : أنه إنما أنزل لمجرد العمل ، ولم ينزل للتحدي ولا للتعبد بتلاوته ، والعمل بما فيه يحصل بإنزال معناه فقط •

ويرد هنا سؤال وجيه وهو :

إذا كان لفظ الحديث القدسي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نؤول قوله صلى الله عليه وسلم «يقول الله تبارك وتعالى» ؟

والجواب أن المقصود نسبة مضمون الحديث لانسبة ألفاظه ، وهذا التعبير كثير الاستعمال في اللغة العربية قديمها وحديثها ، فاذا أراد إنسان شرح بيت من الشعر قال في شرحه : قال الشاعر كذا وكذا •••• وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن حيث حكى الله تبارك وتعالى عن نوح وموسى وفرعون وزكريا وعيسى مضمون كلامهم بالفاظ غير

ألفاظهم،وبأسلوب غير أسلوبهم ، ونسب ذلك اليهم،قال تعالى حكاية عن موسى وفرعون : (قال فمن ربكما ياموسى • قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)[1] وقال تعالى حكاية عن مريم وزكريا عليهما السلام : (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يامريم أنى لك هذاقالت : هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)[2] •

فحكى جل جلاله أقوالهم بلسان عربي مبين ، وهم لم يكونوا يعرفون العربية[3] وبذلك يتضح أن الحديث القدسي كلام الله بالمعنى ، واللفظ للرسول صلى الله عليه وسلم •

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن

الفرق بينهما من وجهين :

١ ــ أن القرآن الكريم كلام الله تعالى بلفظه ومعناه ، أي : أنه سبحانه أنزله بلفظه ومعناه جميعا . بينما الحديث القدسي ــ كما ذكرنا آنفا ــ كلام الله تعالى بمعناه فقط ،واللفظ للرسول صلى الله عليه وسلم •

وقد شبه بعض المعاصرين الحديث القدسي والقرآن تشبيها موضحا فقال : « الحديث القدسي نظير ما لو أعطي شخص كتابا ، أو ألقي عليه كلام بإحدى اللغات . وكلف أن يترجمه الى لغة أخرى •• فالترجمة باللغة المنقول اليها ، هي من صياغته وعبارته ، ولكن معانيها انما ينقلها نقلا على سبيل الحكاية •

أما القرآن فنظير ما لو أعطي شخص كتابا موجها الى جماعة

---

(١) سورة طه الآيتان ٤٩ ــ ٥٠

(٢) سورة آل عمران الآية ٣٧

(٣) انظر كتاب « النبأ العظيم » للدكتور محمد عبد الله دراز ص٩ــ١١

وكلف أن يتلوه عليهم بنصه تبليغا دون تصرف »[1]

وقد أنزل القرآن الكريم بلفظه ومعناه لأنه كتاب للتحدي ، واننا لنقرأ فيه التحدي المثير وذلك في آيات عديدة منها قوله سبحانه (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)[2] . وقدكرر رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدي الوارد في آيات القران ، فتحدى العرب كافة أن يأتوا بمثله فما استطاعوا ، ولزمتهم الحجة وكان القرآن المعجزة الباقية على وجه الدهر ، بخلاف الحديث القدسي الذي أنزل لمجرد العمل به، كما أشرنا الى ذلك فيما سلف .

٣ ــ وهناك فرق آخر بين الحديث القدسي والقرآن يتصل بطريقة النقل، فالقرآن منقول الينا بالتواتر[3] ، كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم،وهو ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذي كان يملي،ودون في المصحف .

أما الحديث القدسي فقد نقل كما نقلت معظم الاحاديث النبوية عن طريق الآحاد ولذلك،فان فيه ــ كما اشرنا الى ذلك قبل قليل ــ الصحيح والضعيف والحسن والموضوع .

---

(١) انظر « في الحديث النبوي » لاستاذنا الشيخ مصطفى الزرقا ص ٧٣ .
(٢) سورة البقرة الآيتان ٢٣ و ٢٤ .
(٣) انظر معنى التواتر في الفصل الثامن من هذا الباب .

الفرق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي :

اذا كان لفظ الحديث القدسي للرسول ، والمعنى لله فما الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي الذي نعلم أن كثيرا من معانيه من الله واللفظ للرسول ؟

وقد أجاب العلماء على هذا السؤال بما نلخصه [1] فيما يأتي :

ان الاحاديث النبوية التي ليست بقدسية تنقسم الى قسمين :

١ ـ قسم استنبطه النبي صلى الله عليه وسلم بفهمه لكلام الله او بتأمله في حقائق الكون ، وهذا القسم ليس من كلام الله ، ولكن الله تبارك وتعالى لا يقر نبيه صلى الله عليه وسلم ان أخطأ في أمر من أمور الشريعة ، بل ينزل في ذلك قرآنا يبين له الحق ، كما حدث في قصة أسرى بدر ، وفي صلاته على المنافقين ، وفي الإذن لهم . وفي قصة الأعمى عبد الله بن أم مكتوم ، أو يوحي اليه بالصواب ولا يكون هذا الوحي قرآنا .

وقد قرر المحققون من العلماء ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في امور كثيرة [2] وأن ذلك وقع منه في أحكام

---

(١) انظر « النبا العظيم » ص ٩ ــ ١١ .

(٢) نقل القاسمي عن « المرقاة » ذلك ، انظر « قواعد التحديث » ص ٣٣ ونقل ايضا عن الدهلوي في « حجة الله البالغة » قوله (واجتهاده صلى الله عليه وسلم بمنزلة الوحي لان الله تعالى عصمه من ان يتقرر رايه على الخطأ) « قواعد التحديث » ص ٢٥٥ .

الشرع ، وهذا الذي عليه عامة الاصوليين ، واستدلوا على ذلك بأدلة موجودة في كتب أصول الفقه ، وقد أفرد هـذا الموضوع بالتأليف الشيخ عبد الجليل عيسى في كتابه « اجتهاد الرسول » وقد أورد فيه أملثة كثيرة جدا من هذا النوع من الحديث [1] .

٢ ـ وقسم تلقى الرسول صلى اللـه عليه وسلم مضمونه من الوحي ، فبينه بكلامه واسلوبه ، وهذا القسم وان كان ما فيه من المعاني من اللـه تعالى ، لكنه من حيث هو كلام جدير بأن ينسب الى الرسول صلى اللـه عليه وسلم لانه قائله ، وكثير من الاحاديث النبوية من هذا القبيل .

غير انه ليست لدينا علامة نفرق بواسطتها بين هذين القسمين . ومهما يكن من أمر فان هذا التقسيم لا يؤدي الـى نتيجة عملية أبدا ، لا نعلى المسلم أن يمتثل أمر الرسول صلى اللـه عليـه وسلم سواء أكان الحديث من هذا القسم أم من ذاك ، إذ أنـه عليه الصلاة والسلام متصل بالوحي يقـره على الصحيح من الاستنباط وينبهه الى الخطأ في الاجتهاد ، كما اشرنا الى ذلك قبل قليل ، فكان مرد الأمر في الحقيقة الى الوحي في القسمين [2] : إما

(١) قال الاستاذ المعلمي اليماني في « الانوار الكاشفة » ص ٢٢ : (.. ثم قال قوم : جميع ما بينه الرسول علمه بالوحي . وقال اخرون : منه ما كان باجتهاد اذن اللـه له فيه واقره عليه . ذكرهما الشافعي في « الرسالة » ثم قال ص ١٠٤ : واي هذا كان فقد بين اللـه انه فرض فيه طاعة رسوله .) وانظر «المسودة في أصول الفقه» «لآل تيمية» ص ٥٠٧ .

(٢) انظر كتاب الدكتور علي حسن عبد القادر « نظرة عامـة في تاريخ الفقه الاسلامي » ص ٥١ .

بأن يقر الوحي اجتهاده السديد ، او يصححه ان كان مخطئا ، واما بأن يكون معنى الحديث منزلا ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد صاغ لفظه .

ولو استطعنا التفريق بين هذين القسمين لسمينا النوع الثاني قدسيا ايضا ... ولكن عندما عجزنا عن هذا التفريق سمينا النوعين باسم ينطبق عليهما وهو (الحديث النبوي) قال الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله :

« فلما قطعنا في الحديث القدسي بنزول معناه لورود النص الشرعي على نسبته الى الله تعالى بقوله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى » سميناه قدسيا لذلك ، بخلاف الاحاديث النبوية ، فانها لما لم يرد فيها مثل هذا النص جاز في كل واحد منها ان يكون مضمونه معلما بالوحي وان يكون مستنبطا بالاجتهاد ، فسمي الكل نبويا وقوفا بالتسمية عند الحد المقطوع به ، ولو كانت لدينا علاقة تميز لنا قسم الوحي لسميناه قدسيا كذلك » [1] .

عدد الاحاديث القدسية ونماذج منها :

ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في « شرحه للاربعين النووية » عند شرح حديث ابي ذر ان مجموع الاحاديث القدسية المروية يتجاوز المائة. وذكر انه قد جمعها بعضهم في جزء كبير . ثم قال : (وحديث ابي ذر هذا من أجلها) [2] .

---

(١) « النبأ العظيم » ١٠ — ١١ .

(٢) نقل هذا الكلام القاسمي في « قواعد التحديث » ص ٣٦ .

والحق أن عددها ــ اذا اردنا ان نغض النظر عن صحتها ــ كثير ، فهو يجاوز الثمانمائة ، بل قد يقارب الالف ، وذكر العلامة محمد المدني المتوفى سنة (١٢٠٠) هـ في كتابه « الاتحافات السنية في الاحاديث القدسية » ثمانمائة وثلاثة وستين حديثا . وقد قسم كتابه ثلاثة أقسام :

الاول : ما هو مبدوء من الحديث بلفظ (قال) وعدد أحاديثه ١٦٨ .

والثاني : ما هو مبدوء بلفظ (يقول) وعدد أحاديثه ٩١ .

والثالث : ماليس مبدوءا بواحد منهما ، وهو مرتب على حروف الهجاء [٢] .

هذا وقد اصدر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية في مصر سنة ١٣٨٩ هـ ــ ١٩٧٠ م كتابا عنوانه « الاحاديث القدسية » يقع في جزأين وفيه ٤٠٠ حديث اختيرت من الكتب الستة و « الموطأ » وعليها بعض الهجاء [١] .

ويحسن ان نورد نماذج للاحاديث القدسية :

١ ــ عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال :

---

(١) ملخص من كلام مصحح كتاب « الاتحافات » الاستاذ محمود النواوي الذي ذكر ان غالب هذه الاحاديث مأخوذ من « جمع الجوامع » للسيوطي ومن غيره قليلا .

ياعبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا •

ياعبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني أهدكم •
ياعبادي كلكم جائع الا من أطعمته فاستطعموني اطعمكم •
ياعبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني أكسكم •

ياعبادي انكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم •••

ياعبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ••

ياعبادي لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئا •

ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا •

ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد، فسألوني فأعطيت كل انسان مسألته، مانقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر •

ياعبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله عز وجل ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » •

رواه مسلم واللفظ له ، ورواه الترمذي وابن ماجه •

٢ ــ عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان اللـه يقول : أنا عند ظن عبدي بي ، وانا معه اذا دعاني » •
رواه البخاري ومسلم واللفظ له ، والترمـذي والنسائي وابن
ماجه •

٣ ــ عن معاذ : قال سمعت رسول اللـهصلى اللـه عليه وسلم يقول :
« قال اللـه عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور ،
يغبطهم النبيون والشهداء » • رواه الترمذي وقـال : حديث
حسن صحيح •



الفصل الرابع

رواية الحديث بالمعنى[1]

١ ـ اشترط العلماء في رواية الحديث شروطا مشددة تضمن الدقة في ايراد الحديث دون زيادة ولا نقصان ، فقد ابى بعضهم قبول رواية الحديث ان كان الراوي معتمدا فيما يرويه على الكتاب فقط أي لا يروي من حفظه وتذكره ، وأبى بعضهم رواية الحديث بالمعنى مطلقا ومنعها بعضهم الآخر الا بشروط ، وللعلماء في ذلك كلام مطول ، واتجاهات متعددة وملاحظات ومناقشات ، لن نفصل القول فيها ، لان ذلك يخرج بنا عن حدود دراستنا لهذه المادة ، ونكتفي بالاشارة الى المهم في هذا الموضوع .

ورواية الحديث بالمعنى هي ان يعمد الراوي الى تأدية معاني الحديث بألفاظ من عنده .

٢ ـ لا خلاف بين أهل العلم في ان المحافظة على لفظ الحديث ونصه كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر جليل ، يحرص عليه اشد الحرص ، وانه الاولى بكل ناقل ، والاجدر بكل

راوٍ [1] .

٣ – وقد اتفق العلماء على ان الراوي اذا لم يكن عالما بالالفاظ ومدلولاتها ومقاصدها ، ولا خبيرا بما يحيل معانيها ، ولا بصيراً بمقادير التفاوت بينها لم تجز له رواية ماسمعه بالمعنى .

هكذا نقل ابن الصلاح [2] والنووي [3] وغيرهما الاتفاق عليه [4].

قال الغزالي :

(نقل الحديث بالمعنى دون اللفظ حرام على الجاهل بمواقع الخطاب ودقائق الالفاظ ، أما العالم بالفرق بين المحتمل وغير المحتمل ، والظاهر والاظهر ، والعام والاعم ، فقد جوز له الشافعي ومالك وأبو حنيفة ، وجماهير الفقهاء ان ينقله على المعنى اذا فهمه) [5] .

٤ – واختلفوا في جواز رواية الحديث بالمعنى بالنسبة للعالم الخبير البصير ، فمنعها قوم على الاطلاق . وأجازها قوم وقيدوا جوازها

---

(١) « جامع الاصول » لابن الاثير ١/٥١ .
(٢) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٩٠ .
(٣) « تدريب الراوي » ٣١١ .

(٤) وانظر « المحدث الفاصل » للرامهرمزي ص ٥٣٠ و « توجيه النظر » للشيخ طاهر الجزائري ٢٩٨ و « الباعث الحثيث » ١٤١ و « المستصفى » للغزالي ١/١٦٨ و « الكفاية » طبع مصر ص ٢٦٤ و « الرسالة » للشافعي ص ٣٧٠ – ٣٧١ .

(٥) « المستصفى » ١/١٦٨ طبعة بولاق .

بشروط عديدة ، وسنورد أهم هذه الشروط فيما يأتي [1] :

أ ــ اشترطوا ان يكون الراوي عارفا بدقائق الالفاظ ، بصيراً بمقدار التفاوت بينها ، خبيرا بما يحيل معناها ، ضابطا لمعنى الحديث ، عالما بالمحتمل وغير المحتمل والظاهر والاظهر ، والعام والأعم •

ب ــ واشترطوا أن يكون ذلك في خبر ظاهر ، أما الخبر المحتمل فلا يجيزون روايته بالمعنى . لانه ربما نقله بلفظ لا يؤدي مراد الرسول صلى الله عليه وسلم •

ج ــ واشترطوا الا تكون رواية الحديث قاصرة عن الاصل في افادة المعنى ، وألا يكون فيها زيادة ولا نقصان . وان تكون مساوية للاصل في الجلاء والخفاء ، لان الخطاب يقع تارة بالمحكم ، وتارة بالمتشابه •

وقال فريق من العلماء : لا يجوز له الا ابدال اللفظ بما يساويه ويرادفه بالمعنى ، مما لا يتطرق اليه تفاوت بالاستنباط والفهم ، وانما ذلك فيما فهمه قطعا ، لا فيما فهمه بنوع استدلال يختلف فيه الناظرون •

٥ ــ ومن المفيد أن نعرف أسماء العلماء المانعين لرواية الحديث بالمعنى والمجيزين لها وأهم حجج كل من الفريقين ليتضح لنا القول الحق في هذا الموضوع ، ولنرى مدى حرص الفريقين على صيانة حديث رسول اللـه صلى الله عليه وسلم من التغيير والتبديل •

---

(١) انظر « توجيه النظر » ص ٢٩٨ وما بعدها حتى ٣٧٤ .

المانعون :

من المانعين ابن سيرين وعلي بن المديني والقاسم بن محمد والقاضي عياض الذي يقول :

(ينبغي سد باب الرواية بالمعنى لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع لكثير من الرواة قديما وحديثا . والله الموفق) [1] .

وكان الامام مالك يتشدد في منع رواية الاحاديث المرفوعة ، ويتحفظ من الباء والتاء [2] وهو مذهب الظاهرية ومذهب جماعة من أئمة الحديث .

وكذلك فان أبا بكر بن العربي المتوفى ٥٤٤ هـ يرى أن غير الصحابة ممنوعون من رواية الحديث بالمعنى ، وانما جاز للصحابة ذلك لانه كما يقول : اجتمع فيهم أمران عظيمان :

أحدهما : الفصاحة والبلاغة اذ جبلتهم عربية ولغتهم سليقة .

الثاني : أنهم شاهدوا قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله ، فأفادتهم المشاهدة عقل المعنى جملة ، واستيفاء المقصد كله ، وليس من أخبر كمن عاين [3] .

---

(١) « تدريب الراوي » ص ٣١٤ و « قواعد التحديث » ص ٢١١ و « الباعث الحثيث » ص ١٤٣ ، ووجدت للقاضي عياض قولا قريبا مما نقله عنه السيوطي و القاسمي وشاكر ، في « الالماع »ص ١٨٦ .

(٢) « الالماع » ١٧٩ و « الكفاية » ٢٧٥ ، و تفسير القرطبي ٤١١/١ هذا وقد روي عن مالك القولان .

(٣) « احكام القرآن » لابن العربي ١٠/١ .

أدلتـــهم :

ويستدلون بالحديث المشهور وهو : « نضر اللـــه امرأ سمع منا حديثا ، فبلغه كما سمعه فانه رب مبلغ هو أوعى له من سامع » [1] .

ورأى الخليل بن أحمد : أن من رواه بالمعنى فقد أزاله عن موضعه ومعرفة ما فيه [2] .

واستدلوا بما روي عن بعض الصحابة من أمثال صهيب والمنقـع التيمي وعمر بن الخطاب وغيرهم [3] الذين كانوا يتشددون في الرواية باللفظ حتى حملهم هذا على ان يكفوا عن التحديث ما دام غيرهم يقوم بهذه المهمة خوفا من التزيد والنقصان [4] .

ومن أدلة المانعين أيضا قولهم : ان المتأخر ربما استنبط من فوائد آية أو خبر ما لم يتنبه له السابقون من العلماء ، فعلمنا أنه لا يجب في كل ما كان من فوائد اللفظ أن يتنبه له السامع في الحـــال وان كـــان فقيها ذكيا . ولو جوزنا النقل بالمعنى فربما حصل التفاوت العظيم مع أن الراوي يظن أن لا تفاوت .

وكذلك من أدلتهم على منع الراوية بالمعنى قولهم : لو جاز للراوي تبديل اللفظ الذي سمعه بلفظ نفسه كان للراوي الثاني أن يبدل اللفظ الذي سمعه من الراوي الاول بلفظ جديد . وان كان ذلك في الطبقة

---

(١) رواه أحمد وغيره بسند صحيح .

(٢) « الباعث الحثيث » ص ١٤٢ .

(٣) انظر « طبقــات ابن ســعد » ٦٣/٧ و « تذكــرة الحفــاظ » ٢/١ــ٨ و « تحذير الخواص » بتحقيقنا ص ١٦و ٢٨ و ٣٦ .

(٤) « الكفاية » للخطيب البغدادي ص ١٧٣ طبع الهند .

الثالثة والرابعة فذلك يفضي الى سقوط الكلام الاول ، لانه اذا توالت التفاوتات كان التفاوت الأخير تفاوتاً فاحشا ، بحيث لا يبقى بين الكلام الاخير وبين الاول نوع مناسبة .

والحق أن الدليل الاخير دليل وهمي ، ذلك لاننا نعلم أن الحديث قد كتب معظمه في القرن الاول .

المجيزون :

ممن رخص في ايراد الحديث بالمعنى علي ، وابن عباس ، وأنس بن مالك . وأبو الدرداء [١] . وابو هريرة رضي الله عنهم . وجماعة من التابعين يكثر عددهم ، منهم الحسن البصري ، والشعبي ، وعمرو بن دينار، والزهري [٢] وابراهيم النخعي، ومجاهد ، وعكرمة[٣] . وعدد كبير من العلماء منهم الشافعي وغيره من الائمة [٤] .

واشترطوا المحافظة على المعنى كاملا وأن يكون الراوي عالما بالالفاظ خبيرا بما يحيل معانيها .

أدلتهم :

يوردون حديثا أخرجه الطبراني في « الكبير » ، عن سليمان بن

---

(١) اخرج ابو خثيمة في « كتاب العلم » ص ١٣٤ رقم الاثر ١٠٥ عن ربيعة بن يزيد عن ابي الدرداء قال : كان اذا حدث بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم الا هكذا او كشكله .

(٢) اخرج ابو خيثمة في « كتاب العلم » ص ١٣٤ رقم الاثر ١٠٦ عن الزهري قوله : اذا اصبت المعنى فلا بأس .

(٣) « قواعد التحديث » ص ٢٠٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٨ وانظر « الرسالة » ص ٣٧٠ .

أكيمة الليثي قال : قلت : يارسول الله اني اذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه كما أسمع منك ، يزيد حرفا او ينقص حرفا • فقال : « اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا ، وأصبتم المعنى ، فلا بأس »[1] فذكر ذلك للحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا •

واستدلوا على جواز رواية الحديث بالمعنى بأن المسلمين قد أجمعوا على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم ، فاذا جاز ابدال العربية بعجمية ، فلان يجوز إبدال عربية بعربية أولى،احتج بهذا المعنى الحسن والشافعي •

وهذا لأنا نعلم أنه لا تعبد في اللفظ ، ولا تحدي ، وانما المقصود فهم المعنى وايصاله الى الخلق ، وليس ذلك كالتشهد وما تعبد فيه باللفظ كالدعاء •

قال القرطبي في « تفسيره » :

(استدل بعض العلماء بهذه الاية (وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين • فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل)[2] على أن تبديل الاقوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلو ان يقع التعبير بلفظها أو بمعناها ، فان كان التعبير وقع بلفظها فلا يجوز تبديلها لذم الله تعالى من بدل ما أمره بقوله ، وان وقع بمعناها جاز تبديلها بما

---

(١) « الكفاية » ٣٠١ ـ ٣٠٢ طبع مصر « قواعد التحديث » ص ٢٠٨ و « توجيه النظر » ص ٢٩٩ . قال الشيخ ناصر : لكن الحديث ضعيف الاسناد ، فيه من لا يعرف كما في « مجمع الزوائد » ١/١٥٤ مع اختلاف في اسناده ، ذكره الحافظ في « الاصابة » ٢/٧١ ـ ٧٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٥٨ و ٥٩ .

يؤدي الى ذلك المعنى ولا يجوز تبديلها الى ما يخرج عنه)[١] .

ومن أدلتهم أن القصة الواحدة ، والخطبة الواحدة رواها الصحابة بألفاظ مختلفة ، ولم ينكر بعضهم على بعض ، فدل ذلك على الجواز . واورد ابو خيثمة والخطيب البغدادي عن واثلة بن الاسقع قوله : اذا حدثناكم بالحديث على معناه فحسبكم[٢] . وقال قتادة : عن زرارة بن أوفى قال : لقيت عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا عليّ في اللفظ واجتمعوا في المعنى[٣] .

ومن أدلتهم ما يروى عن ابن مسعود انه كان يقول بعد رواية الحديث : قال رسول الله صلى عليه وسلم كذا أو نحوه .

واستدلوا على ذلك أيضا بأن كثيرا من الصحابة كانوا أميين لايكتبون ، وقد رووا الاحاديث بعد زمان ، فلا بد من أن تكون الالفاظ قد بدلت .

وقد ردوا أدلة المانعين ، فقالوا : ــ كما في « الكفاية » و تفسير القرطبي ــ :

ــ فان قيل : فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها كما سمعها » وذكر الحديث ... وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه : « آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت » فقال الرجل :

---

(١) « تفسير القرطبي » ٤١١/١ .

(٢) « كتاب العلم » لابي خثيمة زهير بن حرب ص ١٣٤ رقم الاثر ١٠٤ و « الكفاية » للخطيب البغدادي ص ٣٠٩ طبع مصر .

(٣) القرطبي ٤١١/١ .

ورسولك الذي أرسلت . فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم : « ونبيك الذي ارسلت » . قالوا : أفلا ترى أنه لم يسوغ لمن علمه الدعاء مخالفة اللفظ . وقال : « فأداها كما سمعها » .

قيل لهم : أما قوله :« فأداها كما سمعها »فالمراد حكمها لا لفظها . لان اللفظ غير معتد به . ويدلك على أنّ المراد من الخطاب حكمه قوله « فرب حامل فقه غير فقيه . ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه » . ثم ان هذا الحديث بعينه قد نقل بألفاظ مختلفة ، لكن الاغلب انه حديث واحد نقل بألفاظ مختلفة . وذلك اول دليل على الجواز ، ويبدو ان القرطبي استفاد من كلام الخطيب ، ويحسن ان نورده لأنه أوضح قال : [أما الحديث .. فهو حجة عليكم لانه قد علل فيه .. بقوله صلى اللـه عليه وسلم : « فرب مبلغ أوعى من سامع . ورب حامل فقه ليس بفقيه الى من هو أفقه منه وكانه قال : اذا كان المبلغ اوعى من السامع وأفقه ، وكان السامع غير فقيه ولا ممن يعرف المعنى وجب تأدية اللفظ ليستنبط معناه العالم الفقيه ، والا فلا وجه لهذا التعليل ان كان حال المبلغ والمبلغ سواء] ثم قال : [على ان رواة هذا الخبر نفسه قد رووه بالمعنى .. وقد ذكرنا طرقه على الاستقصاء باختلاف الفاظها في كتاب افردناه لها والظاهر يدل على ان هذا الخبر نقل على المعنى فلذلك اختلفت الفاظه وان كان معناه واحدا واللـه أعلم] [(١)] .

وأما رده صلى اللـه عليه وسلم الرجل من قوله : ورسولك الى قوله « ونبيك » ، لان لفظ النبي صلى اللـه عليه وسلم أمدح ولكل

---

(١) « الكفايـة » ٣٠٥ .

نعت من هذين النعتين موضع . ألا ترى ان اسم الرسول يقع على الكافة واسم النبي لا يستحقه الا الانبياء عليهم السلام [1] . وانما فضل المرسلون من الانبياء لانهم جمعوا النبوة والرسالة فلما قال : « ونبيك » جاء بالنعت الامدح ، ثم قيده بالرسالة بقوله : « الذي أرسلت » وأيضا فان نقله من قوله : ورسولك الى قوله : « ونبيك » ليجمع بين النبوة والرسالة . ومستقبح في الكلام أن تقول : هذا رسول فلان الذي أرسله ، وهذا قتيل زيد الذي قتله لانك تجتزىء بقولك : رسول فلان ، وقتيل فلان عن اعادة المرسل والقاتل ، اذ كنت لا تفيد به الا المعنى الاول . وانما يحسن ان تقول : هذا رسول عبد الله الذي أرسله الى عمرو ، وهذا قتيل زيد الذي قتله بامس او في وقعة كذا . والله ولي التوفيق .

فان قيل : اذا جاز للراوي الاول تغيير الفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم جاز للثاني تغيير ألفاظ الاول ويؤدي ذلك الى طمس الحديث بالكلية لدقة الفروق وخفائها .

---

(١) قلت : الذي عندي ان رد رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل الى قوله الذي علمه اياه انما هو لانه دعاء ، والدعاء تعبد ، وللالفاظ اسرار في الدعاء لا يباح لعبد ان يغيرها ؛ الا ترى انه لا يجوز للمرء ان يغير لفظ التحيات في الصلاة الى ما يقابلها ، وما ذكره القرطبي شيء جميل يضم الى ما ذكرنا وان كان الذي ذكرنا هو المقدم في الاحتجاج والله اعلم .

قيل له : الجواز مشروط بالمطابقة والمساواة كما ذكرنا ، فان عدمت لم يجز [1] .

ويظهر أن الرواية بالمعنى أمر يضطر اليه المحدث اضطرارا في أحيان كثيرة ، لأن الضبط الدقيق مطلب عزيز لا يتقنه إلا القليل ، ومما يدل على ذلك مانقله الذهبي عن أبي حاتم :

(قال أبو حاتم : لم أر من المحدثين من يحفظ ويأتي بالحديث على لفظه لا يغيره سوى قبيصة وأبي نعيم في حديث سفيان ، وسوى يحيى الحماني في حديث شريك ، وعلي بن الجعد في حديثه)[2] .

هذا ولانرى أن يقدم أحد يكتب بحثاً أو يلقي خطبة أو ينشر مقالة على رواية الحديث بالمعنى ؛ لأن سبيل روايته باللفظ الآن ميسرة بسبب طباعة كتب الحديث وانتشارها في كل مكان ووجود الفهارس لها وتوفر وسائل حديثة تسهل الوقوف على نص الحديث ، أما إذا كان الانسان في مجلس وكان يتحدث في موضوع وغاب عن ذهنه لفظ الحديث وكان متأكداً من معناه ، فليرود بالمعنى ، وليبين للسامعين أنه يرويه بالمعنى .

ومهما يكن من أمر فان مما يحسن بالراوي أن يفعله هو أن يقول عقب رواية الحديث « أو كما قال » ، أو كلمة بهذا المعنى [3] .

خاتمــــة :

والذي يغلب على ظننا أن الرواة لايعدلون عن اللفظ الا عندما ينسونه ، وهذا أمر طبيعي ، فنحن في حياتنا اليومية كثيرا ما ينقل بعضنا

---

(1) تفسير القرطبي ٤١١/١ ـ ٤١٤ . وانظر « الكفاية » ص ٣٠٦ .
(2) « الميزان » ٣٨٣/٣ .
(3) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٩١ « والباعث الحثيث »ص١٤٣

أقوال بعض معتمدين على السماع . وغالبا ما تنتقل الاقوال بألفاظها كما نطق بها قائلوها ، وقد يتكلف الناقل غير لهجته ليقلد المتحدث ، فاذا غاب عن ذهنه لفظ كلمة أتى بما يدل عليها . هذا ما يفعله الناس العاديون دائما في أحاديثهم ،فما بالك بمن يروي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دين ؟ لا شك في انه سيكون أكثر تحريا وأدق في نقل الحديث الذي يعتبر مصدرا من مصادر الدين والتشريع .

وقد رأينا أن بدء تدوين السنة كان في وقت مبكر جدا ، ومازال ينمو حتى قامت به الدولة رسميا أيام عمر بن عبد العزيز ،وحافظة العرب أمر مشهور ، اذ أنهم كانوا سريعي الحفظ ، نقلوا الينا الشعر الجاهلي . وقول النبي صلى لله عليه وسلم من جوامع الكلم ، ومن روائع البيان التي يحرص الناس على حفظها وروايتها .

كل ذلك يجعلنا نظن أن بعض الاحاديث الطويلة هي وحدها المروية بالمعنى ، أما الاحاديث القصيرة البليغة والاحاديث التي يتعبد بها ، فهي منقولة بلفظها دون شك .

اختصار الحديث

ومما يتصل بالرواية بالمعنى اختصار الحديث ، وهو أمر جائز ، وعلى ذلك عمل الأئمة ، فيحذف بعضه إذا لم يكن المحذوف متعلقا بالمذكور هذا إذا كان الخبر وارداً بروايات أخرى تاما ، وأما اذا لم يرد تاما من طريق أخرى فلا يجوز لأنه كتمان لما وجب إبلاغه [1].

وقال ابن الصلاح :(هل يجوز اختصار الحديث ورواية بعضه دون

(١) « الباعث الحثيث » ص ١٤٤

بعض أختلف أهل العلم فيه . فمنهم من منع ذلك مطلقا بناءً على القول بالمنع من النقل بالمعنى مطلقا ، ومنهم من منع ذلك مع تجويزه النقل بالمعنى اذا لم يكن قد رواه على التمام مرة أخرى ولم يعلم أن غيره قد رواه على التمام ، ومنهم من جوز ذلك وأطلق ولم يفصل . والصحيح التفصيل ، وانه يجوز ذلك من العالم العارف اذا كان ما تركه متميزا عما نقله غير متعلق به بحيث لا يختل البيان.ولا تختلف الدلالة فيما نقله بترك ماتركه فهذا ينبغي أن يجوز وان لم يجز النقل بالمعنى ، لأن الذي نقله والذي تركه والحالة هذه بمنزلة خبرين منفصلين في أمرين لا تعلق لأحدهما بالآخر] (1) .

ونقل ابن كثير عن ابن الحاجب في « مختصره » قوله :

(حذف بعض الخبر جائزعند الأكثر إلا في الغاية والاستثناء ونحوه أما إذا حذف الزيادة لكونه شك فيها فهذا سائغ ، كان مالك يفعل ذلك كثيرا) (2) .

---

(1) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٩٢ ـ ١٩٣

(2) « اختصار علوم الحديث » لابن كثير ص ١٤٤ .

الفصل الخامس

الرّواية والدّراية وأهمّ علوم الحديث

١ ـ علم الحديث الخاص بالرواية : هو علم يقوم على نقل محرر دقيق لكل ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم من قول وفعل وتقرير .

ويمكن أن نلحق به ما أضيف الى الصحابة .

وكلمة (الرواية) يقصد بها مجرد نقل الحديث والاحاطة بطرق أسانيده وضبط الألفاظ في المتن والسند ، وتحقيق الأسماء وكل ما يعود الى نقل الحديث مضبوطا عمن يروى عنه ، دون البحث في أحوال الرواة والمتن ، ذلك البحث الموصل الى الحكم على مرتبة الحديث في درجات الصحة والضعف .

٢ ـ علم الحديث الخاص بالدراية : هو علم تعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأحكامها وحال الرواة وشروطهم وأصناف

---

(١) « تدريب الراوي » للسيوطي ص ٥ ينقل ذلك عن كتاب « ارشاد القاصد » لابن الاكفاني .

(٢) القبول .

المرويات وما يتعلق بها [1] .
إذن ففي هذا العلم مباحث يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد .

ولابد أن نشرح المراد من الكلمات الواردة في هذا التعريف :

• فكلمة (الدراية) نعني بها التمحيص والتمييز والنقد والبحث في عوامل الحكم على السند بالصحة أو الضعف : وفي فهم المتن فهماً علمياً .

• وحقيقة الرواية نقل السنة ونحوها وإسناد ذلك إلى من عزي إليه بتحديث أو إخبار وغير ذلك .

• وشروط الرواية تحمل راويها لما يرويه بنوع من أنواع التحمل .
• وأنواع الرواية الاتصال والانقطاع ونحوها .
• وأحكامها : القبول والرد .
• وحال الرواة : العدالة والجرح .
• وشروط الرواة : التحمل والأداء .
• وأصناف المرويات المصنفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها .
• ومايتعلق بها هو معرفة اصطلاح أهلها .

وكل ما تقدم متعلق بأمرين هما : أحوال الراوي وأحوال المروي .

فأحوال الراوي : هي معرفة حاله تحملا وأداءً وجرحاً وتعديلا ومعرفة وطنه وأسرته ورحلاته .

(1) تدريب الراوي ص ٥٠ .

وأحوال المروي : هي ماينعلق بشؤون الرواية عند التحمل والأداء وبالأسانيد من اتصال أو انقطاع .

• وقد وجد ناس من نقلة الحديث أجادوا الرواية وكانوا فيها ثقات،ولكنهم لم يجيدوا الدارية،وليس يجرح فيهم عدم العلم بذلك .

قال الخطيب البغدادي :

(وكذلك إن لم يكن من أهل العلم بمعنى ماروى لم يكن بذلك مجروحاً ، لأنه ليس يؤخذ عنه فقه الحديث ، وإنما يؤخذ منه لفظه ، ويرجع في معناه الى الفقهاء)[1] .

• وقد وجد ناس حذقوا الدراية واشتهروا بها أكثر من الرواية .

• ووجد ناس أتقنوا الرواية والدراية كبعض الأئمة المحدثين مثل مالك والشافعي وأحمد والبخاري وأبي داود وغيرهم .

أهم علوم الحديث :

يطلق العلماء على علم الحديث دراية علم أصول الحديث وقد تشعبت مباحث هذا العلم حتى أضحت علوماً سنذكر أهمها فيمايأتي :

١ ـ علم الجرح والتعديل :

وهو علم يبحث في جرح الرواة وتعديلهم .

والجرح : الطعن في الراوي من ناحية فأكثر .

والتعديل : توثيق الراوي وقبول روايته وعده ثقة ، أي الاحتجاج بروايته ونقله .

وقد اتفق العلماء على جواز الجرح تبياناً للواقع ولم يعدوا ذلك غيبة .

• قال الخطيب : (.. لأن أهل العلم أجمعوا على أن الخبر لا

---

(١) « الكفاية » ص ١٥٧

يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به ، وفي ذلك دليل على جواز الجرح لمن لم يكن صدوقاً في روايته مع أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وردت مصرحة بتصديق ماذكرنا [(١)] ثم أورد الأحاديث في ذلك من نحو قوله صلى الله عليه وسلم : « بئس رجل العشيرة » .

• وقال الدارقطني :(فإن ظن ظان أو توهم متوهم أن التكلم فيمن روى حديثاً مردوداً غيبة له ، يقال له : ليس هذا كما ظننت ، وذلك أن إجماع أهل العلم على أن هذا واجب ديانة ونصيحة للدين وللمسلمين)[(٢)]. ثم روى عن أبي بكر بن خلاد أنه قال ليحيى القطان :

أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله عز وجل . قال : لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إلي من أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصمي يقول لي : لِمَ لمْ تذب الكذب عن حديثي .

وقد اشتغل بهذا العلم بعض الصحابة وبعض التابعين ، كابن عباس والشعبي ، وأول من جمع كلامه وآراؤه في الجرح والتعديل هو يحيى بن سعيد القطان المتوفى سنة ١٨٩ هـ .

ويبلغ هذا العلم الذروة عند يحيى بن معين المتوفى سنة ٢٣٣هـ وأحمد بن حنبل المتوفى في سنة ٢٤١ هـ .

نماذج من قواعده ومصطلحاته :

وفي علم الجرح والتعديل قواعد محكمة ، وموازنات طريفة ، واصطلاحات هامة ، .

---

(١) « الكفاية » ص ٨٣ .

(٢) « تحذير الخواص » بتحقيقنا ١١٨ ـ ١٢٨ .

• فمن قواعده : أن تعديل الشخص مقبول من أهل المعرفة الموثوقين ، ولو لم يذكر سببه . أما الجرح فلا يقبل إلا ببيان سببه الموجب له . ككون الراوي كذاباً أو ذا غفلة أو مبتدعاً .

وهذا القول هو القول المعتمد لدى أصحاب هذا الفن [1] .

قال الخطيب : (.. فإن أسباب العدالة كثيرة يشق ذكر جميعها ، ولو وجب على المزكي الإخبار بها لكان يحتاج الى أن يقول : المزكى هو عدل ليس يفعل كذا ولا كذا ... ويعد ما يجب عليه تركه ، ثم يقول : ويفعل كذا وكذا ... ويعد ما يجب عليه فعله . ولما كان ذلك يطول ويشق تفصيله وجب أن يقبل التعديل مجملا من غير ذكر سببه . فإن قيل : فيجب عليكم ترك الكشف عما به يصير المجروح مجروحاً ، وأن تقبلوا الجرح في الجملة ، يقال : لايجب ذلك ، لأن الجرح يحصل بأمر واحد فلا يشق ذكره ، والعدالة لاتحصل إلا بأمور كثيرة حسب ما بيناه ، والإخبار بها يحرج . فلذلك كان الاجمال فيها كافياً) [2] .

• ومن هذه القواعد أن الجرح يثبت بقول شخص واحد على القول الراجح [3] ، وبعض العلماء يشترط أن يكون الجرح بقول شخصين [4] .

• ومن هذه القواعد أن من اجتمع عليه جرح وتعديل ، فإن الجرح به أولى ، لأن الجارح لايكذب المعدل ، ولكنه تفرد بعلم أمر

---

(١) انظر تفصيل ذلك في «الكفاية» ص ١٦٥ وما بعدها و «التدريب» للسيوطي ص ١٩٧ وما بعدها والنقول التي ساقها اللكنوي في « الرفع والتكميل » ص٦٥

(٢) « الكفاية » ١٦٦ – ١٦٧

(٣) « الرفع والتكميل » ٩٠ .

(٤) « الكفاية » ١٧٤ – ١٧٥

باطـــن لم يقف عليه المعدل •

قال الخطيب البغدادي : (والعلة في ذلك أن الجارح يخبر عـــن أمر باطن قد علمه ، ويصدق المعدل ويقول له : قد علمت مـــن حاله الظاهرة ما علمتها وتفردت بعلم لم تعلمه من اختبار أمره ؛ وإخبـــار المعدل عن العدالة الظاهرة لاينفي صدق قول الجارح فيمـــا أخبر به ، فوجب لذلـــك أن يكـــون الجرح أولى من التعديل [1] •

• وهناك ألفاظ اصطلاحيـــة في الجرح والتعديـــل تختلف في دلالاتها العلمية :

ـ من أقوالهم في التعديل :

هو ثقة ـ أو متقن ـ أو صدوق ـ أو محله الصدق ـ أو لابأس به ـ أو صالح الحديث [2] •

قال الخطيب : وأرفعها أن يقال : (حجـــة) أو (ثقة) [3] •

ـ ومن أقوالهم في الجرح :

هو لين الحديث ـ أو ليس بقوي ـ أو مقارب الحديث ـ أو ضعيف الحديث ـ أو مضطرب الحديث ـ أو متروك الحديث ـ أو ليس بذاك ـ أو مجهول أو لاشيء ـ أو ساقط [4] •

قال الخطيب : وأدونها أن يقال : (كذاب) أو(ساقط) [5] •

وقولهم : (لاأعلم به بأساً) يعد دون قولهم (لابأس به) •

وقولهم : (في حديثه ضعف) يعد دون قولهم (هـــو ضعيف الحديث) •

---

(١) « الكفاية » ١٧٥

(٢) « الرفع والتكميل » ١٠٧

(٣) « الكفاية » ٥٩

(٤) « الرفع والتكميل » ١٠٩ .

(٥) « الكفايـــة » ٥٩ .

وانك لترى دقــة متناهية في الحكم على الرجال في هذا العلم ، وقــد رأيت بعض الفروق بين لفظ وآخر من هذه الألفاظ الاصطلاحية.

تحريهم ودقتهم في الحكم على الرجال :

نجد عند علماء هذا الفن تحريا كبيرا في الحكم على الرجــال ، فقد يشهدون لراوٍ بالفضل والتقوى ، ولكنهم يردون حديثه لغفلته او ضعف ذاكرته . ومن هنا كانت كلمة الامام مالــك « انا لنرد روايــة أقوام ونحن نرجو شفاعتهم يوم القيامة » .

وكلمة ربيعة بن ابي عبد الرحمن : « ان من اخواننا من نرجــو بركة دعائه ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها » [١] .

وكلمة يحيى بن سعيد القطان : « أأتمن الرجل على مائة ألف ، ولا أأتمنه على حديث » [١] .

وقد يتركون رواية لهفوات يسيرة وقعوا فيها :

فمن ذلك ما ذكروا ان جماعة من اصحاب الحديث ذهبوا الــى شيخ ليسمعوا منه ، فوجدوه خارج بيته يتبع بغلة له ، قــد انفلتت يحاول امساكها وبيده مخلاة يريهــا البغلة ، ويدعوها لعلهــا تستقر فيمسكها ، فلا حظوا ان المخلاة فارغة فتركوا الشيخ وذهبوا وقالوا : إنه كذاب،كذب على البغلة بأيهامها ان في المخلاة شعيرا ، والواقع انه ليس فيها شيء [٢] .

ومن ذلك ماروي عن شعبة أنه قيل له : لم تركت حديث فلان ؟ قــال : رأيته يركض على برذون فتركت حديثه [٣] .

---

(١) « الكفاية » ٢٤٧ .
(٢) « التنكيل » ١/٣٠ .
(٣) « الكفاية » ١٨٢ و « التدريب » ٢٠٢ .

ومن ذلك ما حدث به أبو عبيدة الحداد قال : حدثنا شعبة يوما عن رجل بنحو من عشرين حديثا ، ثم قال : امحوها . قلنا له : لِمَ؟ قال : ذكرت شيئا رأيته منه . فقلنا : أخبرنا به أي شيء هو ؟ قال : رأيته على فرس يجري ملء فرجيه [1] .

ومن ذلك ماروى عنه أحمد بن بشير قال : أتيت البصرة في طلب الحديث ، فأتيت بهزا فوجدته يلعب بالشطرنج مع قوم فتركته ، ولم أسمع منه [2] .

ومن ذلك — أيضا — ماروي عن وهب بن جرير،قال شعبة : أتيت منزل المنهال بن عمرو ، فسمعت فيه صوت الطنبور ، فرجعت ، فقيل له : فهلا سألت عنه اذ لا يعلم هو [3] .

ومن ذلك ما ذكره الذهبي عن ورقاء ، قال : قلت لشعبة : مالك تركت حديث ابي الزبير ؟

---

(1) « الكفاية » ١٨٢ .

(2) « تهذيب التهذيب » ١/٤٩٩ .

(3) « الكفاية » ١٨٣ و «التدريب » ٢٠٢ . قال ابن القيم في « تهذيب ابي داود » ١/٩٢ : (.. المنهال بن عمرو كان ابن حزم يقول : لا يقبل في باقة بقل . والمنهال قد وثقه يحيى بن معين وغيره ، والذي غر ابن حزم شيئان . . . والثاني انه سمع من داره صوت طنبور ، وقد صرح شعبة بهذه العلة) ثم قال ابن القيم : (وليس في شيء من هذا ما يقدح فيه) . وقال الذهبي في « ميزان الاعتدال » ٤/١٩٢ : (في الاخر ترك الرواية عنه شعبة لانه سمع من بيته صوت غناء ، وهذا لا يوجب غمز الشيخ) .

قال : رأيته يزن ويسترجح في الميزان [1] .

ومن عادة علماء الجرح والتعديل ان يفرقوا بين مراحل حياة الراوي . فقد يوثقونه ثم يذكرون أنه اختلط فلا يقبل حديثه .

والناس الذين يختلطون في أخريات ايامهم متفاوتون ؛ فمنهم من يكون مكثرا في الحديث ، ومنهم من يكون مقلا .

قال الذهبي :

(وقال ابو حاتم ايضا : اختلط عارم في اخر عمره . وزال عقله ، فمن سمع منه قبل العشرين وما ئتين فسماعه جيد ...

وقال الدارقطني : تغير بأخرة ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر .. وهو ثقة) [2] .

ومن ذلك ما جاء في « التدريب » :

(لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماعه أو إسماعه كمن لا يبالي بالنوم في السماع منه او عليه ، او يحدث لا من اصل مصحح مقابل على أصله أو أصل شيخه) [3] .

كتب الجرح والتعديل :

وقد الفت في هذا العلم كتب عديدة :

منها ما كان جامعا كالتاريخ الصغير والاوسط والكبير للبخاري .

ومنها ما كان خاصا في الثقات ككتاب العجلي المتوفى سنة ٢٦١ هـ

ومن المستحسن ان نشير الى ان الثقات ليسوا فقط في الكتب الستة ؛

---

(١) « ميزان الاعتدال » ٣٩/٤ .

(٢) « ميزان الاعتدال » ٨/٤ .

(٣) « تدريب الراوي » ٢٢٧ .

فقد جرد الحافظ قاسم بن قطلوبغا الثقات من غير رجال الستة في مؤلف حافل يبلغ أربع مجلدات [1] .

ومنها ما كان خاصا في الضعفاء والمتروكين كالكتب التي ألفها في ذلك البخاري والنسائي والدارقطني وابن الجوزي ، ومن أشهر المؤلفات التي اختصت بالضعفاء كتاب « ميزان الاعتدال » للذهبي .
ومنها ما كان خاصا في المدلسين ككتاب الكرابيسي والدارقطني .

٢ ـ علم تاريخ رجال الحديث :

وموضوعه البحث في رواة الحديث وتاريخهم وكل ما يتعلق بشؤونهم ونشأتهم وشيوخهم وتلامذتهم ورحلاتهم ومن اجتمعوا به أو من لم يجتمعوا به من أهل عصرهم ، ومركزهم العلمي في عصرهم وعاداتهم وطبائعهم وأخلاقهم ، وشهادة عارفيهم لهم أو عليهم ، وسائر ما له صلة بتكوين الثقة والحكم عليهم جرحا او تعديلا .

ومن الامور المهمة جدا معرفة تاريخ ولادة الرواة وتاريخ موتهم ، فبذلك يستدل العلماء على كذب الكاذب في روايته عمن لم يدركه ، فمن ذلك ما ذكره الخطيب في « الكفاية » من ان عمر بن موسى قدم حمص ، فاجتمع الناس اليه في المسجد ، فجعل يقول : (حدثنا شيخكم الصالح) ، فلما أكثر سأله عفير بن معدان :

- من شيخنا الصالح ؟ سمّه لنا نعرفه .

---

(١) « التنكيل » ١/٨٩ .

فقال : خالد بن معدان .

قال : قلت له : في أي سنة لقيته ؟

قال : لقيته سنةثمان ومائة .

قلت : فأين لقيته ؟

قال : لقيته في غزاة أرمينية .

قال : فقلت : اتق الله ياشيخ ولا تكذب . مات خالد بن معدان سنة أربع ومائة وانت تزعم انك لقيته بعد موته بأربع سنين وأزيدك أخرى انه لم يغز أرمينية قط ! كان يغزو الروم [1] .

ومن الذين اشتغلوا بهذا العلم البخاري والخطيب البغدادي والحافظ المزي والحافظ الذهبي والحافظ ابن حجر .

وكتبه كثيرة منها ما هو خاص بالصحابة ، ومنها ما هو مقصور على الثقات ومنها ما هو عام في الرجال ومنها كتب الكنى، والمؤتلف والمختلف والانساب .

٣ ـ علم مختلف الحديث :

وهو علم يبحث في الاحاديث التي ظاهرها التعارض من حيث امكان الجمع بينها اما بتقييد مطلقها ، او بتخصيص عامها ، أو حملها على تعدد الحادثة . أو بشرح الكلمة في كل من الحديثين بما يتفق واللغة العربية من جهة وبما يتفق ومناسبة الحديث واحكام الشريعة من جهة ثانية .

هذا ولا نضطر الى الجمع بين الحديثين المتعارضين الا اذا كانا صحيحين ولم يكن بينهما نسخ . قال ابن خزيمة : (لا اعرف انه روي عن

---

(١) « الكفاية » ص ١٩٣ .

النبي صلى اللـه عليه وسلم حديثان باسنادين صحيحين متضادين،فمن كان عنده فليأتني به لأؤلف بينهما) [١] .

ومن الامثلة الرائعة على هذا التوفيق والجمع ما ذكره الشافعي في رسالته في باب « ما يعد مختلفا وليس عندنا بمختلف » اذ جمع بين حديث رافع بن خديج « اسفروا بصلاة الفجر » وبين حديث عائشة « كن من نساء المؤمنات يصلين مع النبي صلى اللـه عليه وسلم الصبح وهن متلفعات بمروطهن ، ما يعرفهن أحد من الغلس » [٢] .

قال الشافعي : (ان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم لما حض الناس على تقديم الصلاة وأخبر بالفضل فيها احتمل ان يكون من الراغبين من يقدمها قبل الفجر الآخر فقال : « أسفروا بالفجر » يعني حتى يتبين الفجر الآخر معترضا) [٣] .

ومن الامثلة التي يذكرها علماء المصطلح على هذا التوفيق بين حديثين ظاهرهما التعارض قوله صلى اللـه عليه وسلم : « لا عدوى » وقوله « فر من المجذوم كما تفر من الاسد » وكلاهما صحيح، فقد قالوا في الجمع بينهما :

ان هذه الامراض لا تعدي بطبعها . لكن اللـه جعل مخالطة المريض للصحيح سببا في العدوى ولاسيما ان كان لديه استعداد لقبول

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ص ٢٥٨ .

(٢) « صحيح مسلم » ١١٨/٢ .

(٣) انظر « الرسالة » المطبوعة مع « الام » ص ٤٠ ـ ٤١ الطبعة الاميرية . واقرأ ذاك الحوار الرائع بينه وبين المخالف ، فانه من روائع ما عرفنا من الحوار والمناظرة .

المرض ، وقالوا : ان ذلك قد يتخلف عن سببه [1] .

وقد ألف في هذا العلم الامام الشافعي وكتابه مطبوع في هامش الجزء السابع من كتاب « الام » ، وابن قتيبة وكتابه مطبوع اكثر من مرة [2] ، والطحاوي ، وابن الجوزي وغيرهم .

٤ ـ علم الناسخ والمنسوخ من الحديث :

ان موضوع النسخ موضوع أصولي فصلت القول فيه كتب الاصول ، وهو أسلوب رباني عظيم من أساليب تعهد الفرد والامة بالعناية والتدرج بها في الالتزام حتى تستطيع القيام باحكام الشريعة والتحلي بآدابها ووسيلة من وسائل رفع الحرج عن الأمة ، قال الآمدي :

(واذا عرف جواز اختلاف المصلحة باختلاف الازمان ، فلا يمتنع ان يأمر الله تعالى المكلف بالفعل في زمان لعلمه بمصلحته فيه ، وينهاه عنه في زمن آخر لعلمه بمصلحته فيه ، كما يفعل الطبيب بالمريض حيث يأمره باستعمال دواء خاص في بعض الازمنة ، وينهاه عنه في زمن

---

(١) هكذا جمع بينهما ابن الصلاح ص ٢٥٧ ولم يعجب هذا الراي ابن حجر فاقترح توفيقا آخر انظره في « شرح النخبة » ص ٥١ .

(٢) طبعه في المرة الاولى العلامة السلفي الشيخ اسماعيل الخطيب الاسعردي ولم يتح لي الاطلاع عليها عند كتابة هذا الفصل ، وعلق عليه تعليقات يقول عنها الاستاذ محمد زهري النجار انها نفيسة في جمادى الآخره ١٣٢٦ ثم نشره الاستاذ محمد زهري النجار في ١٣٨٦ نشرة مملوءة بالاغلاط والتحريف . سامحه الله .

آخر بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه) [1] .
وفي القرآن الناسخ والمنسوخ حتى كان ذلك علما من علوم القرآن [2] وكذلك الشأن في الحديث فيه الناسخ والمنسوخ وكان من ذلك هذا العلم الذي نعرف به بايجاز في هذا الفصل .

علم الناسخ والمنسوخ من الحديث علم يبحث في الاحاديث المتعارضة في الاحكام التي تقررها ليعرف : أيها الناسخ وأيها المنسوخ ؟

ومن المستحسن ان نعرف النسخ أولا . فالنسخ ـ كما قال ابن حجر ـ : هو رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه . والناسخ مادل على الرفع المذكور . وتسميته ناسخا مجاز . لان الناسخ في الحقيقة هو الله تعالى [3] .

ومعرفة الناسخ والمنسوخ تكون بواحد مما يلي :

• فمنها ما يعرف بتصريح النبي صلى الله عليه وسلم كحديث بريدة الذي أخرجه مسلم . قال صلى الله عليه وسلم « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » [4] .

• ومنها ما يعرف انه ناسخ من جزم الصحابي بأنه متأخر كقول جابر : (كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار) [5] .

---

(1) « الاحكام » ٣/١١٦ .
(2) انظر « الاتقان » للسيوطي ٢/٢٠ .
(3) « شرح النخبة » لابن حجر ص ١٦ .
(4) « صحيح مسلم » ٣/٦٥ و « سنن ابي داود » ٣/٢٩٦ وابن ماجه ١/٥٠١ عن ابن مسعود واخرجه النسائي والترمذي .
(5) « سنن أبي داود » ١/٨٨ و « سنن النسائي » ١/٤٠ .

• ومنها ما عرف الناسخ والمنسوخ بالتاريخ ، فبمعرفة تاريخ كل من الحديثين يحكم على المتأخر بأنه ناسخ للمتقدم كحديث شداد بن أوس وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفطر الحاجم والمحجوم » [1] وحديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم [2] فقد بين الشافعي [3] أن الثاني ناسخ للاول من حيث انه روي في حديث شداد انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم في شهر رمضان فقال : « أفطر الحاجم والمحجوم » وروي في حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم صائم فبان بذلك ان الاول كان في زمن الفتح في سنة ثمان والثاني في حجة الوداع في سنة عشر [3] .

• ومنها ما يعرف بالاجماع كحديث قتل شارب الخمر في المرة الرابعة [4] فانه منسوخ ، عرف نسخه بانعقاد الاجماع على ترك العمل به ، والاجماع لا ينسخ ولكن يدل على وجود ناسخ غيره .

ـ ومن أول المشتغلين بهذا العلم الامام الشافعي ، قال الامام أحمد : (ما علمنا المجمل من المفسر ولا ناسخ حديث رسول الله

---

(١) « سنن ابي داود » ٢/٤١٤ و « سنن ابن ماجه » ١/٥٣٧ والترمذي .

(٢) « صحيح البخاري » ٧/١٠٨ و « سنن ابي داود » ٢/٤١٥ وابن ماجه ١/٥٣٧ والترمذي .

(٣) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٢٥١ وانظر « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الاثار » ص ١٠ .

(٤) « ابو داود » ٤/٢٢٨ وابن ماجه ٢/٨٥٩ والترمذي .

من منسوخه حتى جالسنا الشافعي)[1] .

وقد ألف في هذا العلم أحمد بن محمد الاثرم المتوفى سنة ٢٦١ هـ وأحمد بن سحاق الدينوري المتوفى سنة ٣١٨ هـ ومحمد ابن بحر الاصبهاني المتوفى سنة ٣٢٢ هـ وابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ومحمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني المتوفى سنة ٥٨٤ هـ وكتابه هو « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار »وهو كتاب نافع جامع وقد طبع اكثر من مرة في الهند وبلاد الشام[2]

٥ ـ علم علل الحديث :

وهو علم يبحث عن الاسباب الخفية الغامضة التي يمكن ان تقدح في صحة الحديث كأن يكون الحديث منقطعاً فيروى على أنه موصول . أو ان يدخل حديث في حديث . او ان يكون في الحديث تدليس او علة اخرى .

ومعرفة علل الحديث من أدق علوم الحديث ، ولا يقف عليها الا الموهوبون ممن أفنوا أعمارهم في خدمة السنة والاشتغال في علومها . قال السيوطي :

(قال ابن مهدي : في معرفة علم الحديث الحديث الهام . لو قلت للعالم بعلل الحديث : من أين قلت هذا ؟ لم يكن له حجة ، وكم من شخص لايهتدي لذلك . وقيل له أيضا : انك تقول للشيء : هذا

---

(١) « الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الاثار » ص ٥ .

(٢) طبعه في حلب الشيخ راغب الطباخ ، وطبع في حمص ١٣٨٦ في مطبعة الاندلس وهذه الطبعة هي التي كانت بين يدي عند كتابة هذا الفصل واليها الاحالات .

صحيح ، وهذا لم يثبت ، فعمّن تقول ذلك ؟ فقال : أرأيت لو اتيت الناقد فأريته دراهمك ، فقال هذا جيد وهذا بهرج أكنت تسأل عمّن ذلك أو تسلم له الامر ؟ قال : فهذا كذلك ، بطول المجالسة والمناظرة والخبرة) [1]

والطريق الى معرفته جمع طرق الحديث والنظر في اختلاف رواته وفي ضبطهم وإتقانهم ، ولذلك فان معرفة هذه العلل لا تتأتى الا لذوي الاختصاص والخبرة وممن ألف في هذا العلم ابن المديني المتوفى سنة ٢٣٤ وقد طبع كتابه في دمشق [2]سنة ١٣٩٣ وابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧ وكتابه مطبوع في مصر سنة ١٣٤٣ والامام مسلم والحاكم والدارقطني وغيرهم .

٦ ـ علم غريب الحديث :

غريب الحديث هو الالفاظ التي تحتاج الى شرح وتفسير ، وسبب الغرابة إما غموض معنى الكلمة بحيث لايفهم معناها الا بعد بحث وتنقيب ، وإما ان يكون معناها معروفا لدى قوم دون غيرهم لأنها مستعملة في لغتهم . قال أبو سليمان الخطابي :

(الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد عن الفهم . . والغريب على وجهين : أحدهما : أن يراد به انه بعيد المعنى غامضه ، لا يتناوله الفهم الا عن بعد ومعاناة فكر . والآخر : أن يراد به كلام من بعدت به الدار من شواذ قبائل العرب . .)[3]

---

(١) « تدريب الراوي » ص ١٦٢ .
(٢) حققه الدكتور محمد مصطفى الاعظمي ونشره المكتب الاسلامي بدمشق .
(٣) « كشف الظنون » ٢/١٢٠٣ .

وقد ذكرنا في الباب الثاني أن من خصائص أسلوب الرسول صلى اللـه عليه وسلم الوضوح ، وبعده عن الغريب لأنه صلوات الله وسلامه عليه كان أفصح العرب لسانا وأوضحهم بيانا وأهداهم الى طرة الصواب وأعرفهم بمواقع الخطاب .

ولكن وصف الغرابة طرأ على بعض ألفاظ الحديث لما آل اليه أمر اللغة من التأثر بالعجمة وداخلها من اللحن وفساد السليقة ،فكانت مهمة علم غريب الحديث بيان ما خفي معناه على كثير من الناس بعد ان تسرب الفساد الى اللسان بسبب تمازج الشعوب وظهور المولدين والهجناء ، كما أن هذا العلم يوضح معنى الكلمات التي كان يخاطب بها رسول اللـه وفود القبائل كما رأينا في مخاطبته وفد بني نهد .

وقد كتب ابن الاثير رحمه اللـه في مقدمة كتاب « النهاية » تاريخ التأليف في علم غريب الحديث فذكر أن من أول من جمع في هذا الفن شيئا أبا عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ ﻫ فجمع من الفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا . ثم جاء أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ ﻫ فألف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار وقد أفنى فيه عمره اذ جمعه في أربعين سنة . ولقد ظن ـ رحمه اللـه ـ أنه قد أتى على معظم الغريب ، ولكن قد فاته الكثير . وقد بقي كتابه مرجع الناس حتى جاء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ ﻫ فصنف في ذلك كتابا فجاء مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر منه . وقد قال في مقدمته : (أرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحد فيه مقال) واستمر علماء اللغة والحديث على التأليف في هذا الموضوع من أمثال ابراهيم الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ والمبرد

المتوفى سنة ٢٨٥ وثعلب المتوفى سنة ٢٩١ ثم جاء الخطابي البستي المتوفى سنة ٣٧٨ فألف في الغريب كتابا جامعا ؛ ولكن هذه الكتب كلها يعوزها الترتيب ؛ فيحتاج الناظر فيها الى بحث وتنقيب حتى يجد بغيته • ثم جاء ابو عبيد أحمد بن الهروي المتوفى سنة ٤٠١ هـ فألف كتابا في ذلك جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ، ورتبه ترتيبا لم يسبق اليه فاستخرج الكلمات الغريبة ورتبها على حروف المعجم ولم يملأكتابه بالاسانيد والمتون والرواة ، وقد جمع في كتابه مافي كتب من تقدمه وزاد عليهم • ثم جاء الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ وألف كتابه « الفائق » ثم جاء ابن الاثير المتوفى سنة ٦٠٦ فألف كتاب « النهاية » الذي يعد أجمع ماألف في هذا العلم وأحسنه وأشمله •

وقد استفدت من مقدمته في كتابة ماكتبت من تاريخ هذا العلم •

الفصل السادس

طرق تحمل الحديث

طرق تحمل الحديث هي الطرائق التي بواسطتها يتحمل الراوي الحديث وهي تتفاوت عند المحدثين على درجات •

وسنورد ثماني طرق لتحمل الحديث وهي (السماع • والقراءة ، والإجازة ، والمناولة ، والمكاتبة ، والاعلام ، والوصية ، والوجادة) [1] ولا بد لراوي الحديث في أخذه الحديث من اتباعه واحدا من هـذه الطرق ، وسندرسها بايجاز في هذا الفصل :

١ ـ السماع :

وهو أعلى صور تحمل الحديث درجة ، وأقدمها ، وبعضهم يسمي

---

(١) وهي عند التحقيق تعود الى خمس طرائق ، وانما عددناها ثمانيـة متابعة لاكثر كتب المصطلـح وهـذه الطـرائق الخمس هـي : السماع ، والقراءة ، والاجازة ، والاعلام ، والوجادة ، امـا المناولـة والمكاتبة والوصية فهي ضروب من الاجازة وليست طرائق مسـتقلة ، وهذا راي الخطيب الذي يعد هذه الضروب فروعا للاجازة ، وهو الحق ، واللـه أعلـم .

هذه الطريقة (قراءة الشيخ) كما فعل ابن الاثير [1]

والسماع : هو ان يسمع المتحمل من لفظ شيخه ، سواء أحدّثه الشيخ من كتاب يقرؤه أم من محفوظاته ، وسواء أ أملى عليه أم لم يمل .

وقد بحث العلماء في السن التي يصلح فيها الصبي للرواية ، واختلفوا في تحديدها . فقد نقل القاضي عياض في كتابه « الإلماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع » [2] أن أهل الحديث حددوا أول زمن يصح فيه السماع للصغير بخمس سنين مستدلين بحديث محمود بن الربيع الآتي ذكره قريبا .

وقال ابن الصلاح : (التحديد بخمس هو الذي استقر عليه عمل أهل الحديث المتأخرين ، فيكتبون لابن خمس فصاعدا «سمع» ولمن لم يبلغ خمسا « حضر » أو « أحضر ») [3] .

أما حديث محمود بن الربيع الذي احتجوا به في تحديد الخمس فهو كما رواه البخاري عن محمود بن الربيع قال :عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي وانا ابن خمس سنين من دلو [4] .

---

(١) « جامع الاصول » ٣٨/١ .
(٢) « الالماع » تحقيق السيد احمد صقر صفحة ٦٢ .
(٣) « علوم الحديث » ص ١١٧ .
(٤) متفق عليه رواه البخاري في كتاب العلم في باب متى يصح سماع الصغير ٢٢/١ ، وفي كتاب الوضوء في باب استعمال فضل وضوء الناس ٤١/١ وفي كتاب الدعوات باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤوسهم ٦٤/٨ . ورواه مسلم و « الكفاية » ١١١ .

قال ابن الصلاح : (والذي ينبغي في ذلك ان يعتبر في كل صغير حاله على الخصوص . فان وجدناه مرتفعا عن حال من لا يعقل فهم الخطاب وردا للجواب ونحو ذلك صححنا سماعه وان كان دون خمس وان لم يكن كذلك لم يصح سماعه وان كان ابن خمس بل ابن خمسين)[1]

وكذلك ذهب النووي فقال : (والصواب اعتبار التمييز ، فان فهم الخطاب ورد الجواب كان مميزا صحيح السماع والا فلا . وروي نحو هذا عن موسى بن هارون وأحمد بن حنبل)[2] وهذا هو الصواب ولا حجة فيما احتجوا به من رواية محمود بن الربيع لان الناس يختلفون في قوة الذاكرة . ولذلك فان علماء النفس يقررون ان هناك عمرا عقليا قد يتقدم على العمر الفعلي وقد يتأخر عنه ، ولعل غير محمود بن الربيع لا يذكر ما حصل له وهو ابن عشر سنين . قال القاضي عياض : (ورب بليد الطبع غبي الفطرة لا يضبط شيئا فوق هذا السن ، ونبيل الجبلة ذكي القريحة يعقل دون هذا السن)[3] .

وقد فصل القول في صحة سماع الصغير الخطيب البغدادي في « الكفاية »[4] فذكر اقوال العلماء في ذلك ، ثم ذكر اخبار ناس من الصحابة سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم وهم صغار ، ورويت

---

(١) « علوم الحديث » ص ١١٧ .

(٢) « تدريب الراوي » ٢٣٨ .

(٣) « الالماع » ٦٤ .

(٤) انظر « الكفاية » ١٠٣ ــ ١١٨ طبع مصر .

احاديثهم كالحسن بن علي وعبد اللـه بن الزبير الذي كـان عمره عند وفاة النبي صلى اللـه عليه وسلم تسع سنين ، والنعمان بن بشير المولود سنة اثنتين من الهجرة ، وابي الطفيل الذي يقول : ولدت عام احد وادركت من حياة رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ثمان سنين وعمر بن أبي سلمة الذي كان عمره عند وفاة النبي صلى اللـه عليه وسلم تسع سنين .

هذا بالنسبة الى السماع ، اما الاداء بالرواية فلا يكون صحيحا يلزم العمل به الا بعد البلوغ ، ويجب ان يكون الراوي في وقت أدائه عاقلا . وقد استدل الخطيب على وجوب كون الراوي بالغا عاقلا بقوله صلى اللـه عليه وسلم :

« رفع القلم عن ثلاثة : عن النـائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » [1] .

وكذلك فقد بحث العلماء : هل يجوز للراوي حال السماع أن ينسخ ، فذهب قوم الى ان سماعه في هذه الحالة لا يصـح ، وذهب آخرون الى انه جائز وهو الصواب [2] .

وللسماع ألفاظ يستعملها راوي الحديث تدل عليه ، وهـذه الالفاظ هـي :

---

(١) « الكفايـة » ١٣٥ .

(٢) « الكفـاية » ١٢٠ .

(حدثنا) و (أخبرنا) و (أنبأنا) و (سمعت قال فلان) و (ذكر لنا فلان) .

وبعض علماء الحديث يسوي بين هذه الالفاظ كالقاضي عياض [1] . وكذلك البخاري فقد عقد فصلا في « صحيحه » عنوانه : « باب قول المحدث حدثنا أو اخبرنا أو انبأنا » [2] وقال فيه : [وقال لنا الحميدي : كان عند ابن عيينة (حدثنا) و (أخبرنا) و (أنبانا) و (سمعت) واحدا] .

وقال ابن حجر : [وايراده قول ابن عيينة دون غيره دال على أنه مختاره] [3] وقال يحيى بن سعيد : (اخبرنا) و (حدثنا) واحد [4] .

• وبعض نقاد الحديث يفرقون بينها على الشكل الآتي : قال الحاكم : [والذي اختاره في الرواية وعهدت عليه اكثر مشايخي وأئمة عصري ان يقول في الذي يأخذه من المحدث لفظا وليس معه احد : (حدثني فلان) .

وما يأخذه عن المحدث لفظا مع غيره : (حدثنا فلان) .

---

(1) « الالماع » ص ١٢٢ وما بعدها .
(2) « صحيح البخاري » ١/١٨ .
(3) « فتح الباري » ١/١٤٤ .
(4) « جامع الاصول » ١/٣٩ .

وما قرأ على المحدث بنفسه : (أخبرني فلان) .

وما قرىء على المحدث وهو حاضر : (أخبرنا فلان) .

وما عرض على المحدث شفاها فأجاز له روايته شفاها يقول فيه (انبأني فـلان) .

وما كتب اليه المحدث من مدينة ولم يشافهه بالاجازة يقول : (كتب الي فلان)] [1] .

[وأما (أنبأنا) فان اصحاب الحديث يطلقونها على الاجـازة والمناولة دون القراءة والسماع اصطلاحـا] [2] .

والاكثرون على تقديم لفظ (سمعت) على الالفاظ الاخرى ، اذ لا يكاد احد يقولها في أحاديث الاجازة والمكاتبة ولا في تدليس مالم يسمعه .

ويأتي بعد لفظ (سمعت) لفظ (حدثني) ثم (حدثنا) ثم يتلوها لفظ (اخبرني) و (أخبرنا) قال ابن كثير : [قال ابن الصـلاح : وينبغي ان يكون (حدثنا) و (اخبرنا) أعلى من (سمعت) لانـه قد لا يقصده بالاسماع بخـلاف ذلك واللـه أعلم] ويعلـق ابـن كثير على هذا القول فيقول : [بل الذي ينبغي ان يكون اعلى العبارات على هذا أن يقول : (حدثني) فإنه إذا قال : (حدثنا) أو (اخبرنا) قد

---

(١) « معرفة علوم الحديث » ٢٦٠. وانظر ايضا « جامع الاصول » ٣٩/١ .

(٢) « جامع الاصول » ٣٩/١ .

لا يكون قصده الشيخ بذلك ايضا ، لاحتمال ان يكون في جمع كثير والله أعلم] [1] .

٢ ـ **القراءة :**

وهي ان يقرأ التلميذ على الشيخ وهو ساكت ، فهو كقوله : هذا صحيح ، لانه لو لم يكن صحيحا ، لكان سكوته عليه وهو يقرأ عليه وتقريره له فسقا قادحا في عدالته .

وان كانت هناك مظنة اكراه او غفلة فلا يكفي السكوت [2] . وتسمى عرضا لدى كثير من المحدثين .

والقراءة معتبرة عند الجمهور ،غير ان نفرا من العراقيين لم يعتدوا بها . (روى الخطيب عن ابراهيم بن سعد انه قال : لاتدعون تنطعكم يا أهل العراق ، العرض مثل السماع) [3] . ومستند العلماء حديث ضمام بن ثعلبة وهو :

(بينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاء رجل من أهل البادية ، ثائر الرأس ، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول ، فأناخ جمله في المسجد ، ثم قال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فدلوه عليه ، فدنا وقال : اني سائلك فمشدد عليك المسألة ، فلا تجد علي في نفسك ، فقال : « سل ما بدا لك » فقال : انشدك بالله آلله أرسلك الى الناس كلهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « اللهم نعم » .

---

(١) « الباعث الحثيث » ١١٠ . وانظر ما نقله البيهقي عن الشافعي في ذلك « مناقب الشافعي » ٣٤/٢ ـ ٣٥ .

(٢) « جامع الاصول » ٣٩/١ .

(٣) « الكفاية » ٣٨٨ وانظر ايضا « الباعث الحثيث » ١١١ .

قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلي خمس صلوات في اليوم والليلة ؟ قال : « اللهم نعم » . فقال : أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ قال : « اللهم نعم » .

قال : أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا ؟ قال : « اللهم نعم » . قال : « أنشدك بالله آلله أمرك ان نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا ؟ قال : « اللهم نعم » قال : فاني قد آمنت وصدقت ، وأنا ضمام بن ثعلبة . ولما ولى قال عليه الصلاة والسلام : « فقه الرجل » ثم ذهب ضمام الى قومه ودعاهم الى الاسلام وترك عبادة الاوثان فأسلموا كلهم [1] .

وقد عقد البخاري لذلك بابا في « صحيحه » في كتاب العلم قال : [باب ما جاء في العلم وقوله تعالى : (وقل رب زدني علما) باب القراءة والعرض على المحدث . ورأى الحسن والثوري ومالك القراءة

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري ١٩/١ ومسلم ٣٢/١ وابو داود ١٩١/١ ومالك في « الموطأ » ١٧٥/١ والشافعي في « الرسالة » فقرة ٣٤٤ ص ١١٦ وابن ماجه ٤٤٨/١ واحمد في « المسند » طبع شاكر ١١٨/٤ والنسائي ، والطبري في « التاريخ » ١٢٤/٣ - ١٢٥ وابن هشام في « السيرة » ٢٠٩/٤ والسهيلي في « الروض الانف » ٢٢٥/٤ والخطيب في « الكفاية » ٣٨١ وابن كثير في « البداية والنهاية » ٦٠/٥ - ٦٢ وقال : (وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما باسانيد والفاظ كثيرة عن انس بن مالك) .

جائزة ؛ واحتج بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة] ثم اورد عن مالك وسفيان « القراءة على العالم وقراءته سواء ثم اورد الحديث المتقدم » [١] .

وقال ابن حجر : (وقد انقرض الخلاف في كـون القراءة على الشيخ لا تجزىء . وانمـا كان يقوله بعض المتشددين مـن أهـل العراق) [٢] .

وهي جائزة سواء في ذلك أكان الراوي يقرأ من حفظه أم من كتاب . ام سمع غيره يقرأ عليه ؛ او يقابل على اصلـه الصحيح ؛ او يكون الاصل بيد القارىء او بيد احد المستمعين الثقات [٣] .

والرأي المختار ان القراءة دون السماع فهي تليها في الدرجـة الثـانية .

وهناك من يذهب الى مساواتها بالسماع . ويبالغ الامام مالك رضي اللـه عنه فيقدمها على السماع . فقد سئل : العرض أحب اليك ام السماع ؟ قال : بل العرض . قيل : فتقول في العرض حدثنا ؟ قال : نعم [٤] وقد علل ذلك فذكر ان الراوي ربما سها او غلط فيما يقرؤه بنفسه فلا يرده عليه الطالب السامع لخلال ثلاث : امـا لان الطالب جاهل لايهتدي للرد عليه. وأما لهيبة الراوي وجلالته، واما لكون غلطه

---

(١) « صحيح البخاري » ١/١٨ — ١٩ .
(٢) « فتح الباري » ١/١٣٧ طبع بولاق .
(٣) « الباعث الحثيث » ١٣٣ .
(٤) « الالماع » ٧٣ .

في موضع صادف اختلافا فيجعل خلافا ، توهما انه مذهبه ، فيحمل الخطأ صوابا .

قال : واذا قرأ الطالب على الراوي ، فسها الطالب او أخطأ رد عليه الراوي لعلمه مع فراغ ذهنه او يرد عليه غيره ممن يحضره لانه لا هيبة للطالب [1] .

قال الخطيب :

(والذي نذهب اليه انه متى نصب نفسه للقراءة عليه وانصت اليها مختارا لذلك غير مكره . وكان متيقظا غير غافل جازت الرواية عنه لما قرىء عليه ، ويكون انصاته واستماعه قائما مقام اقراره . فلو قال له القارىء عند الفراغ : كما قرأت عليك ؟ فأقر به ، كان احب الينـا] [2] .

واللفظ الدال على هذه الطريق في التحمل هو ان يقول الراوي ان قرأ بنفسه : (قرأت على الشيخ ، وهو يسمع) .

وان يقول الراوي ان قرأ سواه : (قرىء على الشيخ وهو يسمع وانا كذلك أسمع) .

وجوز كثير أن يقول الراوي : (حدثنا الشيخ قراءة عليه) او (أخبرنا قراءة عليه) او (سمعت من الشيخ قراءة عليه) .

وقال قوم : لا يجوز ان يقول فيه (حدثنا) ويجوز ان يقول فيه: (أخبرنـا) .

---

(١) « الالماع » ٧٤ و « الكفاية » ٤٠٢ ط مصر .
(٢) « الكفاية » ٤٠٨ .

وذكر ابن أبي حاتم ان الشافعي قال : (اذا قرأ عليك المحدث فقل : حدثنا ، واذا قرأت على المحدث فقل : أخبرنا) [1] .

والصحيح انه لا يجوز اطلاق (حدثنا) او (اخبرنا) الا اذا علم بتصريح او قرينة حال انه يريد القراءة على الشيخ دون سماع نطقه [2] .

قال الحاكم : والقراءة على الشيخ إخبار . واليه ذهب الفقهاء والعلماء كأبي حنيفة ومالك والشافعي والثوري والاوزاعي واحمد وغيرهم .

وينقل ابن الاثير عن عبد الله بن وهب قوله : (.. وما قلت (آخبرنا) فهو ما قرىء على العالم واناشاهد . وما قلت (اخبرني) فهو ما قرأت على العالم) [3] .

---

(١) « آداب الشافعي ومناقبه » لابن ابي حاتم ص ٩٩ .
(٢) « جامع الاصول » ١/٣٩ .
(٣) وانظر في التعبير عن السماع والقراءة المصادر الآتية :
« الالماع » ١٢٢ وما بعدها .
« الكفاية » ٢٩٠ ومن ٤٢٧ ــ ٤٢٩ .
« جامع بيان العلم » ٢/١٧٥ ــ ١٨٠ .
« معرفة علوم الحديث » ٢٥٦ .
« جامع الاصول » ١/٣٩ .
« توجيه النظر » ٢٠١ و ٣٤٧ .
« تدريب الراوي » .

٣ ــ الاجــازة :

الاجازة في كلام العرب مأخوذة من جواز الماء الذي يستعمل لسقاية الماشية والارض ، يقال : استجزت فلانا فأجازني ، اذا سقاك ماء لارضك وماشيتك ، كذلك طالب العلم يسأل العالم ان يجيزه علمه فيجيزه اياه . والطالب مستجيز . والعالم مجيز [١] .

وهــي ــ في الاصطــلاح ــ : إذن الشــيخ لتلميذه بروايــة مسموعاته . او مؤلفاته ، ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه . وذلك بقوله : أجزت لك ان تروي عني الكتاب الفلاني ، او ما صح عندك من مسموعاتــي .

والظاهرية يردونها وابن حزم لا يرضى بهــا [٢] وعــدد من العلماء [٣] ونقل ابن الصلاح ان ردها احدى الروايتين عن الشافعي [٤] وفي ذلك نظر . فقد قرر الخطيب ان الشافعي كان يكره الاتكــال على الاجازة واستبدالها بالسماع ، وقال : (لانه قــد حفظ عنــه

فتح المغيث » ٢/١٨ .

شرح النخبة » لملا علي القاري ٢١١ .

علوم الحديث » لابن الصلاح ١١٨ ــ ١٥٧ .

الجواهر المضية » ١/٣١ ــ ٣٢ .

(١) « الكفاية » ٤٤٧ ط مصر .

(٢) « الاحكام » ٢/ ١٤٧ .

(٣) ذكرهم ابن الصلاح في « علوم الحديث » ١٣٤ ــ ١٣٥ .

(٤) « علوم الحديث » ١٣٤ .

الاجازة لبعض اصحابه مالم يسمعه من كتبه)[1] ثم اورد الخطيب خبرا عن الشافعي يقول فيه للكرابيسي : خذ كتب الزعفراني فانسخها فقد اجزتها لك . قال الكرابيسي :

فأخذتها اجازة[2] .

وكذا روي عن شعبة بن الحجاج أنه كان يرد الاجازة .

ومن أبطلها ابراهيم الحربي والماوردي وابو الشيخ محمد بن عبد الله الاصبهاني .

ومما يذكر في تعليل منعها قول بعضهم : لوجازت الرواية بالاجازة لبطلت الرحلة[3] .

أما الجمهور فيرى صحة الرواية بالاجازة قال ابن الصلاح :

(ان الذي استقر عليه العمل . وقال به جماهير أهل العلم من أهل الحديث وغيرهم القول بتجويز الاجازة واباحة الرواية بها)[4] .

ومن الصور المقبولة لدى الجمهور دون تردد اجازة كتاب معين أو كتب معينة لشخص معين او اشخاص معينين ، كقول الشيخ : (أجزت لك – اولكم – رواية « صحيح مسلم » وما اشتملت عليه مدوناتي) .

---

(١) « الكفاية » ٤٥٥ .

(٢) « الكفاية » ٤٦٤ وانظر في راي الشافعي في الاجازة « الالماع » ٩٣ و « مناقب الشافعي » للبيهقي ٢/٣٥ و « آداب الشافعي » لابن ابي حاتم ٩٨ .

(٣) « الباعث الحثيث » ١١٩ .

(٤) « علوم الحديث » ١٣٥ .

وذكر الخطيب رحمه الله انه يقال: ان الاصل فيصحة الاجازة حديث النبي صلى الله عليه وسلم المذكور في المغازي حيث كتبلعبد الله بن جحش كتابا وختمه ودفعه اليه ووجهه في طائفة من أصحابه وقال له : « لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين ثم انظر فيه » [1] .

ويبدو ان الذين اجازوها انما ارادوا ان تكون بعد طول ملازمة من التلميذ لشيخه ، حتى اذا تكونت القناعة عند الشيخ بمقدرة الطالب أجازه ، يدل على ذلك مارواه الخطيب عن مالك انه (سئل عن الرجل يقول له العالم : هذا كتابي فاحمله عني وحدث بما فيه ؟ قال : لا أرى هذا يجوز ولا يعجبني ناس يفعلون ذلك) [2] ثم تابع انتقاد هذا الانسان المستعجلفي طلب العلم فقال : (وانما يريد هذا الحمل يريد بذلك الحمل الكثير بالاقامة اليسيرة وما يعجبني ذلك) [3] .

وكان يمتنع عن اعطاء الاجازة لمن لم يلازمه ملازمة طويلة ويضرب له مثلا يدل على ان مثل هذا لا يكون [4] .

وكان ـ رحمه الله ـ يشترط في الاجازة ان يكونفرع الطالبمعارضا

---

(1) « الكفاية » ٤٤٧ و « البداية والنهاية » ٢٤٨/٣ وقال ابن حجر في « الفتح » ١٥٥/١عن هذا الحديث : (وهو صحيح) ثم ذكر بعض طرقه وقال : (فبمجموع هذه الطرق يكون صحيحا) .

(2) « الكفاية » ٤٥٤ .

(3) « الكفاية » ٤٥٥ و « جامع بيان العلم » ١٧٩/٢ ـ ١٨٠ .

(4) « الكفاية » ٤٥٥ .

بأصل الراوي حتى كأنه هو ، وأن يكون المجيز عالما بما يجيز به ، معروفا بذلك ، ثقة في دينه وروايته ، وأن يكون المستجيز من أهل العلم ، وعليه سمته ، حتى لا يضع العلم الا عند أهله [1] .

وذهب هذا المذهب قوم فقالوا : لاتحل الرواية بالاجازة حتى يعلم المجاز له ما في الكتاب .

قال أبو عمر بن عبد البر : (تلخيص هذا الباب أن الاجازة لا تجوز الا لماهر بالصناعة ، حاذق بها ، يعرف كيف يتناولها ، ويكون في شيء معروف لا يشكل اسناده . فهذا هو الصحيح من القول في ذلك . والله أعلم) [2]

وللاجازة أنواع ودرجات :

١ ـ فأعلى درجات الاجازة عندهم المشافهة بها .

٢ ـ وتتلوها الرسالة : لأن الرسول يضبط وينطق .

٣ ـ وبعدهما الكتابة ، لأن الكتابة لا تنطق وان كانت تضبط .

والاصل في الاجازة أن ينطق الشيخ بلفظها الصريح شفاها أمام تلميذه ، والكتابة مساوية للنطق .

وكثيراً ماتكتب الاجازة على كتاب بخط الشيخ كأن يقول : أجزت فلانا رواية هذا الكتاب عني .

❋ ★ ❋

(١) « الكفاية » ٤٥٥ .

(٢) « جامع بيان العلم » ٢/١٨٠ .

انواع مـن الاجازة غير جـائزة :

سنورد فيمـا يلي أنواعـا من الاجازة ردها المحققون مـن رجـال الحديث :

١ ـ الاجازة بشيء مبهم غير معين كأن يقول الشيخ لرجـل : أجزت لـك جميع مسموعاتي ، وهذه الاجـازة لدى أهـل التحقيق ليست بشيء الا إن علم ان المجاز له يعرفها . وهناك من يقبل هـذا النوع من الاجازة .

٢ ـ الاجازة بمجهول لمجهول وهي فاسدة اتفاقا [١] .

٣ ـ الاجازة للمعدوم : مثل أن يقول المحدث : أجزت لمن يولد لفلان ، أو لكل من أعقب فلان ، أو لعقب عقبه أبدا ماتناسلوا وهذا النوع من الاجازة فاسد دون شك كما قرر المحققون[١]

٤ ـ الاجازة العامة : مثل أن يقول : أجزت أهل عصري ، أو أجزت للمسلمين أو لمن قال لا اله الا الله ، فالتحقيق أنهـا غير جائزة ، وقال بعضهم بجوازها ، وهو غير وجيـه .

٥ ـ الاجازة المعلقة بشرط : مثل أن يقول المحدث : أجزت لفلان ان شـاء ، أو مثل ان يخاطب رجـلا فيقول لـه : أجزت لمن شئت رواية حديثي .

---

(١) جاء في « الالماع » للقاضي عياض ص ٩٩ : (وذهب القاضي ابو الحسن الماوردي الى منع الاجازة في المجهول كله من المسلمين مـن وجد منهم ومن لم يوجد) .

والالفاظ الدالة على الاجازة هي :

حدثنا اجازة ـ أو أخبرنا اجازة ـ أو أنبأنا (على اصطلاح بعض المحدثين)ويقيدها بالمشافهة أو بالكتابة أو بالرسالة وقال قوم : لايقول في الكتابة والرسالة : (حدثنا) أبدا . وانما يقول : (أخبرنا) .

وقد منع الاصوليون استعمال (حدثنا) في الاجازة [1]

وكان الاوزاعي يخصص الاجازة بقوله (خبّرنا) بالتشديد [2]

وقال القاضي عياض . [وقد رأيت للقدماء والمتأخرين قولهم في الاجازة : أخبرنا فلان اذنا . وفيما اذن لي فيه ، وفيما اطلق لي الحديث به عنه . أو فيما أجازنيه] [3] .

٤ ـ المناولة : [4]

وهي أن يعطي الشيخ تلميذه كتابا . او حديثا مكتوبا ليقوم بأدائه وروايته عنه . وهي على صور :

١ ـ يناول الشيخ تلميذه الكتاب أو الحديث المكتوب ويقول له : قد ملكتك اياه وأجزتك بروايته ، فخذه عني واروه عني . وتسمى هذه الصورة مناولة مع الاجازة .

---

(١) « الالماع » ١٢٨ .
(٢) « الباعث الحثيث » ص ١٢٤ .
(٣) « الالماع » ١٣٢ .
(٤) ذكر ابن الاثير في « جامع الاصول » ج١ ص ٤٣ « انها تسمى العرض » وقد تقدم أن القراءة على الشيخ تسمى عرضا ، فلتكون هذه الطريقة عرض المناولة ، وتلك اي القراءة عرض القراءة .

٢ ــ يقول الشيخ لتلميذه : خذ هذا الكتاب فانسخه ، وراجعه ثم رده الــي .

٣ ــ يأتي التلميذ شيخه بكتاب من سماع شيخه ، فيأخــذه منه ، ويتأمله ، ثم يقول له : ارو هــذا عنــي ، ويسمى هــذا عرض المنــاولة [١] .

والمناولة عند عدد من علماء الحديث أعلى درجة من الاجــازة . ومهما يكن من أمر فان المناولة فيما يبدو صــورة من صور الاجــازة وقد عدها الخطيب ضربا من ضروبها فقال : (وهي ــ أي المناولة ــ ارفع ضروب الاجازة وأعلاها ...) [٢] وهو الصواب كما اشرنا الى ذلك آنفا . وقد قبلها العلماء فقد أورد الذهبي الخبر الآتي عن أحمد ابن حنبل :

(... حدثنا حميد بن زنجويه قال : لما رجعنا من مصر دخلنا على أحمد بن حنبل فقال : مررتم بأبي حفص عمرو بن أبي سلمة ؟

فقلنا : وما كان عنده ؟ انما كان عنده خمسون حديثا ، والباقي مناولة .

فقال : فالمناولة كنتم تأخذون منها وتنظرون فيها) [٣] .

وعقد البخاري بابا في « صحيحه » بعنوان : (باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم الى البلدان) [٤] وقال فيه : (واحتج

---

(١) « الباعث الحثيث » ص ١٢٣ .
(٢) « الكفاية » ٤٦٦ .
(٣) « ميزان الاعتدال » ٣/٢٦٢ .
(٤) « صحيح البخاري » ١/١٩ .

بعض أهل الحجاز في المناولة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث كتب لامير السرية كتابا وقال : لا تقرأه حتى تبلغ مكان كذا وكذا ، فلما بلغ ذلك المكان قرأه على الناس وأخبرهم بأمر النبي صلى اللـه عليه وسلم) [١] وأورد حديث بعث النبي صلى اللـه عليه وسلم رجـلا بكتـابه الى البحرين • وذكر ابن حجر ان البخاري قـد سوى بين المكاتبة والمناولة [٢] •

٥ ـ المكـاتبة :

وهي أن يكتب الشيخ بخطه ، او يكلف غيره بأن يكتب عنـه بعض حديثه ، لشخص حاضر بين يديه يتلقى العلم عليه ، أو لشخص غائب عنه ترسل الكتابة اليه ، وهي بالنسبة للحاضر المكتوب لـه موثوقـة •

وهي كذلك بالنسبة للغائب المكتوب له . لان أمانة الرسـول كافية في اقناع المرسل إليه بان المكتوب من خط الشيخ ، ولا بد أن يكون الرسول ثقة عدلا • ويكفي أن يعرف المكتوب له خط الشيخ أو خط الكاتب عن الشيخ ، ويشترط في هذا ان يعلم أن الكاتب ثقة •

قال ابن الصلاح : (وهذا القسم ينقسم الى نوعين : أحدهما : أن تتجرد المكاتبة عن الاجازة ، والثاني : ان تقترن بالاجازة بان يكتب اليه ويقول : اجزت لك ما كتبته لك أو ما كتبت به اليك او نحو ذلك من عبارات الاجازة) [٣] •

---

(١) وقد مضى تخريج الحديث في مبحث الاجازة .
(٢) « فتح الباري » ١٥٤/١ .
(٣) « علوم الحديث » ١٥٣ .

ومن الجدير بالذكر أن نشير الى ان المكاتبة مع الاجازة أقوى من المكاتبة وحدها ، وهذا أمر واضح وطبيعي ، بل بالغ بعضهم فقال : والمكاتبة مع الاجازة أرجح من المناولة مع الاجازة ، بل أرى أنها ارجح من السماع وأوثق !! [1] .

والدقة في التعبير عنها ان يقول :

حدثني فلان أو أخبرني كتابة بخطه ، أو بخط فلان الذي حمله الى رسوله أو رسولي فلان في مجلس سواه ، وكثيرا ما يوجد في مسانيدهم ومصنفاتهم قولهم : كتب اليّ فلان قال : حدثنا فلان .. وذكر السيوطي ان في صحيح البخاري ومسلم احاديث كثيرة بالمكاتبة في اثناء السند [2] .

٦ ـ الاعلام :

وهو اكتفاء الشيخ باخبار تلميذه بأن هذا الكتاب او هذا الحديث من مروياته ، أو من سماعه من فلان ، من غير أن يصرح باجازته له في أدائه .

الاكثرون على جواز هذه الصورة من صور التحمل ما دامت الثقة بالشيخ متوفرة .

أما اذا اعلم الشيخ تلميذه ونهاه عن الرواية ، فان كثيرا من المحدثين يمنع الرواية عندئذ ، ولكن القاضي عياض يجيزها ، قال :

---

(١) « الباعث الحثيث » ص ١٢٥ .
(٢) انظر «تدريب الراوي » ص ٢٧٨ .

(وهذا صحيح لا يقتضي النظر سواه . لأن منعه ــ أن لا يحدث بما حدثه لا لعلة ولا لريبة في الحديث ــ لا يؤثر . لانه قد حدثه فهو شيء لا يرجع فيه)[1] .

٧ ــ الوصية :

وهي صورة نادرة الوقوع من صور التحمل ، وهي نوع من الاجازة لانه اجازة من الموصي للموصى له . برواية شيء معين مع اعطائه اياه . وعبر عنها القاضي عياض وابن الصلاح بالوصية بالكتب[2] .

وصورتها : أن يصرح الشيخ عند سفره أو على فراش موته بأنه يوصي لفلان بكتاب معين كان يرويه [3] . وقد هاجمها ابن الصلاح ولم يعتد بها[4] .

٨ ــ الوجادة :

الوجادة مصدر مولد غير مسموع عن العرب[5] ، اصطلح المحدثون على وضعه ، ويطلق على أخذ العلم والحديث من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة ، وذلك اذا وجد الشخص حديثا بخط شيخ ، الف خطه وعرفه يقينا ووثق به سواء ألقيه ام لم يلقه ، فللشخص الذي تقع يده على شيء من هذا ان يرويه عن الشيخ ويقول

---

(١) انظر « الالماع » ص ١١٠ .
(٢) انظر « الالماع » ص ١١٥ و « علوم الحديث » ١٥٧ .
(٣) انظر « مقدمة ابن الصلاح » ص ١٥٧ و « الباعث الحثيث » ط ٣ ص ١٢٦ .
(٤) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٥٧ .
(٥) « علوم الحديث » ١٥٧ و « التقريب » للنووي ٢٨١ .

في التعبير عن هذه الطريقة : (وجدت بخط فلان) او (قرأت بخط فلان) أو (في كتاب فلان بخطه : اخبرنا فلان عن فـلان ...) او (بخط يغلب على ظني انه خط فلان) وقد سماها القاضي عياض : (الخط)[1] وقال : (فهذا لا اعلم من يقتدى بـه اجاز النقل فيه بـ (حدثنا) او (اخبرنا) ولا من يعده معد المسند)[2] .

أما الذين يروون الاحاديث التي تحملوها بالوجادة يروونهـا بالعنعنة او بالتحديث فهؤلاء مدلسون مسيئون فلا يجوز له ان يقول : (عن فلان) ولا ان يقول (حدثنا وأخبرنا)[3] .

وقد اتفق علماءالحديث على انها من ادنـى مراتب التحمـل ، واختلفوا في النظر اليها ، فمنهم من لم يعتد بها وانكرها . ومنهم من قبلها اذا تيقن الراوي من خط كاتبها . ولخص ذلـك ابن الصـلاح فقال : (فقد روينا عن بعض المالكية ان معظم المحدثين والفقهاء مـن المالكيين وغيرهم لا يرون العمل بذلك ، وحكي عن الشافعي وطائفة من نظار أصحابه جواز العمل به . قلت : قطع بعض المحققين مـن أصحابه في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة ... وما قطع بـه هو الذي لا يتجه غيره في الاعصار المتأخرة ، فانه لو توقف العمل فيها على الرواية لانسـد باب العمل بالمنقول لتعذر شرط الرواية فيها .. واللـه اعلم)[4] .

---

(١) « الالماع » ١١٦ .

(٢) « الالماع » ١١٧ .

(٣) « علوم الحديث » ١٥٨ و « الالماع » ١١٧ .

(٤) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٦٠ .

وهكذا يبدو ابن الصلاح متحمسا للعمل بها ، كما يبدو من هذا التلخيص ان هناك من العلماء من لا يرى العمل بها بل ان بعضهم لا يراها من طرق التحمل أصلا .

وطعن بعضهم في بعض الرواة بان روايتهم كانت وجادة ، فمن ذلك ما أورده الذهبي في ترجمة عمرو بن شعيب من ان بعض المحدثين توقفوا في قبول حديثه، وحجتهم انه روى أحاديثه بطريقة الوجادة قال الذهبي : (وبعضهم تعلل بانها صحيفة رواها وجادة ، ولهذا تجنبها اصحاب الصحيح ، و التصنيف يدخل على الرواية من الصحف بخلاف المشافهة بالسماع)[1] .

وذكر الامام مسلم ايضا ان الآفة التي يخشاها على من يروي الحديث بالوجادة هي التصحيف ، فقد ذكر رحمه الله في كتابه « التمييز » أن من اوهام ابن لهيعة وتصحيفاته أنه روى حديثا كتبه اليه موسى بن عقبة ان رسول الله احتجم في المسجد ، والصواب (احتجر) ثم قال :

(وابن لهيعة انما وقع في الخطأ من هذه الرواية انه اخذ الحديث من كتاب موسى بن عقبة اليه فيما ذكر ، وهي الآفة التي نخشى على من أخذ الحديث من الكتب من غير سماع من المحدث او عرض عليه. فإذا كان احد هذين : السماع او العرض ، فخليق ان لا يأتي صاحبه التصحيف القبيح وما أشبه ذلك من الخطأ الفاحش ان شاء الله)[2].

---

(١) « ميزان الاعتدال » للذهبي ٢٦٦/٣ وانظر « الكفاية » ٥٠٧ ط مصر .

(٢) « التمييز » للامام مسلم ١٤٠ .

وهناك تنبيه لا نجد بدا من ذكره ، وهو ان الوجادة التي تكلمنا عنها آنفا تختلف عن رواية أهل العلم عن الكتب الامهات كالكتب الستة ومسند أحمد وموطأ مالك . وأشباه ذلك ، فان هذه الكتب (تواترت روايتها الى مؤلفيها بالوجادة ومختلف الاصول العتيقة الخطية الموثوق بها)[1] وثبتت نسبة هذا الكتب الى اصحابها ثبوتا يقينيا وهذا النوع ان سميناه وجادة فلا شك في انه من أوثق صور التحمل ، ولا نعلم خلافا في قبول الرواية عن هذه الكتب اذا كان الراوي من العارفين أهل العلم [2] .

هذا وفي « مسند أحمد » احاديث كثيرة نقلها عنه ابنه عبد الله يقول فيها :

(وجدت بخط أبي في كتابه) ثم يسوق الحديث ، ولم يستجز رحمه اللـه ان يرويها عن أبيه [3] .

وذكر السيوطي في « التدريب » انه وقع في « صحيح مسلم » أحاديث مروية بالوجادة ، وانتقدت ، وذكر احاديث ثلاثة ثم قال : (واجاب الرشيد العطار بأنه روى الاحاديث الثلاثة من طرق اخرى موصولة الى هشام والى ابي أسامة قلت : وجواب آخر هو ان الوجادة المنقطعة ان يجد في كتاب شيخه ، لا في كتابه عن شيخه فتأمل)[4] وقال الاستاذ احمد شاكر : (وهذا هو الصحيح المتعين

---

(١) « الباعث الحثيث » ٣١ ط ٣ .

(٢) انظر مقدمتنا لكتاب « الباعث على الخلاص » للحافظ العراقي ص ١١٧ .

(٣) « الباعث الحثيث » ١٢٩ .

(٤) «تدريب الراوي » ٢٨٣ .

هنا ، لان الراوي اذا وجد في كتاب نفسه حديثا عن شيخه كان على ثقة من أنه أخذه عنه ، وقد تخونه ذاكرته فينسى انه سمعه ، فيحتاط — تورعا — ويذكر انه وجده في كتابه) [1].

واستدل بعض من أجازها بان ابن عمر رضي الله عنهما وجد في قائم سيف أبيه عمر بن الخطاب صحيفة فيها : « ليس فيما دون خمس من الابل صدقة ، فاذا كانت خمسا ففيها شاة » [2] .

واحتج ابن كثير للعمل بالوجادة بحديث : « أي الخلق أعجب ايمانا ؟ قالوا : الملائكة . قال : وكيف لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ . قالوا : الانبياء . قال : وكيف لا يؤمنون وهم يأتيهم الوحي ؟ . قالوا : نحن . قال وكيف لا تؤمنون وانا بين أظهركم ؟ قالوا : فمن يارسول الله؟ قال : قوم يأتون من بعدكم يجدون صحفا يؤمنون بها » . قال ابن كثير : (فيؤخذ منه مدح من عمل بالكتب المتقدمة بمجرد الوجادة لها) [3] .

وقد ارتضى السيوطي هذا الاستنباط في « تدريب الراوي » وقال عن هذا الحديث : (وله طرق كثيرة اوردتها في « الامالي ») [4].



(1) « الباعث الحثيث » ١٣١ .
(2) « الكفاية » ٥٠٥ .
(3) « الباعث الحثيث » ١٢٨ — ١٢٩ وانظر الحديث في « تفسير ابن كثير » .
(4) « تدريب الراوي » ٢٨٥ .

الفصل السابع

المصطلحات الاختزالية

مما يتصل بمصطلحات الرواة التي اشرنا الى دلالاتها في مبحث طرق التحمل المصطلحات الاختزالية لعبارات الرواة ، فلنذكر كيفية كتابتها وقراءتها كما ذكرها علماء الحديث في مبحث كتابة الحديث وضبطه .

ونحن نرى ان فن الاختزال اضحى الآن فنا قائما بذاته ، ونستطيع ان نعد المشتغلين بالحديث من الرواد فيه .

قال الاستاذ عبد السلام هارون :

(وهناك رموز واختصارات لبعض الكلمات او العبارات نجدها في المخطوطات القديمة ولا سيما في كتب الحديث ، وهذا مما سبق به اسلافنا العرب ... وقلدهم في ذلك الفرنجة) [1] .

---

(1) « تحقيق النصوص ونشرها » لعبد السلام هارون ص ٥٢ الطبعة الثانية وانظر كتاب « البحث الادبي » لشوقي ضيف ص ١٨٥ .

وهذا الموضوع واسع اذا ادخلنا فيه الاختصارات التي يذكرها العلماء وهي على نوعين :

١ـ اختصارات عامة في علم من العلوم .

٢ ـ اختصارات خاصة بكتاب ومؤلف .

وهذان النوعان موجودان في كتب تراثنا وقد ذكرت بعض كتب الاملاء [1] طائفة كبيرة منها ، وخصها بالذكر المستشرق روزنتال [2] .

لقد درج المحدثون على اختصار بعض الكلمات التي تتكرر في سند الحديث كثيرا ، وحذف بعضها ، وذلك رغبة منهم في متابعة تسجيل ما يسمعونه بسرعة ودقة وبأقل جهد .

الكلمات التي يختصرها المحدثون :

والكلمات التي يختزلها المحدثون هي :

(حدثنا) و (حدثني) و (أخبرنا) و (أخبرني) و (تحويل)

---

(١) مثل كتاب « المطالع النصرية » ص ٢٠٠ وكتاب « الاملاء » لحسين والي الشافعي طبع المنار ١٣٢٢ . ص ٢٠٥ .

(٢) وذلك في كتابه « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » ترجمة انيس فريحة ص ٩٧ وما بعدها . طبع دار الريحاني للطباعة في بيروت ، ونشر دار الثقافة في بيروت سنة ١٩٦١م .

• فيكتبون (حدثنا) (ثنا) ، وقد يحذفون الثاء فيكتبون (نا)•
وقد يزيدون الدال ، فيكتبون (دثنا) •

• ويكتبون (حدثني) (ثني) او (دثني) •

• ويكتبون (أخبرنا) (أنـا) •

وقد يزيد بعضهم الراء فتصير (أرنـا) . وكأن الـذي زادهـا خشي ان يظن ظان انها مختصرة من (أنبأنا) وان جرت عادتهم بعدم اختصارها كما يشاهد فيما لا يحصى من الكتب ، كما يقول الاستاذ طاهر الجزائري رحمه اللـه [1] •

وقد التزموا في الغالب تحريف الالف الاخيرة منهما الى جهـة اليمين ليحصل التمييز بينها وبين ما يشابهها في الصـورة ممـا ليس بـرمـز •

• رمز تعدد الاسناد : واذا كـان للحديث اسـنادان او اكثـر وجمعوا بينهما في متن واحد كتبوا عند الانتقال من اسناد الى اسناد (ح) أي تحول الحديث نفسه من إسناد الى إسناد •

ـ أما أصل هذا الرمز الذي يدل عليه فللعلماء في ذلك اقوال أربعـة :

١ ـ قالوا : انها حاء مأخوذة من (حائل) ؛ لانهـا تحول بين اسنادين ، فلا تكون من الحديث •

٢ ـ وقيل : انها حاء مأخوذة من (الحديث) ؛ لانها ترمز الى قولنا : الحديث •

٣ ـ وقيل : انها حاء مأخوذة من (التحويل) ؛ لانهـا دلت على التحول من اسناد الى اسناد •

---

(١) « توجيه النظر » ٣٢٢ .

٤ ــ وذكر ابن الصلاح ــ رحمه الله ــ ونقل ذلك عنه النووي ــ انه وجد بخط بعض الحفاظ كأبي مسلم الليثي وأبي عثمان الصابوني في مكانها بدلا عنها (صح) صريحة .

وهذا يشعر بكونها رمزا الى (صح) وقال ابن الصلاح : (وحسن اثبات (صح) ههنا لئلا يتوهم ان حديث هذا الاسناد سقط . ولئلا يركب الاسناد الثاني على الاسناد الاول فيجعلا اسناد واحدا) [١] .

ــ وأما قراءة هذا الرمز (ح) فللعلماء في ذلك أقوال أربعة :

١ ــ الا يلفظ القارىء اذا وصل في القراءة الى هذا الرمز بشيء.

٢ ــ ان يقول القارىء اذا وصل في القراءة الى هذا الرمز (الحديث) ، وهذا ما يفعله أهل المغرب .

٣ ــ ان يقول القارىء اذا وصل في القراءة الى هذا الرمز (حا) ويمر ، وهذا الذي اختاره ابن الصلاح والنووي . وهذه الاقوال الثلاثة اوردها كلاهما [٢] .

٤ ــ ان يقول القارىء اذا وصل الى هذا الرمز (تحويل) .

وهذا القول ذكره العلامة القاسمي اذ قال : (وقد كان بعض مشايخنا المسندين اذا وصل اليها يقول (تحويل) وكنت أستحسنه منه) [٣] .

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ١٨١ .

(٢) « علوم الحديث » ١٨١ ــ ١٨٢ و « التقريب » المطبوع اعلى « تدريب الراوي » ٣٠٣ ــ ٣٠٤ .

(٣) « قواعد التحديث » ١٩٤ .

الكلمات التي يحذفهـا المحدثون :

هناك كلمتان يحذفهما المحدثون وهما :

كلمة (قال) وكلمة (انه) .

ــ أما كلمة (قال) فتحذف بين رجال السند او اذا تكررت .

وحذفها انما هو في الخط فقط ، وينبغي للقارىء ان يلفظ بها .

• مثال حذفها بين رجال السند قولهم (حدثنا احمـد ، ثنـا الشافعي ، انا مالك) .

وتقرأ هذه العبـارة كما يأتي : (حدثنا أحمـد ، قـال حدثنا الشافعي ، قال أخبرنا مالـك) .

وقولهم (قرىء على فلان ، حدثنا فلان) وتقرأ هذه العبـارة كما يأتي :

(قرىء على فلان ، قال حدثنا فلان) [1] .

• ومثال حذفها اذا تكرر قولهم (حدثنا صالح قال الشعبي) ، فانها تقرأ كما يأتي :

(حدثنا صالح قال قال الشعبي) قال ابن الصلاح : (حذفوا احداهما في الخط وعلى القارىء ان يلفظ بهما جميعا) [2] .

وأما كلمـة (انه) فقد جرت العادة بحذفها خطأ مثل قولهم :

(حدثني عبد اللـه عن عمر عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم قال) ، وتقرأ كما يأتي :

(حدثني عبد اللـه عن عمر عن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قـال) .

وهـذا مثال آخر على حذف (أنـه) :

---

(1) « تدريب الراوي » ص ٣٠٢ .

(2) « علوم الحديث » لابن الصلاح ص ٢٠٤ .

قال البخاري : (حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون)
وتقرأ كالآتي :

(حدثنا الحسن بن الصباح أنه سمع جعفر بن عون) [1] .

اذن ينبغي أن تقرأ هذه الرموز دالة على أصلها ولا يسوغ في القراءة الاقتصار على النطق بالرمز المكتوب فقط .

كما ينبغي أن يَنطِق القارىء بالمحذوف خطاً .

ومن المصطلحات أنهم يروون حديثا ثم يتبعونه بإسناد آخر ويقولون عند منتهى الاسناد : (مثله) أو (نحوه) يعنون الحديث المتقدم [2]

وقد بحث العلماء في جواز رواية الحديث بالاسناد الثاني ولفظ الحديث الاول . فمنهم من منع ذلك كشعبة ، ومنهم من أجاز ذلك بشرط أن يعرف أنه ضابط متحفظ يذهب الى تمييز الالفاظ وعد الحروف .

ومن المصطلحات قولهم (وبه قال حدثنا ..) قال القسطلاني :

اذا قرأ المحدث إسناد شيخه المحدث أول الشروع وانتهى ، عطف عليه بقوله في أول الذي يليه : (وبه قال حدثنا ..) ليكون كأنه أسنده الى صاحبه في كل حديث ، أي لعود ضمير (وبه) على السند المذكور ، كأنه يقول : (وبالسند المذكور قال) أي صاحب السند لنا فهذا معنى : (وبه قال)

❋ ★ ❋

---

(١) « توجيه النظر » ٣٢٢ .
(٢) « الكفاية » ٣١٩ .
(٣) « قواعد التحديث » ١٩٣ .

الفصل الثامن

الصّحيحُ والحَسَن وَالضّعيفُ

قسّم العلماء الحديث الى ثلاثة أقسام وهي :

١ ـ الحديث الصحيح ٣ ـ والحديث الحسن ـ والحديث الضعيف

ويختار ابن كثير تقسيم الحديث الى صحيح وضعيف فقط [١]

ولم يجعلوا الموضوع قسماً من هذه الاقسام ، لأنه ليس حديثا ، وانما هو قول مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ادعي حديثا الا بادعاء واضعه .

هذا هو القول الصحيح وان كان بعضهم يعدُّ الموضوع نوعاً من أنواع الضعيف ، وسنبين عدم صحة الرأي في الباب الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله .

وكل قسم من هذه الاقسام الثلاثة تندرج تحت فروع سنذكر أهمها في هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

---

(١) « الباعث الحثيث » ٢١ وقال الاستاذ احمد شاكر في ص ٩٢ (بل كان اكثر المتقدمين لا يصف الحديث الا بالصحة او بالضعف فقط) .

١ ـ الحديث الصحيح :

آ ـ **تعريفه :** هو الحديث المتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله الى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا .

أي أن الحديث الصحيح هو ما توافرت فيه العناصر الآتية : اتصال السند ، والنقل من العدول الثقات الضابطين عن أمثالهم في العدالة والضبط وهكذا . . حتى ينتهي السند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الى منتهاه من صحابي أو من دونه والسلامة من الشذوذ والعلة .

وينبغي أن نشرح ما تضمنه هذا التعريف :

● فاتصال السند : معناه ان يكون كل راوٍ قد سمع الحديث ممن فوقه ، بحيث لا يروي فيه أحد عمن لم يسمع منه مباشرة .

أما اذا كان في السند راوٍ لم يسمع ممن هو فوقه في سلسلة السند فليس هذا الحديث صحيحا ، وقد ضرب الحاكم مثلا على ذلك الحديث الآتي فقال : [حدثنا أبو عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة ، ثنا الحسن بن عبد الأعلى الصنعاني ، ثنا عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن واسع عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أقال نادما أقال الله نفسه يوم القيامة ، ومن كشف عن مسلم كربة كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله في عون العبد ماكان العبد في عون أخيه» قال الحاكم : هذا إسناد من نظر فيه من غير أهل الصنعة لم يشك في صحته وسنده ، وليس كذلك .

فإن معمر بن راشد الصنعاني ثقة مأمون ولم يسمع من أبي صالح [1] ومن أجل ذلك عدّ علماء الحديث من شرائط المسند ألا يكون في اسناده (أخبرت عن فلان) ولا (حدّثت عن فلان) ولا (بلغني عن فلان)أو ماشابه ذلك من العبارات التي لاتدل على أن السماع كان مباشرا .

● والعدالة : معناها يشمل جميع الصفات التي تشترك في تكوين الثقة بصدق الراوي من حسن العقيدة ، والقيام بأوامر الشرع واجتناب ما نهى عنه ، وترك كل ما يخل بالمروءة ، والاتصاف بمحاسن الاخلاق والورع والتقوى .

قال العلامة أحمد شاكر : (والعدل هو المسلم البالغ الذي سلم من أسباب الفسق وخوارم المروءة على ما حقق في باب الشهادات من كتب الفقه ، الا ان الرواية تخالف الشهادة في شرط الحرية والذكورة وتعدد الراوي) [2] .

---

(1) « معرفة علوم الحديث » ١٨ اقول : يريد الحاكم ان هذا الحديث ضعيف بهذا الاسناد أما متنه فمروي من طرق اخرى صحيحة، فقوله « من كشف عن مسلم ... » حديث صحيح متفق عليه انظره في « رياض الصالحين » ص ١٢٧ وقوله «والله في عون العبد ...» حديث صحيح اخرجه مسلم وانظره ص ١٢٨ من « رياض الصالحين » .

(2) « الباعث الحثيث » ص ٩٢ وانظر في الفرق بين الخبر والشهادة بالاضافة الى كتب الفقه « شرح مسلم » ١/٦١ ـ ٦٢ وانظر كلام الشافعي في ذلك في كتاب « مناقب الشافعي » للبيهقي ٢/٢٨ . وانظر كذلك كتاب « الفروق » للعلامة القرافي .

ثم ان الراوي العدل تقبل روايته ولو كان له رأي مخالف لاهل السنة ما لم يكن داعية لمذهبه قال الحاكم : [ثم يتأمل حاله — أي حال المحدث — : هل هو صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، فان الداعي الى البدعة لا يكتب عنه ولا كرامة ؛ لإجماع جماعة من أئمة المسلمين على تركه] (١) .

● والضبط : معناه يشمل كمال الملكات العقلية والنباهة وعدم الغفلة : واليقظة ، وحسن الفهم ، والحفظ ، والمعرفة بأحوال الناس .

قال العلامة احمد شاكر : (واما الضبط فهو اتقان ما يرويه الراوي بان يكون متيقظا لما يروي إن روى من الكتاب . عالما بمعنى ما يرويه وبما يحيل المعنى عن المراد ان روى بالمعنى ، حتى يثق المطلع على روايته المتتبع لاحواله بأنه ادى الامانة كما تحملها لم يغير منها شيئا) (٢) .

روى الحاكم بسنده الى يحيى بن سعيد انه كان يقول : (ينبغي ان يكون في صاحب الحديث غير خصلة : ينبغي لصاحب الحديث ان يكون ثبت (٣) الأخذ ، ويفهم ما يقال له ، ويبصر بالرجال ، ثم يتعهد ذلك) (٤) .

وصفة الضبط من اهم الصفات التي تجعل الحكم على الحديث

---

(١) « معرفة علوم الحديث » ص ١٦ .
(٢) « الباعث الحثيث » ٩٢ — ٩٣ .
(٣) يقال الحجة ثبت (بفتحتين) اذا كان عدلا ضابطا . والجمع اثبات ، مثل : سبب واسباب .
(٤) « معرفة علوم الحديث » ص ١٥ .

موضوعيا . لا يتأثر بعوامل اخرى خارجية ، فليس الصلاح كافيا ليكون الراوي ثقة مقبول الرواية .

قال علي بن المديني : سئل يحيى بن سعيد القطان عن مالك بن دينار ومحمد بن واسع وحسان بن ابي سنان فقال ما رأيت الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث . يكتبون عن كل أحد »[1] .

وأورد الامام مسلم الجملة السابقة عن يحيى بن سعيد في مقدمة « صحيحه » كما يأتي :

« لم نر الصالحين في شيء أكذب منهم في الحديث ولم نر أهل الخير في شيء اكذب منهم في الحديث »[2] ، وعلق مسلم على ذلك بقوله (يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب)[2] .

● وأورد ابن الجوزي في « الموضوعات » هذا القول عن يحيى ابن سعيد ثم قال : كان وهب بن حفص من الصالحين ومكث عشرين سنة لا يكلم أحدا . قال أبو عروبة :

وكان يكذب كذبا فاحشا[3] .

وذكر الخطيب ان الامام مالك بن انس كان يقول : « لا تأخذ العلم من أربعة : لا تأخذ من سفيه معلن بالسفه وان كان أروى الناس ،

---

(1) « ميزان الاعتدال » ٥٨/٤ .
(2) « صحيح مسلم » ١٣/١ – ١٤ وقال الحافظ العراقي في « الباعث على الخلاص » ص ١٤٢ : وهذا يحتمل تأويلين احدهما : انهم يحسنون ظنهم بمن يحدثهم ولا يميزون بين الصحيح والضعيف والثاني ان يراد بذلك من ينسب للصلاح وليس بصالح .
(3) « الموضوعات » ٤١/١ .

ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس اذا جرب ذلك عليه وان كان لا يتهم ان يكذب على رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس الى هواه ، ولا من شيخ لـه فضـل وعبادة اذا كان لا يعرف ما يحدث » [١] .

ونقل عنه انه كان يقول : « لقد ادركت بهذا البلـد ـ يعني المدينة ـ مشيخة لهم فضل وصلاح وعبادة يحدثون . ما سمعت من واحد منهم حديثا قط » . قيل : ولم يا أبا عبد اللـه ؟ قـال : لم يكونوا يعرفون ما يحدثون [٢] .

ونقل ابن حجر عن ابن عدي قوله في بكر بن خنيس : (وهو في نفسه رجل صالح ، الا ان الصالحين يشبه عليهم الحديث . وربما حدثوا بالتوهم) [٣] .

ومن المفيد ان نورد هنا مقالة الامام الشافعي في وصف من يحتج بحديثه ، قال :

(ولا تقوم الحجة بخبر الخاصة حتى يجمع امورا منهـا : ان يكون من حدث به ثقة في دينه . معروفا بالصدق في حديثه . عاقـلا بما يحدث بـه . عالما بما يحيل معاني الحديث من اللفظ . او ان يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمعه . لا يحدث به على المعنى . لانه اذا حدث بـه على المعنى ، وهو غير عالم بما يحيل معناه . لم يدر لعله يحيل الحلال الى الحرام ، واذا أداه بحروفه فلم يبق وجه يخاف فيه

---

(١) « الكفاية » ١٨٩ و ٢٤٩ .
(٢) « الكفايـة » ١٨٩ .
(٣) « تهذيب التهذيب » ٤٨٢/١ .

احالته للحديث ، حافظا ان حدث من حفظه ، حافظا لكتابه ان حدث من كتابه ، اذا شرك أهل الحفظ في الحديث وافق حديثهم ، بريئا ان يكون مدلسا يحدث عمن لقي مالم يسمع منه ، ويحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بما يحدث الثقات خلافه عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ويكون هكذا من فوقه ممن حدثه حتى ينتهي الحديث موصولا الى النبي صلى الله عليه وسلم او الى من انتهى به اليه دونه)[1] .

● والشاذ : ما يخالف فيه الثقة من هو اوثق منه ، وسيرد له مزيد تفصيل .

● والمعلل : ما كان فيه علة . وسيرد له مزيد تفصيل .

ب ـ درجاته : والحديث الصحيح متفاوت الدرجة عند المحدثين بسبب تفاوت الاوصاف المقتضية للتصحيح فى القوة .

فما يكون رواته في الدرجة العليا من العدالة والضبط وسائر صفات الترجيح يكون أصح مما دونه .

ولهذا أطلق بعضهم كلمة (أصح الاسانيد) على بعض الاسانيد .

فهناك من يقول : ان اصح الاسانيد رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم **ويسمون هذا السند** السلسلة الذهبية كما يقول الامام ابو داود وكما يروى عن البخاري [2] .

---

(١) « الكفاية » ٦٢ ـ ٦٣ ط مصر .

(٢) «الباعث الحثيث» ص٢٢ وانظر « الكفاية » من٥٦٢الى٥٦٥ .

وأجل الروايات عن الشافعي رواية أحمد بن حنبل .

وهناك من يرى ان اصح الاسانيد سلسلة اخرى ، قال الاستاذ أحمد شاكر : (والذي انتهى اليه التحقيق في اصح الاسانيد : أنه لا يحكم لاسناد بذلك مطلقا من غير قيد ، بل يقيد بالصحابي او بالبلد) [1] وقد جمع طائفة من اصح الاسانيد بالنسبة لعدد من الصحابة [1] .

وليس من شك في ان الحديث الذي اتفق على تخريجه البخاري ومسلم مقدم على ما انفرد به أحدهما ، وما أخرجه البخاري مقدم على ما انفرد به مسلم [2] .

تنبيه : قال النووي : لا يلزم من هذه العبارة (أصح شيء في الباب) صحة الحديث : فانهم يقولون : هذا أصح ما جاء في الباب وان كان ضعيفا ومرادهم أرجحه او اقله ضعفا [3] .

ج ـ انواعه : سنذكر أنواعه الثلاثة وهي .

المتواتر ، والصحيح لذاته ، والصحيح لغيره .

---

(1) « الباعث الحثيث » ص ٢٣ وانظر هناك ما جمعه من اصح الاسانيد .

(2) « علوم الحديث » لابن الصلاح ص ٢٣ ـ ٢٤ و «التدريب» للسيوطي ص ٦٤ ـ ٧٤ .

(3) « قواعد التحديث » ص ٥٩ .

١ ـ الصحيح لذاته : وهو ما اشتمل من صفات القبول التي ذكرناها في التعريف على أعلاها •

٢ ـ الصحيح لغيره : وهو ماصحح لامر أجنبي عنه ، اذ لم يشتمل من صفات القبول على أعلاها ، وهو الحديث الحسن الذي يروى من طرق متعددة فاذا روي من غير وجه ارتقى بما عضده من درجة الحسن الى منزلة الصحة [1] •

٣ ـ الحديث المتواتر : وهو من أعلى درجات الحديث الصحيح ويفيد اليقين •

وتعريفه : أنه الحديث الذي يرويه جمع تحيل العادة (أي : يستحيل عادة) تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في كل مراحل السند من أول السند الى آخره •

• وقال الخطيب في تعريفه : انه (ما يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حداً يعلم عن مشاهدتهم بمستقر العادة ان اتفاق الكذب منهم محال ، وان التواطؤ منهم في مقدار الوقت الذي انتشر الخبر عنهم فيه متعذر) [2] •

• وقال النووي ايضا : (المتواتر ما نقله عدد لا يمكن مواطأتهم على الكذب عن مثلهم ويستوي طرفاه والوسط . ويخبرون عن حسي لا مظنون ، ويحصل العلم بقولهم . ثم المختار الذي عليه المحققون والاكثرون ان ذلك لا يضبط بعدد مخصوص ، ولا يشترط في

---

(١) «قواعد التحديث» ص٥٦ و «توجيه النظر» ص٢١٢ـ٢١٣.
(٢) « الكفاية » ص ٥٠ .

المخبرين الاسلام ولا العدالة) [1] .

• وقال الجزائري في تعريفه : (المتواتر هو خبر عن محسوس ، أخبر به جماعة بلغوا في الكثرة مبلغا تحيل العادة تواطؤهم على الكذب فيه) [2] . وقال :

(خرج بما ذكر ثلاثة أشياء : (أحدها) الخبر عن غير محسوس كالخبر عن حدوث العالم وكون العدل حسنا والظلم قبيحا . (وثانيها) الخبر الذي أخبر به واحد و (ثالثها) الخبر الذي أخبر به جماعة لم يبلغوا في الكثرة مبلغا تحيل بالعادة تواطؤهم على الكذب فيه وان دلت قرائن الاحوال على صدقهم . والخبر المتواتر يفيد العلم بنفسه) [3] .

---

(١) « شرح مسلم » ١/١٣١ قال القاسمي في « قواعد التحديث » ص ١٢٩ تعليقا على ذلك : (وكذا قال الاصوليون ولا يخفى ان هذا الاصطلاح للاصوليين والا فاصطلاح المحدثين فيه ان يرويه عن عدد من المسلمين ، لانهم اشترطوا فيمن يحتج بروايته ان يكون عدلا ضابطا بان يكون مسلما بالغا ، فلا تقبل رواية الكافر في باب الاخبار وان بلغ في الكثرة ما بلغ) أقول : ومراد النووي والاصوليين ان قوة الخبر المتواتر لم تأت من قوة الرواة وانما جاءت من ناحية عقلية وهي اتفاقهم على رواية هذا الخبر مع استحالة تواطئهم على الكذب ، وتصور رواية الكفار للحديث ناحية نظرية اما تقرير هذا الامر ففي الاخبار الاخرى كالاخبار بوجود مدينة وما الى ذلك ، والله اعلم .

(٢) « توجيه النظر » ص ٣٣ .

(٣) « توجيه النظر » ص ٣٣ .

اما عدد هذا الجمع فهو مما اختلفت فيه الآراء والاقوال ، والصواب من ذلك انه لا يحد بعدد معين ، بل ينبغي ان يكون هذا الجمع كثيرا حتى ينطبق عليه ماورد في التعريف من استحالة اجتماعهم وتواطئهم على الكذب (١) .

وقد ذكر ابن الاثير في مقدمة « جامع الاصول » (٢) شروطا اربعة للتواتر :

١ ــ ان يخبر رواته عن علم لا عن ظن ، فان أهل بلد كبير لو أخبروا عن طائر ظنوا أنه حمام لم يحصل لنا العلم بكونه حماما .

٢ ــ ان يكون علمهم ضروريا مستندا الى محسوس ، اذ لو أخبرونا عن حدوث العالم لم يحصل لنا العلم .

٣ ــ ان يستوي طرفاه وواسطته في هذه الصفات وفي كمال العدد فاذا نقل الخلف عن السلف ، وتوالت الاعصار ، ولم تكن الشروط قائمة في كل عصر لم يحصل العلم بصدقهم لان خبر أهل كل عصر مستقل بنفسه ولابد فيه من الشروط (٣) .

٤ ــ العدد ، وعدد المخبرين ينقسم الى ناقص فلا يفيد العلم ، والى كامل : فيفيد العلم . والى زائد : يحصل العلم ببعضه ، وتقع الزيادة فضلة ، وبحصول العلم الضروري تتبين كمال العدد ، والعدد يختلف

---

(١) انظر في هذا « شرح نخبة الفكر » لابن حجر ص ٣

(٢) « جامع الاصول » ١/٦٦

(٣) انظر في هذا « المستصفى » للغزالي و « ارشاد الفحول » للشوكاني ص ٤٦ ــ ٤٨ .

بالوقائع والاشخاص [1] .

أقسام المتواتر :

وينقسم المتواتر الى لفظي ومعنوي :

١ — فالمتواتر اللفظي : هو الذي رواه الجمع المذكور في كل مراحل السند : اوله ووسطه وآخره بلفظ واحد ، وصورة واحدة ، وهو قليل جدا . ويذكرون من المتواتر اللفظي ، حديث « من كذب علي ... » [2] وحديث انشقاق القمر ، والشفاعة ، والمسح على الخفين .

٢ — والمتواتر المعنوي : هو الذي يكتفى فيه بأداء المعنى ، ولو اختلفت رواياته ، عن الجمع الذين تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، وهو كثير ، ومن أمثلة المتواتر ما أورده ابن تيمية حيث قال :

فالمسلمون عندهم — منقولا عن نبيهم نقلا متواترا — ثلاثة أمور :

- لفظ القرآن .
- ومعانيه التي أجمع عليها المسلمون .
- والسنة المتواترة ، وهي الحكمة التي أنزلها الله غير القرآن

---

(١) يرجع الى التفصيل في العدد الى ما ذكره ابن الاثير ١/٦٧—٦٨ و « شرح النخبة » و « توجيها لنظر » و « ارشاد الفحول » وغيرها.

(٢) أفرد عدد من العلماء طرق هذا الحديث وجمعوها بجزء مستقل ، ومنهم : يوسف بن خليل الدمشقي وابن صاعد أورد كثيرا من هذه الطرق ابن الجوزي في مقدمة « موضوعاته » والسيوطي في « تحذير الخواص » ونقلها عنه ملا علي القاري في كتابه « الاسرار المرفوعة » .

... (مثل كون الظهر والعصر والعشاء أربعا ، وكون المغرب ثلاث ركعات وكون الصبح ركعتين ، ومثل الجهر في العشائين والفجر ، والمخافتة في الظهر والعصر ،ومثل كون الركعة فيها سجدتان، وكون الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة سبعا ، ورمي الجمرات كل واحدة سبع حصيات ، وأمثال ذلك) [١] .

وذكر ابن حجر أن من المتواتر خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع [٢] .

الحديث المتواتر والاسناد

قال الشيخ طاهر الجزائري :

(الخبر إما أن يرويه جماعة يبلغون في الكثرة مبلغاً تحيل العادة تواطؤهم على الكذب فيه . أو . لا ، فالاول متواتر ، والثاني خبر الآحاد .

والمتواتر ليس من مباحث علم الاسناد ، لأن علم الاسناد علم يبحث فيه عن صحة الحديث أو ضعفه من حيث صفات رواته وصيغ أدائهم ، ليعمل به أو يترك . والمتواتر صحيح قطعاً ، فيجب الأخذ به من غير توقف . وهو يفيد العلم بطريق اليقين .

والمتواتر يندر أن يكون له إسناد مخصوص ، كما يكون لاخبار الآحاد ، لاستغنائه بالتواتر عن ذلك ، وإذا وجد له إسناد معين

---

(١) «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح »٢/ص٧ وانظر « الفصل » لابن حزم ٢/٨١ — ٨٢ .

(٢) « لسان الميزان » لابن حجر ١ /ص٣

لم يبحث عن أحوال رجاله ، بخلاف خبر الآحاد فإن فيه الصحيح وغير الصحيح . والصحيح منه لايحكم له بالصحة على طريق اليقين ، نعم قد تقترن به قرائن تفيد العلم بالصحة .

ولابد في خبر الآحاد أن يكون له إسناد معين ، يبحث فيه عن أحوال رجاله وصيغ أدائهم ونحو ذلك . ليعلم المقبول منه من غيره ..) [1]

أشهر الكتب المؤلفة فيالأحاديث المتواترة :

١ ـ الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة [2] للسيوطي : ومن المفيد أن نورد ماجاء في مقدمته قال : (وبعد فإني جمعت كتاباً سميته « الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة » أوردت فيه مارواه من الصحابة عشرة فصاعداً ، مستوعباً طرق كل حديث وألفاظه ، فجاء كتابا حافلا لم يسبق الى مثله ، إلا أنه لكثرة ما فيه من الأسانيد إنما يرغب فيه من له عناية بعلم الحديث واهتمام . وقليل ماهم ، فرأيت تجريد مقاصده في هذه الكراسة ليعم نفعه : بأن أذكر الحديث وعدة من رواه من الصحابة مقروناً بالعزو الى من خرجه من الأئمة المشهورين ، وفي ذلك مفتاح للمستفيدين ، وسميته « الأزهار المتناثرة في الاخبار المتواترة » ورتبته على الابواب كأصله) وهذه الابواب اثنا عشر باباً وهي (العلم ـ الايمان ـ الطهارة ـ الصلاة ـ الجنائز ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج ـ الاحكام ـ المناقب ـ البعث) .

وقد أشار السيوطي الى هذاالكتاب في « تدريب الراوي »[3].

---

(١) « توجيه النظر » ص ٢٠٩ .

(٢) وهو مطبوع فيمصر في مطبعة دار التاليف ، ويقع في في ٤٣ صفحة حققه عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري .

(٣) « تدريب الراوي » ص ٣٧٤ .

اشارة لاتنفق وما أوردناه من مقدمته لكتاب « الأزهار » [1] كما أشار الى أنله كتابا سماه «قطف الازهار » وهو تلخيص(الأزهار)

ويقول الأستاذ الكتاني عن « الأزهار المتناثرة » : (ضمنه ــ على ماقال ــ مائة حديث ،وعددت أحاديثه فوجدتها مائة واثنــي عشر ، ولعل الزائد ملحق)[2] • وعدد أحاديث النسخة المطبوعة كما رقمها المحقق الغماري مائة وأحد عشر حديثا •

٢ ــ اللآلىء المتناثرة في الاحاديث المتواترة: لمحمد طولون،المتوفى٩٥٣

٣ ــ لقط اللآلىء في الاحاديث المتواتــرة ، للزبيدي : وقــد لخص فيه كتاب ابن طولون السابق •

قال الغماري : وقد أخذه من « الأزهار » للسيوطي من غــير أن يزيد او ينقص ، وقصاري أمره فيه أنه اقتصر علــى ماذكــره السيوطي مما رواه عشرة ولم يذكر من ذلك وجميع من ذكــره لا يجاوز السبعين ، فمن عنده كتاب السيوطي لا يحتاج الى كتاب الزبيدي •

٤ ــ نظم المتناثر من الحديث المتواتر : لمحمــد بن جعفر الكتانــي وهو مطبوع وضمنه ٣١٠ أحاديث مما هو متواتر لفظا أو معنى •

٥ ــ الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون لصديق حسن القنوجي وذكر فيه أربعين حديثا متواترة •

---

(١) ذكر في « التدريب » انه اورد في « الازهار » كل حديث بأسانيد من خرجه وطرقه ، واتضح مما نقلناه من المقدمة أعلاه أن ذلك في كتابــه « الفــوائــد »

(٢) « الرسالة المستطرفة » ١٩٤ وانظر « نظم المتناثر » ص٤ بينما وجدت في آخر الكتاب ما نصه : « آخر الكتاب وقد اشتمل على عشرة أحاديث ومائة حديث وتم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده ، وصلى اللــه على من لا نبي بعده) .

٦ ـ الاحاديث المتواترة للسيد محمود بن نسيب المشهور بابن حمزة مفتي دمشق والمتوفى بها ١٣٠٥ .

٧ ـ إتحاف ذوي الفضائل المشتهرة بما وقع من الزيادة في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة تأليف عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري،وقد قال في مقدمته: (لخصت فيه ما استدركه شيخ شيوخنا الامام محمد بن جعفر الكتاني في كتابه « نظم المتناثر » على كتاب « الأزهار المتناثرة » للسيوطي من الطرق والأحاديث التي شرط كتاب السيوطي ، وهي ما بلغ رواته عشرة مع ضم زيادات لطيفة وطرق مهمة من تآليف شقيقنا أبي الفيض السيد أحمد التي جمع فيها طرق بعض الأحاديث المتواترة ، ومن تعليقات له على « الأزهار المتناثرة » كتبها بخط يده .. وقد تيسر لي الوقوف على كتاب .... « لفظ اللآلىء » فلخصت منه أيضا ما ينبغي أن يلحق بكتابي هذا ، وقد جعلت كتاب الكتاني هو الأصل ثم أتبعته بالزيادات الواقعة في الكتب الأخرى) وأبواب الكتاب ٣١ بابا هي كما يلي :

العلم ـ الايمان ـ الطهارة ـ الأذان ـ الصلاة ـ الجمعة ـ والعيد ـ المرضى والجنائز وأحوال الموتى ـ الصدقة والزكاة والمعروف ـ الصيام ـ الحج والعمرة ـ الذكاة ـ الجهاد ـ النكاح ـ اللباس ـ الأطعمة والأشربة ـ البيوع ـ الإمامة ـ الاحكام والحدود ـ التحذير من الظلم ـ الولاء ـ الوصايا ـ الايمان ـ بدء الخلق ـ القرآن وفضائله ـ الأذكار والدعوات ـ الأدب والرقائق ـ المناقب ـ المعجزات والخصائص ـ جامع أشراط الساعة ـ البعث وأحوال القيامة .

ويقع في ١٠٧ صفحات .

د ــ حجيتــه ودلالتــه :

يحتج بالحديث الصحيح سواء أكان متواتراً أم آحاداً •

أما دلالته فإنه يفيــد الظن القوي ما لم يتواتر [١]• وقال النووي: ولافرق في ذلك ــ أي في إقامة الظن ــ بين مارواه الشيخان وغيرهما ، وتلقي الأمة لما أخرجاه بالقبول إنما أفاد وجوب العمل بما فيهما مــن غير توقف على النظر فيه• بخلاف غيرهما، فلا يعمل به حتى ينظر فيه ولا يوجد فيه شروط الصحيح ولا يلزم من إجماع الأمة على العمل بمــا فيهما إجماعهم على القطع بأنه كلام النبي صلى الله عليه وسلم [٢]• أما ابن الصلاح فقد ذهب الى أن مارواه البخاري ومسلــم أو أحدهمــا مقطوع بصحته والعلم القطعي حاصل به [٣] •

والأكثرون على رأي النووي أنه يفيــد الظن القوي •

ملاحظتــان :

ــ المراد بقولهم : حديث صحيح ، أو حديث حســن ، أو حديث ضعيف أنه كذلك بحسب ما ظهر لهم من استيفاء الشروط كلهــا أو بعضها أو عدم استيفائها ، ويكون تبعا لذلك مقبولا أو مردودا لا أنه مقطوع به في نفس الأمر ؛ لجواز الخطأ والنسيان علــى الثقة ، ولجواز الضبط والصدق على غير الثقــة [٤] •

---

(١) « التقريب » للنووي ص ٧٠ و « قواعد التحديث » ٦٣ و « الطراز الحديث في مصطلح الحديث » للجيزاوي ص ١٤

(٢) « شرح مسلم » للنووي ١/٢٠ وانظر « قواعد التحديث » ٦٣.

(٣) « علوم الحديث » ٢٤ .

(٤) « علوم الحديث » ص ١١ و « توجيه النظر » ٨٣ ــ ٨٤ .

٢ ـ ينبغي التنبيه على أن الحديث ، اذا صح وجب على المسلم العمل به ما لم يكن منسوخا أو مخصصا مما يعرفه أهل العلم ولايتقدم عليه قول أحد ولا قياسه (١) .

٢ ـ الحديث الحسـن :

أ ـ تعريفـه :

هو ما اتصـل سنده بنقل عدل خفيف الضبط وسلم من الشذوذ والعلة (٢) .

قالوا : وإنما سمي حسناً ، لحسن الظن براويه (٣) .

وشرح أجزاء التعريف قد تقدم في مبحث الحديث الصحيح .

ب ـ درجاته :

والحديث الحسـن على مراتب تتفاوت حسب قوة صفات الصحة وضعفهـا . قال الذهبي : (فأعلى مراتبه بهز بن حكيم عن أبيـه عـن جده ، وعمرو بن شعيب عن ابيه عن جده .... وأمثال ذلك ..) (٤) .

ج ـ أنواعه :

هناك نوعان للحديث الحسن : حسن لذاته وحسن لغيره .

١ ـ الحسن لذاته : وهو ما تحققت فيه الصفـات المذكورة في تعريف الحديث الحسن . وذلك بأن يتوافر فيه اتصال السند ، وسلامة الحديث من الشذوذ والعلة ، وعدالة الرواة وأن يشتهروا

---

(١) انظر كلام ابن القيم في « اعلام الموقعين » في ذلك ، وقد نقله القاسمي في « قواعد التحديث » ص٦٥ .

(٢) « شرح النخبة » ص ١١

(٤) « قواعد التحديث » ص ٨٦ .

(٣) « قواعد التحديث » ص ٨١ .

بالصدق ، غير أنهم لم يصلوا في الحفظ الى رتبة رجال الصحيح [1].

٢ ـ الحسن لغيره : وهو في الأصل حديث ضعيف ، كان ضعفه بسبب وجود راوٍ في الإسناد مستور لم تتحقق أهليته ، غيرمغفل ولاكثير الخطأ في روايته ، ولا متهم بتعمد الكذب ولا ينسب الى مفسق آخر ، ولكن هذا الحديث روي من طرق أخرى ، فاعتضد بهذه الطريق وتأيد بها ، وارتفع من الضعف الى الحسن ، ولولا وجود هذا العاضد لاستمرت صفة الضعف فيه .

أما اذا كان ضعف الحديث بسبب اتهام الراوي بالكذب أو الفسق وما الى ذلك فإن ضعفه لايزول بروايته من وجه آخر ، ولاينجبر ولا يرتفع بذلك من درجة الضعيف الى الحسن مهما تعددت طرقه المماثلة له لقوة الضعف وعجز العاضد [2] .

وقد أوضح هذه المعاني العلامة الجزائري فقال :

(إن الحديث الضعيف قد يكون ضعفه ممكن الزوال ، وقد يكون غير ممكن الزوال .

• فإن كان ممكن الزوال ، وذلك فيما اذا كان الضعف ناشئاً من ضعف حفظ بعض رواته مع كونه من أهل الصدق والديانة ، فإذا جاء مارواه من وجه آخر،عرفنا أنه قد حفظه،ولم يختل فيه ضبطه،فيرتفع بذلك من درجة الضعيف الى درجة الحسن ....

• وإن كان ضعفه غير ممكن الزوال كالضعف الذي ينشأ من كون

---

(١) « علوم الحديث » ص ٢٨

(٢) « قواعد التحديث » ص٨٢ ـ و٩٠ و « توجيه النظر »ص١٤٨

الراوي متهما بالكذب أو كون الحديث شاذا ؛ فإن ضعفه لايزول بروايته من وجـه آخـر »[1] .

د ـ حجيته ودلالتـه :

الحسن كالصحيح في الاحتجاج والدلالة و إن كان دونه في القوة[2] فيحتج به فيما لايعارض الصحيح . قال ابن حجر : (وزيادة راويهما ـ أي الصحيح والحسن ـ مقبولة ما لم تقع منافية لروايـة من هو أوثق ممن لم يذكر تلك الزيادة ؛ لأن الزيادة إما أن تكون لاتنافي بينها وبين رواية من لم يذكرها ، فهذه تقبل مطلقا ، لأنها في حكم الحديث المستقل الذي ينفرد به الثقة ولا يرويه عن شيخه غيره ، وإما أن تكون منافية ، بحيث يلزم من قبولها رد الرواية الأخرى . فهذه التي يقع الترجيح بينها وبين معارضها . فيقبل الراجح ويرد المرجوح [3] .

هذا بالنسبة للحسن بذاته ، أما الحسن لغيره ، فإنه لا يلحق فيما يحتج به إلا إن كثرت طرقـه كمـا قـرر ذلـك البيهقي والنـووي والسخاوي [4] .

وأما دلالته فإنه يفيـد غلبة الظـن كالحديث الصحيح .

ملاحظـات :

١ ـ ارتفاع الحسن الى الصحيح :

ذكرنا أن الراوي في الحديث الحسن متأخر عن درجة الحافظ مع

---

(١) « توجيه النظر » ١٤٨ ـ ١٤٩

(٢) «قواعد التحديث » ٨٧

(٣) « شرح النخبة » ١٢ ـ ١٣

(٤) انظر « قواعد التحديث » ص٩٠

كونه مشهوراً بالصدق والستر • قال الحافظ الذهبي عن مسلم بن يسار : (ولايبلغ حديثه درجة الصحة وهو في نفسه صدوق)[1] فاذا روي حديثه من غير وجه . ولو وجها واحداً قوي بالمتابعة ، وزال ما كان يخشى عليه من جهة سوء حفظ راويه فارتفع من درجة الحسن الى الصحيح لغيره [2] • . وقد أشرنا الى ذلك في أنواع الحديث الصحيح•

ومثل له ابن الصلاح بحديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » قال ابن الصلاح : (فمحمد بن عمرو بن علقمة من المشهورين بالصدق والصيانة . لكنه لم يكن من أهل الاتقان ، حتى ضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه . ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته . فحديثه من هذه الجهة حسن . فلما انضم الى ذلك كونه روي من أوجه أخر زال بذلك ماكنا نخشاه عليه من جهة سوء حفظه . وانجبر به ذلك النقص اليسير ، فصح هذا الاسناد . والتحق بدرجة الصحيح) [3] •

٢ ــ الترمذي والحديث الحسن :

ذكر الامام ابن تيمية رحمه الله ان اول من استعمل اصطلاح (الحسن) هو الترمذي وأن المحدثين قبله كانوا يقسمون الحديث الى صحيح وضعيف كما يقسمون الرجال الى ضعيف وغير ضعيف فقال :

---

(١) « ميزان الاعتدال » ٤/ ١٠٧ .
(٢) « قواعد التحديث » ص ٨٢ .
(٣) « علوم الحديث » لابن الصلاح ص ٣١ ــ ٣٢ .

(والترمذي أول من قسم الاحاديث الى صحيح وحسن وغريب وضعيف ، ولم يعرف قبله هذا التقسيم عن احد ، لكن كانوا يقسمون الاحاديث الى صحيح وضعيف كما يقمسون الرجال الى ضعيف وغير ضعيف . والضعيف عندهم نوعان :

ضعيف لا يحتج به وهو الضعيف في اصطلاح الترمذي ..

والثاني ضعيف يحتج به وهو الحسن في اصطلاح الترمذي ... ولهذا يوجد في كلام احمد وغيره من الفقهاء انهم يحتجون بالحديث الضعيف كحديث عمرو بن شعيب وابراهيم الهجري وغيرهما ، فان ذلك الذي سماه أولئك الفقهاء هو ارفع من كثير من الحسن)[1] .

ويبدو ان شيخ الاسلام ابن تيمية يقرر ان هذا التقسيم الثلاثي لم يعرف قبل الترمذي كما ان اصطلاح (الحديث الحسن) لم يكثر استعماله عند العلماء الا بعد الترمذي ، ذلك لاننا نجد في كلام المتقدمين اطلاق (الحسن) على الحديث بمعان متعددة ، فمن ذلك المعنى للقوي ، وربما أطلق على القريب ، وربما اطلق على المتفق على صحته[2] . قال العلامة الجزائري بعد أن ضرب الأمثلة على ذلك :

(وبالجملة فالترمذي هو الذي اكثر من التعبير بـ (الحسن)

---

(١) انظر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في « مجموع فتاوي ابن تيمية » ١/ ٢٥١ - ٢٥٢ و ١٨/٢٥ و ٢٤٨ - ٢٤٩ وكتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ص ٨٥ طبع مطابع دار الايتام الاسلامية بالقدس سنة ١٣٨٥ وانظر « قواعد التحديث » ص ٨٣ و « منهاج السنة » ١٩١/٢ .

(٢) انظر امثلة ذلك في « توجيه النظر » ص ١٤٨ .

ونوه بذكره)[1] .

وقال ابن الصلاح : (وكتاب ابي عيسى الترمذي اصل في معرفة الحديث الحسن وهو الذي نوه باسمه ، واكثر من ذكره في « جامعه » ، ويوجد في متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التي قبله كأحمد بن حنبل والبخاري وغيرهما)[2] .

وقد ذكر العلماء ان كتاب الترمذي وكتاب ابي داود فيهما من الاحاديث الحسنة الشيء الكثير فهما من مظان الحديث الحسن كما رأيت .

٣ ـ الحسن الصحيح عند الترمذي :

وهذا اصطلاح انفرد به الترمذي ، وقد اختلف العلماء في شرحه[3] :

فمنهم من قال : ان الحديث عندئذ يكون مرويا باسنادين : احدهما حسن والآخر صحيح .

ومنهم من قال : ان الحسن هنا يراد بها المعنى اللغوي ، اي ما تميل اليه نفس ولا يأباه العقل .

ومنهم من قال : انه صحيح باعتبار الصفة العليا (وهي الحفظ

---

(١) « علوم الحديث » ص ٣٢ وانظر كلام ابن كثير في « الباعث الحثيث » ص ٤١ .

(٢) « توجيه النظر » ص ١٤٨ .

(٣) انظر « علوم الحديث » لابن الصلاح ٣٥ و « الباعث الحثيث » ٤٣ و « شرح النخبة » ١١ و « تدريب الراوي » ٩٢ ـ ٩٤ و « قواعد التحديث » ٨٤ ـ ٨٥ و « توجيه النظر » ١٥٨ ـ ١٦٢ .

والاتقان) • وحسن باعتبار الصفة الدنيا (وهي الصدق) •

ومنهم من قال : ان (الحسن) و (الصحيح) مترادفان •

ومنهم من قال : حسن باعتباره سنده ، صحيح باعتبار حكمه •

ومنهم من قال : المراد حسن لذاته ، صحيح لغيره •

ومنهم من قال : المراد حسن باعتبار أن اسناده صحيح اي انه أصح شيء ورد في الباب وهناك أقوال أخر كثيرة ، غير ان ارجح هذه الاقوال التي اطلعت عليها ما قرره العلامة الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة [1] رحمه الله حيث يقول :

(والذي يظهر ان الحسن في نظر الترمذي اعم من الصحيح ، فيجامعه وينفرد عنه ، وأنه في معنى المعمول به ، الذي يقول مالك في مثله : « وعليه العمل ببلدنا » • وما كان صحيحا ولم يعمل به لسبب من الاسباب يسميه الترمذي صحيحا فقط ، وهو مثل ما يرويه مالك في « موطئه » ويقول عقبه : « وليس عليه العمل » • وكأن غرض الترمذي ان يجمع في كتابه بين الاحاديث وما أيدها من عمل القرون الفاضلة من الصحابة ومن بعدهم • فيسمي هذه الاحاديث المؤيدة بالعمل حسانا ، سواء صحت أو نزلت عن درجة الصحة ، ومالم تتأيد بعمل لا يصفها بالحسن وان صحت) [2] •

---

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتابه « المقابلة بين الهدى والضلال » من ص ٢٦ حتى ٣٣ وقد توفي اواخر عام ١٣٨٥ هـ .

(٢) « الباعث الحثيث » ص ٤٤ ط ٣ .

٣ ـ الحديث الضعيف :

أ ـ تعريفه :

هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن المذكورة فيما تقدم [١] .

ب ـ درجاته :

يتفاوت ضعفه بحسب شدة ضعف رواته ، وخفة هذا الضعف ، وبعضها أوهى من بعض .

والفائدة من ذكر العلماء لهذا التفاوت في الضعف هي ترجيح بعض الاسانيد على بعض ، وتمييز ما يصلح للاعتبار مما لا يصلح .

ج ـ أنواعه :

والحديث الضعيف تحته أنواع كثيرة ذكر ابن الصلاح ان الامام ابن حبان أطنب في تقسيمه فبلغ به خمسين قسما الا واحدا [٢] .

وسنقتصر على ذكر عشرة أنواع من الحديث الضعيف :

١ ـ المرسل :

هو ما سقط منه الصحابي كقول نافع : قال رسول الله صلى الله

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٣٧ و « الباعث » ٤٤ .
(٢) « علوم الحديث » ٣٧ .

عليه وسلم كذا ...

هذا قول علماء المصطلح [1] .

وحكى ابن عبد البر عن بعضهم : أنه لا يعد ارسال صغار التابعين مرسلا [2] وقال ابن الصلاح :

(وصورته التي لا خلاف فيها حديث التابعي الكبير الذي لقي جماعة من الصحابة وجالسهم كعبيد الله بن عدي بن الخيار ثم سعيد بن المسيب وأمثالهما اذا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمشهور التسوية بين التابعين أجمعين في ذلك) [3] .

وهناك من لا يخص المرسل بالتابعين بل يعمم التابعين وغيرهم فيعد من المرسل قول غير الصحابي : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذا . قال ابن كثير : (والجمهور من الفقهاء والاصوليين يعممون التابعين وغيرهم) [4] . اذن فهذا رأي الفقهاء والاصوليين .

ويعرفه ابن الاثير تعريفا يقرب من هذا الرأي فيقول : (هو ان يروي الرجل حديثا عمن لم يعاصره) [5] ولم يجعله مقصورا على الحديث الذي سقط منه الصحابي أما الاحتجاج به فسنخصه هنا بكلمة مع اننا سنذكر الاحتجاج بالحديث الضعيف في فقرة مستقلة والمرسل

---

(١) « معرفة علوم الحديث » للحاكم ٢٥ و « شرح النخبة » ١٧ .

(٢) « الباعث الحثيث » ٤٨ .

(٣) « علوم الحديث » ٤٧ .

(٤) « الباعث الحثيث » ٤٨ .

(٥) « جامع الاصول » ١/٦٢ .

نوع من أنواع الضعيف . لاختلاف اقوال أهل العلم فيه . وليتضح الامر للقارىء بجلاء فيستبين الصواب .

• يذهب جمهور العلماء والمحدثون خاصة الى ان الحديث المرسل ضعيف لا تقوم به حجة . فقد ذكر مسلم في مقدمة كتابه :

(والمرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالاخبار ليس بحجة) [١] .

قال ابن كثير : (وكذا حكاه ابن عبد البر عن جماعة أصحاب الحديث) [٢] .

وقال ابن الصلاح : (وما ذكرناه من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حفاظ الحديث ونقاد الاثر . وقد تداولوه في تصانيفهم [٣] .

وقال النووي : (المرسل حديث ضعيف عند جماهير المحدثين والشافعي وكثير من الفقهاء وأصحاب الاصول) [٤] .

وقال الشافعي وغيره من أهل العلم [٥] : لا يجب العمل به . وعلق على ذلك الخطيب فقال في « الكفاية » : (وعلى ذلك أكثر الائمة من حفاظ الحديث ونقاد الاثر) [٦] وقال الخطيب : (والذي

---

(١) «صحيح مسلم» ٢٤/١ وانظر «شرح مسلم» للنووي١/١٣٢.
(٢) «الباعث الحثيث» ٤٨ وانظر «مقدمة ابن الصلاح» ص ٥٠ .
(٣) « علوم الحديث » ٤٩ .
(٤) « التقريب » المطبوع اعلى التدريب ص ١١٩ .
(٥) من أمثال ابن مهدي ويحيى القطان كما ذكر السخاوي في « فتح المغيث » ١٣٦/١ .
(٦) « الكفاية » ٥٤٧ ط مصر .

نختاره •• سقوط فرض العمل بالمراسيل،وان المرسل غير مقبول،والذي يدل على ذلك ان ارسال الحديث يؤدي الى الجهل بعين راويه ، ويستحيل العلم بعدالته مع الجهل بعينه ، وقد بينا من قبل أنه لا يجوز قبول الخبر الا ممن عرفت عدالته ، فوجب لذلك كونه غير مقبول ، وأيضا فان العدل لو سئل عمن ارسل عنه فلم يعدله لم يجب العمل بخبره اذا لم يكن معروف العدالة من جهة غيره ، وكذلك حاله اذا ابتدأ الامساك عن ذكره وتعديله ، لانه مع الامساك عن ذكره غير معدل له ، فوجب الا يقبل الخبر عنه) [1] •

وقال النووي : (ودليلنا في رد العمل به : انه اذا كانت رواية المجهول المسمى لا تقبل لجهالة حاله فرواية المرسل أولى ، لان المروي عنه محذوف ، مجهول العين والحال) [2] •

وقال ابن حجر : (وانما ذكر ـ المرسل ـ في قسم المردود ، للجهل بحال المحذوف ، لانه يحتمل ان يكون صحابيا ويحتمل ان يكون تابعيا ، وعلى الثاني يحتمل ان يكون ضعيفا) [3] •

اما اذا صرح التابعي بأنه قد حدثه رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمه فقد حكم احمد بن حنبل وغيره من الائمة بانه صحيح وحجة ، لان الصحابة كلهم عدول وكل واحد منهم حجة [4] •

• وذهب بعض العلماء الى اعتبار المرسل حجة ، ولم يحشروه في

---

(١) « الكفاية » ٥٥٠ و ٥٥٢ .
(٢) « قواعد التحديث » ١١٤ .
(٣) « شرح النخبة » ١٧ .
(٤) « الكفاية » ٥٨٥ .

زمرة الضعيف ومن هؤلاء الحنفية،وروي هذا القول عن مالك ، وهو احد الروايتين عن أحمد ، وان كان ابو داود في « رسالته الى أهل مكـــة » ذكر ان احمـــد بن حنبل تـــابع الشـــافعي على رد الحديث المرســـل [١] .

• وذهب بعض العلمـــاء الى التفصيل ، فقالوا : ان كان مرسلا من كبار التابعين وأسند من جهة أخرى قبل ، وكذلك ان كان مرسلا من لا يروي الا عن الثقة ، قبل أيضا .
وان لم يكن كذلك رد [٢] .

مراسيل الصحابة :

كان بعض الصحابة يروون عن امثالهم من الصحابة عن النبـــي صلى الله عليه وسلم ، ذكر الحاكم بسنده الى البراء بن عازب قال : ما كل الحديث سمعناه من رسول اللـــه صلى اللـــه عليه وســـلم ، كان يحدثنا أصحابنا ،وكنا مشغولين في رعاية الابل . وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول

---

(١) « رسالة ابي داود الى اهل مكة » بتحقيقنا ص ٢٤ .

(٢) انظرتفصيل ذلك في « قواعد التحديث » ١٢٠ وما بعدها . هذا وقد صدرت رسالتان موجزتان في « الحديث المرســـل » اطلعت عليهما بعد ان كتبت هذا الفصل . احداهما للاستاذ عبد القهار داود العاني بعنوان « المرسل ومدى الاحتجاج به » وهي مستلة من مجلـــة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد ١٩٧٠ وثانيهما للدكتور محمد حسن هيتو بعنوان « الحديث المرسل حجيته وأثره في الفقه » .

اللــه صلى اللــه عليه وسلم فيسمعونه من أقرانهم [1] . فاذا أرسل الصحابي الحديث فما القول فيه ؟

لم يعد ابن الصلاح مرسل الصحابي من الحديث المرسل لانه في حكم الوصول المسند فقــال :

(ثم انّا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه (مرسل الصحابي) مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول اللــه صلى الله عليه وسلم ولم يسمعوه منه ، لان ذلك في حكم الموصول المسند ، لان روايتهم عن الصحابة . والجهالة بالصحابي غير قادحة ، لان الصحابة كلهم عدول) [2] .

قال ابن كثير : (وقد حكى بعضهم الاجماع على قبول مراسيل الصحابة ، وذكر ابن الاثير وغيره في ذلك خلافا . ويحكى هذا المذهب عن الاستاذ ابي اسحاق الاسـفراييني لاحتـمـال تلقيهـم عن بعض التابعين) [3] وقال السيوطي : (وفي الصحيحين من ذلك ــ اى مــن مراسيل الصحابة ــ مالا يحصى ، لان اكثر رواياتهم عن الصحابة . وكلهم عدول . ورواياتهم عن غيرهم نادرة ، واذا رووها بينوها ، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التـابعين ليس أحـاديث مـرفوعة ، بل اسرائيليات او حكايات او موقوفات) [4] .

---

(١) « معرفة علوم الحديث » ١٤ وانظر «الكفاية» ٥٤٧ ــ ٥٤٨ .
(٢) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٥٠ ــ ٥١ وانظر « الباعث الحثيث » ٤٩ .
(٣) « الباعث الحثيث » ٤٩ وانظر مناقشـة الخطيب لهـؤلاء المخالفين في « الكفاية » ٥٤٧ .
(٤) « تدريب الراوي » ١٢٦ .

ومهما يكن من امر فموضوع الاحتجاج بالمرسل موضوع أصولي ، فصل فيه علماء الاصول القول ، فليرجع الى كتبهم [1] .

وقد تبين مما اوردنا كثير من معالم الموضوع والله الموفق .

٢ ـ المنقطع :

وهو أن يسقط من الاسناد رجل . أو يذكر فيه رجل مبهم .

وأكثر ما يستعمل في رواية من دون التابعي عن الصحابي . كمالك عن ابن عمر [2] .

مثال الاول : ما رواه عبد الرزاق عن الثوري عن أبي اسحاق عن زيد بن يثيع . عن حذيفة مرفوعا :

« ان وليتموها أبا بكر فقوي أمين » الحديث فيه انقطاع في موضعين :

أ ـ ان عبد الرزاق لم يسمع هذا الحديث من الثوري ، وانما رواه عن النعمان بن أبي شيبة الجندي عن الثوري .

ب ـ ان الثوري لم يسمعه من أبي اسحاق، انما رواه عن شريك عن أبي اسحاق [3] .

---

(١) انظر « الاحكام » للامدي ١٢٣/٢ ـ ١٢٩ و « ارشاد الفحول » ص ٦٥ و « اصول الفقه » للخضري ص ٢٥٤ وغيرها من كتب الاصول .

(٢) « تدريب الراوي » ١٢٧ .

(٣) انظر « معرفة علوم الحديث » ٢٨ ـ ٢٩ وقد قرر الحاكم ، رحمه الله ، ان سماع عبد الرزاق من الثوري معروف ، وسماع الثوري من ابي اسحاق معروف مشهور غير انهما لم يسمعا هذا الحديث بالذات ، ممن فوقهما .

ومثال الثاني : ، أي ما ذكر فيه رجل مبهم : ما رواه أبو العلاء ابن عبد اللــه بن الشخير عن رجلين عن شــداد بن أوس مرفوعا : « اللهم اني أسألك الثبات في الامر » [1] • فقد أبهم أبو العلاء الرجلين ولم يبين من هما ، اذن فالحديث منقطع •

٣ ـ المعضل :

وهو ما سقط من اسناده اثنان فاكثر بشرط التوالي[2]•
أما اذا لم يتوال فهو منقطع ، فكل معضــل منقطع وليس كــل منقطع معضلا •

قال ابن الصلاح: ومنه قول المصنفين من الفقهاء قال رســول اللــه صلى اللــه عليه وسلم [3] •

ومثاله : ما روى الاعمش عن الشعبي قال : « ويقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا ؟ فيقول : لا ، فيختم على فيه ••• » الحديث أعضله الاعمش لان الشعبي يرويه عن أنس عن النبي صلى اللــه عليه وسلم ، فقد أسقط الاعمش أنسا والنبي صلى اللــه عليه وسلم [4]•

٤ ـ المدلس : والتدليس قسمان :

أحدهما : أن يروي عمن لقيه ما لم يسمعه منه. أو أن يروي عمن عاصره ولم يلقه موهما انه سمعه منه . وهذا يسمى تدليس الاسناد •

---

(١) انظر « الباعث » ص ٥٠ ـ ٥١ و « معرفة علوم الحديث » ٢٧ ـ ٢٨ .
(٢) « التدريب » ص ١٢٩ .
(٣) « علوم الحديث » ص ٥٥ و « الباعث ص ٥١ » .
(٤) « الباعث » ٥١ .

قال ابن خشرم : كنا عند سفيان بن عيينة فقال : (قال الزهري كذا) . فقيل له [1] :

أسمعت منه هذا ؟ قال سفيان : حدثني به عبد الرزاق عن معمر عن الزهري [2] .

ثانيهما : ان يأتي باسم الشيخ او كنيته على خلاف المشهور به تعمية لامره . وتوعيرا للوقوف على حاله . ويختلف الحكم على ذلك العمل باختلاف المقاصد ، فتارة يكره وتارة يحرم [3] . وهذا يسمى تدليس الشيوخ .

ذكر الذهبي ان بقية بن الوليد كان يدلس ، ونقل عن ابن المبارك قوله فيه : نعم الرجل بقية لولا أنه كان يكني الاسامي ، ويسمي الكنى ، كان دهرا يحدثنا عن ابي سعيد الوحاظي ، فنظرنا فاذا هو عبد القدوس) [4] ونقل عن ابن معين قوله فيه : (اذا لم يسم بقية شيخه وكناه فاعلم انه لا يساوي شيئا) [4] .

وهناك انواع للتدليس نذكر منها ما يلي :

---

(١) أي لسفيان .

(٢) انظر القصة في « تدريب الراوي » ص ١٤٠ .

(٣) « الباعث الحثيث » ٥٥ وانظر « شرح مسلم » للنووي ٣٣/١ فقد ذكر ما للتدليس من مخالفات ثم قال : (وبعض هذا يكفي في التحريم ، فكيف باجتماع هذه الامور ؟) .

(٤) « ميزان الاعتدال » ٣٣٧/١ وقد نقل مسلم في صحيحه قول ابن المبارك ١/ ٢٠ .

• تدليس التسوية : وهو أن يسقط غير شيخه لضعفه او صغره، فيصير الحديث ثقة عن ثقة .

• تدليس العطف : كأن يقول : (حدثنا فلان وفلان) وهو لم يسمع من الثاني المعطوف .

• تدليس السكوت : كأن يقول : (حدثنا) او (سمعت) ثم يسكت ، ثم يقول (هشام بن عروة) او (الاعمش) موهما أنه سمع منهما ، وليس كذلك [1] .

رأي العلماء فيه : وقد كره العلماء التدليس وذموه . ومن هؤلاء العلماء الشافعي وشعبة [2] وحماد بن زيد وابن المبارك .

ومن العلماء من جرح من عرف بالتدليس من الرواة وقال : لا تقبل روايته بحال ، بين السماع او لم يبين ، عنعن أو اتى بلفظ الاتصال [3] .

قال ابن الصلاح : (والصحيح التفصيل : وان مارواه المدلس بلفظ محتمل لم يبين فيه السماع والاتصال حكمه حكم المرسل وأنواعه [4] . وما رواه بلفظ مبين الاتصال نحو (سمعت) و (حدثنا)

---

(١) « الباعث الحثيث » ٥٥ وانظر « شرح مسلم » للنووي ٣٣/١ فقد ذكر ما في التدليس من مخالفات ثم قال : (وبعض هذا يكفي في التحريم ، فكيف باجتماع هذه الامور ؟) .

(٢) انظر اقوال شعبة وحماد وابن المبارك في ذم التدليس في « الكفاية » للخطيب البغدادي ص ٥٠٨ وما بعدها .

(٣) « علوم الحديث » ٦٧ .

(٤) اي يرد كما يرد المرسل لضعفه .

و (أخبرنا) وأشباهها فهو مقبول محتج به) [1] .

وقد ألف العلماء في التدليس : فمنهم الخطيب البغدادي الذي ألف كتاب « التبيين لاسماء المدلسين » ذكر أسماءهم ، وساق كثيرا من رواياتهم المدلسة [2] .

ومنهم ابن حجر الذي الف كتاب « تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس » [3] .

وكتاب « طبقات المدلسين » وهو مطبوع في المطبعة الحسينية في مصر سنة ١٣٢٢ هـ .

٥ ـ **المعلل** : هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته ، وان كان يبدو في الظاهر سليما من العلل [4] .

والمعلل من أغمض علوم الحديث وأدقها ـ كما يقول ابن حجر ـ ولا يقوم به الا من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا ، وحفظا واسعا ، ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالاسانيد والمتون [5] .

وهو فيما يبدو يعتمد على خبرة طويلة ودربة مستمرة في النظر في الاحاديث ، يتصف بها اولئك الجهابذة النقاد الكبار ، الذين يميزون بين صحيح الحديث وسقيمه . كما يميز الصيرفي البصير

---

(١) « علوم الحديث » ٦٧ .
(٢) انظر « الكفاية » ٥١٥ .
(٣) « الرسالة المستطرفة » ص ٢١١ .
(٤) « تدريب الراوي » ١٦١ .
(٥) « شرح النخبة » ٢١ .

بصناعته بين الزيوف والجيـــاد من الدنانير والفلوس ، قال ابن كثـــير بعد ان قرر هذا التشبيه [1] :

(ومنهم من يظن ، ومنهم من يقف . بحسب مراتب علومهـــم وحذقهم واطلاعهم على طرق الحديث وذوقهم حلاوة عبارة الرســـول صلى اللـــه عليه وسلم التي لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس . فمن الاحاديث المروية ما عليه أنوار النبوة ، ومنها ما وقع فيه تغيير لفظ ، او زيادة باطلة او مجازفة ، او نحو ذلك ، يدركها البصير من أهل هذه الصناعة . وقد يكون التعليل مستفادا من الاسناد) [2] .

ومما يتصل بهذا مارواه الحاكم ان رجلا سأل أبا زرعة [3] : ما الحجة في تعليلكم الحديث ؟

قال : الحجة ان تسألني عن حديث له علة فأذكر علته . ثم تقصد ابن وارة ــ يعني محمد بن مسلم ــ وتســـأله عنه ، ولا تخبره بأنك سألتني عنه ، فيذكر علته ، ثم تقصد ابا حاتم ، فيعلله . ثم تميز كلام كل منا على ذلك الحديث ، فان وجدت بيننا خلافا في علته فاعلم ان كلا منا تكلم على مراده ، وان وجـــدت الكلمة متفقة ، فاعلم حقيقة

---

(1) وذكر هذا التشبيه ايضا ابن حجر في « شرح النخبة » ٢١ فقال (وقد تقصـــر عبـــارة المعلـــل عن اقامة الحجة على دعواه كالصيرفي في نقد الدينار والدرهم) .

(2) « الباعث الحثيث » ٦٤ هـ .

(3) هو عبيد اللـــه بن عبد الكريم ، ابو زرعة الرازي ، الحافظ ، روى عنه الامام مسلم وغيره وقال فيه احمد : ماجاوز الجسر احفظ من ابي زرعة توفي سنة ٢٦٤ هـ .

العلم ، قال : ففعل الرجل ، فاتفقت كلمتهم عليه ، فقال : أشهد ان هذا العلم إلهام [1] .

ويبدو أن الرجل كان مرتابا في صحة التعليل ـ كما استظهر ذلك العلامة سعدي ياسين [2] ـ وظنه تحكما مجردا .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : معرفة الحديث إلهام فلو قلت للعالم يعلل الحديث : من أين قلت هذا ؟ لم يكن له حجة . ولذلك قال الحاكم : (وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل ، فان حديث المجروح ساقط واه . وعلة الحديث : يكثر في أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة ، فيخفى عليهم علمه ، فيصير الحديث معلولا ، والحجة فيه عندنا الحفظ والمعرفة لاغير) [3] .

والعلة عبارة عن معنى في الحديث خفي يقتضي ضعف الحديث ، مع أن ظاهره السلامة منها ، وتكون العلة تارة في المتن ، وتارة في الاسناد [4] .

وقد قرر العلماء أن الطريق الى معرفة العلل جمع طرق الحديث والفحص عنها بتفرد الراوي وبمخالفة غيره له والنظر في اختلاف رواة الحديث ، وفي ضبطهم واتقانهم ، فيقع في نفس العالم العارف بهذا الشأن أن الحديث معلول ويغلب على ظنه ذلك ، فيحكم بعدم صحته ، أو يتردد فيتوقف [5] .

---

(١) « معرفة علوم الحديث » ص ١١٣ .

(٢) «الايضاح في تاريخ الحديث وعلم الاصطلاح » ص١١٢ للعلامة الشيخ سعدي ياسين المتوفى في شهر ربيع الثاني من هذا العام ١٣٩٦ رحمه الله .

(٣) معرفة علوم الحديث »ص١١٢ وانظر «تدريب الراوي »ص١٦١

(٤) « شرح مسلم » ٤٧/١

(٥) « قواعد التحديث » ص ١١٢ و « الباعث الحثيث » ٦٥ـ٦٦

والعلة قد تكون بالإرسال في الموصول ، أو الوقف في المرفوع أو بدخول حديث في حديث ، أو بوهم واهم ، أو غير ذلك للعارف بهذا الشأن من جمع الطرق ومقارنتها ومن قرائن تنضم الى ذلك [1].

وأكثر ما تكون العلل في أسانيد الاحاديث فتقدح في الاسناد والمتن معا اذا ظهر منها ضعف الحديث وقد تقدح في الاسناد وحده اذا كان مرويا بإسناد آخر صحيح [2] .

وقد تقع العلة في متن الحديث [2] .

وقد ألف في العلل عدد من الأجلاء من أمثال علي بن المديني شيخ البخاري .[3] وابن أبي حاتم [4] والخلال ، والدارقطني وقد أثنى ابن كثير على كتابه فقال فيه : لم يسبق الى مثله ، وقد أعجز من يريد أن يأتي بعده [5] ومن هذه الكتب « العلل » للترمذي وهو مختصر . وذكر الاستاذ أحمد شاكر أن الكلام على علل الحديث مفرق في كتب كثيرة من أهمها : « نصب الراية » للزيلعي ، و « تلخيص الحبير » لابن حجر و « المحلى » لابن حزم ، و « فتح الباري » لابن حجر . و « نيل الأوطار » للشوكاني .

---

(١) « قواعد التحديث » ١١٢ و « الباعث » ٦٥ و « التدريب» ١٦٢

(٢) انظر الامثلة في « التدريب » ١٦٣ ومابعدها و « الباعث » ٦٥ وما بعدها .

(٣) وقد طبع كتابه في المكتب الاسلامي بدمشق بتحقيق محمد مصطفى الاعظمي .

(٤) وكتابه مطبوع في مصر في مجلدين .

(٥) « اختصار علوم الحديث » ٦٤ .

وهذا البحث مما يؤيد أن علماء الحديث عرفوا نقد المتن الى جانب ما اشتهروا به من نقد السند والله أعلم •

٦ ـ المضطرب :

هو الحديث الذي جاء على أوجه مختلفة في المتن أو في السند، من راوٍ واحد مرتين أو أكثر ، او من راويين أو رواة ، وتساوت الروايات وامتنع الترجيح ، فإن أمكن الترجيح لم يكن الحديث مضطربا •

واضطرابه موجب لضعفه لإشعاره بعدم الضبط [١] • إلا في حالة واحدة وهي : أن يقع الاختلاف في اسم راوٍ أو اسم أبيه أو نسبته مثلا ، ويكون الراوي ثقة فإنه يحكم للحديث بالصحة ولا يضر الاختلاف فيما ذكر • والاضطراب قد يكون في المتن فقط ، وقد يكون في السند فقط ، وقد يكون فيهما معا [٢] •

وقد ألف الحافظ ابن حجر كتابا عنوانه « المقترب في بيان المضطرب » •

٧ ـ المقلوب (٣) :

وهو ماوقع فيه تقديم أو تأخير ، أو تغييرا وتبديل وهما ، وهو إما أن يكون القلب فيه في المتن ، واما أن يكون في الإسناد [٤] :

---

(١) « التدريب » ص ١٦٩ •

(٢) انظر الامثلة على ذلك في « التدريب » للسيوطي ص ١٧٠ وفي « الباعث الحثيث » ص٧٢ وفي « الايضاح » لسعدي ياسين ص١٢٢

(٣) وهو غير المنقلب . وانظر « قواعد التحديث » ص١٠٧ وص١١٣

(٤) انظر « الباعث الحثيث » ص٨٨

مثال المقلوب في المتن :

ما رواه أحمد وابن خزيمة من حديث أنيسة مرفوعا : « إذاأذن ابن أم مكتوم فكلوا واشربوا ، وإذا أذن بلال فلاتأكلوا ولاتشربوا» والمشهور من حديث ابن عمر وعائشة : « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم »[1] . وكذلك فإنهم يضربون مثلا على المقلوب حديث أبي هريرة عند مسلم [2] . وفيه : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله » فهذا مما انقلب على بعض الرواة ، والصحيح الثابت عند البخاري وغيره من الأئمة : « حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » .

والقلب في الاسناد قد يكون خطأ من بعض الرواة في اسم راوٍ أو نسبه كأن يقول : كعب بن مرة ، بدل مرة بن كعب ، وقد ألف الخطيب في هذا الصنف كتابا سماه : « رفع الارتياب في المقلوب من الاسماء والانساب » [3] .

ويكون القلب بأن يؤخذ إسناد ومتن فيجعل على متن آخر ، وبالعكس وقد يقصد ، وذلك بأن يعمد بعض الوضاعين والضعفاء الى تبديل الإسناد بإسناد آخر ، وذلك بأن يكون الحديث مشهورا براوٍ أو إسناد . فيأتي بعض الضعفاء أو الوضاعين ويبدل الراوي بغيره ليرغب فيه المحدثون كأن يكون الحديث معروفا عن سالم بن عبد الله فيجعله عن نافع ، أو يبدل الاسناد باسناد آخر .

كما روى حماد بن عمرو النصيبي ــ الكذاب ــ عن الاعمش عن

---

(١) انظر الامثلة التي ذكرها الاستاذ احمد شاكر على هذا النوع من الحديث في « الباعث »ص٨٨ والامثلة التي أوردها السيوطي في « التدريب » ص١٩١ .

(٢) « صحيح مسلم » ٩٢/٣ .

(٣) « الباعث ص ٨٨ » .

أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا : « اذا لقيتم المشركين في طريق فلا تبدؤوهم بالسلام ..... » الحديث .

فهذا الحديث مقلوب قلبه حماد فجعله عن الاعمش ، وانما هو معروف عن سهيل بن صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة هكذا أخرجه مسلم .

وهذا الصنيع يطلق على فاعله أنه يسرق الحديث اذا قصد اليه .

وقد يقع هذا غلطاً من الراوي الثقة لا قصدا . مثاله الحديث الذي رواه جرير بن حازم عن ثابت عن أنس مرفوعا : « اذا أقيمت الصلاة فلا تقوموا حتى تروني » فهذا حديث انقلب اسناده على جرير وهو مشهور ليحيى بن ابي كثير عن عبد الله بن ابي قتادة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] .

قد يفعل اختبارا لحفظ الحديث كما حدث للبخاري في بغداد . فردها على وجوهها فأذعنوا بفضله [2] .

والقلب في الحديث يقضي بضعفه إلا في حالات قليلة نادرة [3] .

٨ ـ الشاذ :

هو الحديث الذي يرويه الثقة او المقبول مخالفا لمن هو أولى منه .

وأورد العبادي تعريفا للشاذ رواه يونس صاحب الشافعي عن الشافعي قال:ليس الشاذ من الحديث مايرويه الثقة ولايرويه غيره.ولكن الشاذ ما يرويه الثقة ويخالفه عمل الناس مثل حديث معاذ بن جبل في غزوة تبوك في الجمع بين الصلاتين [4] .

---

(١) «التدريب »ص١٩١ ـ ١٩٣
(٢) « التقريب » ١٩٢ و « الباعث » ٨٧ ـ ٨٨
(٣) « التدريب » ١٧٣
(٤) انظر « طبقات الشافعية » للعبادي ص١٦ و« الكفاية »ص٢٢٢

وأورد النووي هذا التعريف عن الشافعي كما يلي : الشاذ : ماروى الثقة مخالفا لرواية الناس لا أن يروي الثقة مالا يروي غيره [1] .

٩ ـ المنكر :

وهو الحديث الذي يرويه الضعيف مخالفا رواية الثقة .

والفرق بينه وبين الشاذ أن راوي الشاذ ثقة، وراوي المنكر ضعيف. ويتبين من ذلك أن الحديث المنكر شديد الضعف .

١٠ ـ المتروك :

وهو الحديث الذي رواه راوٍ واحد متهم بالكذب في الحديث، أو ظاهر الفسق بفعل أو قول ، أو كثير الغفلة ، أو كثير الوهم .

د ـ حجية الحديث الضعيف :

ـ لايحتج به في الأحكام ، وهذا موضع اتفاق بين العلماء .

ـ وأما العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال فهذا موضع خلاف بين أهل العلم .

ـ فقد ذهب جمهور العلماء الى جواز العمل بالحديث الضعيف اذا توافرت الشروط الآتية :

١ ـ ألا يكون ضعف الحديث شديدا .

٢ ـ أن يكون له أصل شاهد يندرج هذا الحديث تحته .

٣ ـ ألا يعتقد ثبوت ما فيه وإنما يعمل للاحتياط .

٤ ـ ألا يكون في الأحكام والعقائد .

ـ وهناك من الأئمة من ذهب الى أن الحديث الضعيف لايعمل به مطلقا لا في الأحكام ولا في فضائل الاعمال ومن هؤلاء العلماء يحيى بن معين (المتوفى ٢٣٣) ، والبخاري (المتوفى ٢٥٦) ، ومسلم (المتوفى ٢٦١) وابن حزم (المتوفى ٤٥٦) وقد عزا

---

(١) « تدريب الراوي » ص ١٤٦ .

بعضهم الى الامام أحمد والامام أبي داود رحمهما الله أنهما كانا يقولان بالعمل بالحديث الضعيف مطلقا وفي ذلك نظر ، لان مفهوم الحديث الضعيف كما استقر عليه الأمر عند المتأخرين من علماء المصطلح يختلف عما كان عليه عند المتقدمين من الأئمة، قال ابن تيمية:

(ومن نقل عن أحمد أنه كان يحتج بالحديث الضعيف الذي ليس بصحيح ولا حسن فقد غلط عليه ، ولكن كان في عرف أحمد بن حنبل ومن قبله من العلماء أن الحديث ينقسم الى نوعين: صحيح وضعيف ، والضعيف عندهم ينقسم الى ضعيف متروك لايحتج به ، والى ضعيف حسن) ...[1] .

وكنت قد نشرت مقالاً في مجلة « حضارة الاسلام » تعرضت فيه الى هذا الموضوع وقلت :

(وأحب أن أبدي وجهة نظر في هذا الموضوع وهي : أنني أرى أن هناك فرقا بين مايرتضيه المسلم احتياطا وورعا ، وبين ما يريد أن يدعو الناس اليه ، ليقيموا حياتهم على أساسه في زمان يستهدف فيه المسلمون من كل جانب .

ان التمييز بين الأمرين هو الذي يحتاج إليه الدعاة ، والتفريق بينهما مما تقتضيه مراعاة المنهج الرباني السامي الكريم الذي رسمه الاسلام للناس .

لقد رأينا أن من شروط جواز العمل بالحديث الضعيف الاحتياط وعدم اعتقاد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قاله ... إذن فالاحتياط

---

(١) « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ص٨٥ طبع القدس وقد سبق ان أوردنا مثل هذا النص عنه في مبحث الحديث الحسن .

هو الدافع الذي يحمل على العمل بالحديث الضعيف . ولذا فقد يبدو أنه مقبول أن يلتزم انسان طيب راغب في الثواب أن يلتزم بمضمون الحديث الضعيف احتياطا لنفسه لاحتمال أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قاله .

ولكن ليس له — في نظري — أن يدعو الناس الى ذلك لسببين :

١ — لأن الحديث الضعيف ليس بثابت ، بل الأغلب أنه ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف نلزم عباد الله بما لم يثبت لنا أنه مما شرعه الله .

٢ — ولأن قبول الناس للالتزام وأداء الواجبات محدود ، فلماذا لانصرف هم الناس الى العمل بما صح عنه صلى الله عليه وسلم وهو كثير ؟ .

وانطلاقا من هذا فان الحديث الذي يقول العلماء بضعفه نؤثر عدم إلزام الناس به وعدم روايته لهم ، إلا أن يحتاط من يأخذ نفسه بالقوة والعزم في أمور الدين ، فهذا له العمل به بالشروط التي ذكرها الجمهور .

قال العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الدواني الشافعي (المتوفى ٩١٨) :

(وفي العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال إشكال ، لأن جواز العمل واستحبابه كلاهما من الأحكام الشرعية الخمسة ، فاذا استحب العمل بمقتضى الحديث الضعيف كان ثبوته — أي ثبوت هذا الاستحباب — بالحديث الضعيف ، وهذا ينافي ما تقرر من عدم ثبوت الأحكام بالأحاديث الضعيفة) [١] .

---

(١) نقلا عن « قواعد التحديث » ص٩٩ .

والحق الذي يلاحظه الباحث في كتب الفقه أن أمر الاحتجاج بالضعيف لم يقتصر عند حد فضائل الأعمال ، وانما تجاوزها الى الأحكام ، ويدل على ذلك النظر في كتب أدلة الأحكام أو الكتب التي خرجت أحاديث كتب الفقه .

قال النووي : (.. وعلى كل حال فان الأئمة لايروون عن الضعفاء شيئا يحتجون به على انفراده في الأحكام ، فان هذا لا يفعله إمام من أئمة المحدثين . ولا محقق من غيرهم من العلماء ، وأما فعل كثيرين من الفقهاء أو أكثرهم ذلك ـ أي الاحتجاج بالضعيف في الأحكام ـ واعتمادهم عليه : فليس بصواب ، بل قبيح جدا . وذلك لأنه ان كان يعرف ضعفه لم يحل له أن يحتج به ، فانهم متفقون على أنه لايحتج بالضعيف في الأحكام ، وان كان لا يعرف ضعفه لم يحل له أن يهجم على الاحتجاج به من غير بحث عليه بالتفتيش عنه إن كان عارفا ، أو بسؤال أهل العلم به ان لم يكن عارفا والله أعلم .)

ومما يدل على أنه ينبغي العمل بالحديث الضعيف ماجاء عن الخطيب البغدادي في « الكفاية » إذ يعد عمل الراوي بالخبر الذي يرويه من ليس عدلا سببا يسقط العدالة . قال رحمه الله : (ولو عمل العالم بخبر من ليس هو عنده عدلا لم يكن عدلا يجوز الأخذ بقوله والرجوع الى تعديله . لأنه اذا احتملت أمانته أن يعمل بخبر من ليس بعدل عنده احتملت أمانته أن يزكي ويعدل من ليس بعدل)[1] .

---

(١) « الكفاية » ص ١٥٥

ملاحظات :

١ ـ لايليق أن يستعمل الراوي صيغة الجزم في الحديث الضعيف ، فلا ينبغي له أن يقول (قال رسول الله) أو (فعل ...) أو (أمر ...) أو (نهى ...) وشبه ذلك من صيغ الجزم ، بل يقول :

(رُوي عنه كذا) أو (جاء عنه كذا) أو (يروى) أو (يذكر) أو (يحكى) أو (بلغنا عنه كذا) وما أشبهه [1] .

٢ ـ من رأى حديثا بإسناد ضعيف فله أن يقول : (ضعيف بهذا الاسناد) فقد يكون له إسناد آخر صحيح .

٣ ـ لا يتصدى للجواب عن الحديث المشكل إلا اذا كان صحيحا . أما إذا كان ضعيفا . فلا حاجة للجواب .

٤ ـ لماذا يروي بعض الأئمة الحديث الضعيف ؟

وقد اجاب النووي عن ذلك بأجوبة نوجزها بتصرف فيما يلي :

أحدها : أنهم رووها ليعرفوها ، وليبينوا ضعفها .

والثاني : أن الضعيف يكتب حديثه ليعتبر أو يستشهد .

الثالث : أن الراوي الضعيف قد يكون في روايته الصحيح ،ويميز أهل الحديث بعض ذلك من بعض .

الرابع : أنهم قد يروون عنهم أحاديث الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ونحو ذلك مما لا يتعلق بالأحكام والعقائد ، وهذا الضرب من الحديث مما يتساهل فيه بعضهم كما رأينا . والله أعلم .

---

(١) « قواعد التحديث » ١٩٤ ـ ١٩٥ نقلا عن « شرح المهذب » للنووي و « شرح مسلم » له أيضا .

الفصل التاسع

الأنواع المشتركة بين الصحيح والحسن والضعيف

هناك أنواع عرفت عند المحدثين بمصطلحات معينة تطلق عليها . ولايدل هذا الاسم الاصطلاحي على تصحيح أو تحسين أو تضعيف ، وهذا مانعنيه بالأنواع المشتركة ، فقولهم (حديث مرفوع) مثلا لايدل على تحسين ولاتصحيح ولاتضعيف ، اذ قد يكون الحديث المرفوع حسنا وقد يكون صحيحا وقد يكون ضعيفاً .

وهذه الأنواع المشتركة كثيرة وسنذكرأهمها بإيجاز بالغ فيمايأتي:

١ ـ الآحادي :

ويسمى أيضا : خبر الواحد ، وهو : الخبر الذي لم توجد فيه شروط المتواتر،أي:هو الخبرالذي لم تبلغ نقلته فيالكثرة مبلغ التواتر ، سواء كان المخبر واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة ... الى غير ذلك من الاعداد التي لا تشعر بأن الخبر دخل في حيز المتواتر[١] .

---

(١) « قواعد التحديث » ١٢٩ و « توجيه النظر » ٣٣ .

وهو قسيم المتواتر كما هو واضح من التعريف ، اذن كل ماعدا المتواتر فهو آحاد .

ومن أقسامه : المشهور والعزيز والغريب ، وسنتحدث عنها في هذا الفصل .

حجيته :

حديث الآحاد حجة ، يجب العمل به إذا صح ، وعلى هذا جمهور المسلمين ، وقد خالف في ذلك القدرية والرافضة وبعض أهل الظاهر

وقد تكلم الشافعي ، رحمه الله ، في « الرسالة » كلاما طويلا في ذلك ، كما ناقش الخطيب البغدادي منكري الأخذ بخبر الواحد مناقشة جيدة رائعه[1].

وذكر بعض الدلائل على صحة العمل بخبر الواحد ووجوبه [2].
وذكر ما يقبل فيه خبر الواحد وما لايقبل فيه [3] .
وكذلك فقد أجاد النووي في بحث ذلك[4] فقال :

(وقد تظاهرت دلائل النصوص الشرعية والحجج العقلية على وجوب العمل بخبر الواحد . وقد قرر العلماء في كتب الفقه والأصول ذلك بدلائله ، وأبلغوه أبلغ إيضاح ، وصنف جماعات من أهل الحديث وغيرهم مصنفات مستكثرات في خبر الواحد ووجوب العمل به . والله أعلم) .

---

(١) انظر « الكفاية » ط مصر ٥٣ .
(٢) انظر « الكفاية » ط مصر ٦٦ .
(٣) « الكفاية » ط مصر ٦٠٥ ــ ٦٠٦ .
(٤) انظر « شرح مسلم » ١/٦٢ و ١٣١ ــ ١٣٢ وانظر في الاحتجاج بحديث الآحاد « فتح الباري » ١٣ /٢٣١ و « قواعد التحديث » ١٢٩ وكتب أصول الفقه .

٢ ـ المرفوع :

وهو ما أضيف الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة من قول أو فعل أو تقرير ، سواء أأضافه إليه صحابي أم تابعي أم من بعدهما . وسواء اتصل إسناده أم لم يتصل [١] كقول أبي هريرة : سمعت رسول الله يقول كذا . قال ابن حجر : ومن اصطلاح أهل الحديث اذا قال الراوي : (ينميه) فمراده يرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ولو لم يقيده [٢]. ويعد العلماء قول الصحابي (أمر رسول الله كذا ونهى عن كذا) من الحديث المرفوع . وكذلك قوله (أمرنا بكذا ونهينا عن كذا) من الحديث المرفوع [٣] .

وكذلك قول الصحابي (من السنة كذا) كما جاء في « فتح الباري »:

(فقال عمر : ان من السنة الأخذ بالركب) وعلق ابن حجر على هذه الجملة بقوله (وهذا أيضا حكمه حكم الرفع ؛ لأن الصحابي اذا قال السنة كذا ، أو سن كذا ، كان الظاهر انصراف ذلك الى سنة النبي صلى الله عليه وسلم) [٤] .

وكذلك قول الصحابي (كنا نؤمر) كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي موسى في قصة استئذانه على عمر ثلاثا ورجوعه، لانشغال عمر عن الإذن له ، فلما فرغ قال :

ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ إيذنوا له .

قالوا : قد رجع . قال أبو موسى : فدعاني . فقلت : كنا نؤمر

---

(١) « قواعد التحديث » ١٠٤
(٢) « فتح الباري » ٢/٢٢٥
(٣) « الكفاية » ٥٩١ ـ ٥٩٢ و « تدريب الراوي » ١١٢
(٤) « فتح الباري ٢/٢٧٤ وانظر خلاف العلماء في ذلك ، « شرح النخبة » ص ٢٧ ـ ٢٨ .

بذلك . فقال : تأتيني على ذلك بالبينة ، فانطلقت الى مجلس الانصار [1] ... الخ

وكذلك قول الصحابي (كنا نفعل كذا في حياة النبي) أو (كنا لانرى بأسا بكذا ورسول الله فينا) أو (كان يقال كذا و كذا على عهده) فهو من المرفوع [2] . وقال ابن الصلاح :

(ان لم يضفه الصحابي الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل الموقوف و ان أضافه الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من قبيل المرفوع) [3] . وكذلك ما يرويه الصحابي من أسباب النزول فانه مرفوع [4] وكذلك فقد عدوا من المرفوع أن يحكم الصحابي على فعل بأنه طاعة أو معصية كقول عمار : « من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم » فلهذا حكم الرفع [5] .

٣ ـ المسند :

وهو ما اتصل إسناده من راويه الى منتهاه . وأكثر ما يستعمل مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم [6] ، دون ما جاء عن الصحابة وغيرهم (٧) .

---

(١) « قواعد التحديث » ١٢٧ .
(٢) « علوم الحديث » ٤٣ـ٤٤ و « شرح مسلم » ١/٣٠
(٣) « علوم الحديث » ٤٣
(٤) « معرفة علوم الحديث » ص٢٠ وانظر « مقدمة التفسير » لابن تيمية ٤٨
(٥) «شرح النخبة » ٢٨
(٦) « قواعد التحديث » ١٠٤ و « التدريب » ١٠٧
(٧) « علوم الحديث »لابن الصلاح ص٣٩ و «معرفة علوم الحديث» للحاكم ص ١٧

٤ ـ المتصل :

ويسمى الموصول وهو ما اتصل سنده سواء أكان مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم أم موقوفا على الصحابي أو من دونه [١] .

قال ابن الصلاح : مثال المتصل المرفوع من « الموطأ » : مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثال المتصل الموقوف : مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر [٢].

٥ ـ الموقوف :

ماروي عن الصحابي من قول أو فعل أو تقرير ، ويكون منه الصحيح والحسن والضعيف ، وليس من شك في أن صحة الموقوف لا توجب العمل به ، بل يمكننا أن نبحث في امكانية العمل بما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه . قال ابن حزم (.. فمن المسلمين من يأخذ بهذا ، ومنهم من لايأخذبه ، ونحن لا نأخذ به أصلا ، لأنه لاحجة في فعل أحد دون من أمرنا الله تعالى باتباعه ، وأرسله إلينا ببيان دينه ، ولايخلو فاضل من وهم ، ولاحجة فيمن يهم ، ولا يأتي الوحي ببيان وهمه)[٣].

واذا أطلق الموقوف دل على أنه موقوف على الصحابة .

ويستعمل في غيرهم مقيداً ، فيقال : وقفه فلان على الزهري مثلا .

وهو الذي يسميه كثير من الفقهاء الخراسانيين أثر ويبدو أن هذه التسمية قد شاعت مؤخرا ، وقد سبق ذكر ذلك في فصل التعريف بالأثر .

---

(١) « قواعد التحديث » ١٠٤ و « الباعث الحثيث » ص ٤٥

(٢) « علوم الحديث » ٤٠

(٣) « الفصل » ٢/٨٤

٦ ـ المقطوع :

وهو ماروي عن التابعي من قول أو فعل أو تقرير ، وجمعه المقاطع والمقاطيع .

قال الزركشي في (النكت) :

إدخال المقطوع في أنواع الحديث فيه تسامح كبير ، فان أقوال التابعين ومذاهبهم لا دخل لها في الحديث ، فكيف تعد نوعا منه ؟ نعم يجيء هنا ما في الموقوف من أنه اذا كان لا مجال للاجتهاد فيه يكون في حكم المرفوع ، وبه صرح ابن العربي ، وادعى أنه مذهب مالك (١) .

ومن مظان الحديث المقطوع « تفسير ابن جرير الطبري » (٢) . ومصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة (٣) .

٧ ـ المعنعن :

وهو ما يقال في سنده : (عن فلان ، عن فلان) من غير تصريح بالتحديث والسماع .

قال الخطيب : (وانما استجاز كتبة الحديث الاقتصار على العنعنة لكثرة تكرارها ولحاجتهم الى كتب الاحاديث المحملة باسناد واحد ، فتكرار القول من المحدث : « ثنا فلان عن سماعه من فلان » يشق ويصعب ، لانه لو قال : « احدثكم عن سماعي من فلان »

---

(١) « قواعد التحديث » ١١١ .

(٢) انظر ما كتبته عن هذا التفسير في كتابي « لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير » ص ١٨٤ .

(٣) « تدريب الراوي » ١١٧ .

و « روى فلان عن سماعه من فلان ، وفلان عن سماعه من فلان » حتى يأتي على أسماء جميع مسندي الخبر الى ان يرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي كل حديث يرد مثل ذلك الاسناد ، لطال وأضجر .

وربما كثر رجال الاسناد حتى يبلغوا عشرة وزيادة على ذلك ، وفيه اضرار بكتبة الحديث وخاصة المقلين منهم والحاملين لاحديثهم في الاسفار . ويذهب بذكر ما مثلناه مدة من الزمان ، فساغ لهم لاجل هذه الضرورة استعمال « عن فلان » [1] .

ويعد الحديث المعنعن متصلا اذا توافر فيه شرطان هما :

١ ــ براءة الرواة من التدليس .

٢ ــ ثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه ، أو امكان لقائه له [2] .

والمعنعن كثير في الصحيحين وغيرهما . وقد زعم بعضهم ان المعنعن مرسل حتى يتبين اتصاله ، والجمهور على أنه متصل اذا توافر الشرطان المذكوران .

وفي اشتراط ثبوت اللقاء بين الراوي وشيخه خلاف بين العلماء :

فمنهم من لم يكتف بامكان اللقاء والمعاصرة بل طالب بثبوت اللقاء بينهما واجتماعهما ولو مرة واحدة ومن هؤلاء العلماء البخاري وابن المديني . وهذا الرأي هو المختار الصحيح الذي عليه أئمة هذا الفن كما يقول النووي [3] .

---

(١) « الكفاية » ٥٥٣ ــ ٥٥٤ .
(٢) « شرح مسلم » ١/١٢٧ ــ ١٢٩ و «الكفاية» ٤٢١ ــ ٤٢٢ .
(٣) « شرح مسلم » ١/١٢٨ .

• ومنهم من اكتفى بامكان اللقاء والمعاصرة كالإمام مسلم الذي أيد مذهبه بقوه وتوسع في الدفاع عنه في مقدمة صحيحه [١] ، وادعى الاجماع فيه •

• ومنهم من اشترط — مع ثبوت اجتماع الراوي وشيخه — طوال صحبة الراوي لمن روى عنه ، كأبي المظفر السمعاني الفقيه الشافعي [٢] •

٨ ـ : المؤنن ويدعى ايضا بالمؤنأن :

وهو ما يقال في سنده : حدثنا فلان أن فلانا •

وقد حاول بعضهم أن يحمله على الانقطاع حتى يتبين السماع ، والصواب : أنه متصل ان توافر الشرطان المذكوران في المعنعن وهما : ثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه أو امكان لقائه له ، وبراءة الرواة من التدليس [٣] •

٩ ـ المعلق :

هو ما حذف من مبدإ اسناده واحد فأكثر على التوالي ، ويعزى الحديث الى من فوق المحذوف من رواته ، وهو في البخاري كثير ، وقالوا في سبب التسمية : إنه مأخوذ من تعليق الجدار والطلاق لاشتراكهما في قطع الاتصال [٣] وهو مشترك بين الصحيح والحسن والضعيف وسيمر بنا تفصيل هذا البحث عند كلامنا على صحيح البخاري •

---

(١) « صحيح مسلم » ١/٢٢ ـ ٢٣ و « تدريب الراوي » ١٣٣ •
(٢) « تدريب الراوي » ص ١٣٤ .
(٣) « قواعد التحديث » ١٠٥ .

١٠ ــ الفرد :

هـو الحـديث الـذي انفـرد بـه راو واحد وان تعـددت الطرق اليه [١] وجمعه أفراد ، والفرد قسمان :

١ ــ فرد مطلق : وهو ما تفرد به راويه عن كل احد من الثقـات وغيرهم ، بأن لم يروه أحد من الرواة مطلقا الا هو .

٢ ــ وفرد نسبي : وهو ما تفرد به ثقة بأن لم يروه أحد من الثقات الا هو ، أو تفـرد به اهل بلد بأن لم يروه الا أهل بلـده ، أو تفرد به راويه عن راو مخصوص بأن لم يروه عن فلان الا فلان وان كان مرويا من وجوه أخرى .

قال ابن كثير : وللحافظ الدارقطني كتاب في « الأفـراد » في مائة جزء ولم يسبق الى نظيره ، وقد جمعه الحافظ محمد بن طاهر في أطراف رتبه فيها [٢] .

١١ ــ الغريب :

الـذي ينفـرد بروايتـه شـخص واحـد فـي أي موضـع وقـع التفرد بـه من السند ، وقد يكـون هذا الشخص ثقة وقـد يكون ضعيفا ، ولكل حكمه . والغالب على الغريب الضعف ، ومن هنا حذر بعض العلماء من رواية الغريب . قال أحمد بن حنبل : لاتكتبوا هذه الاحاديث الغرائب فانها مناكير عامتها عن الضعفاء وقال مالك : شر العلم الغريب ، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس [٣] . قال

---

(١) « شرح النخبة » ص ٨ .
(٢) « الباعث الحثيث » ص ٦١ و « التدريب » ص ١٥٩ .
(٣) « تدريب الراوي » ٣٧٦ .

أبو داود في « رسالته الى اهل مكة » : [فانه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحيى بن سعيد والثقات من ائمة العلم ، ولو احتج رجل بحديث غريب وجدت من يطعن فيه ... وقال ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون الغريب من الحديث ، وقال يزيد بن ابي حبيب : اذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة ، فان عرف والا فدعه] [1] .

وقال ابو يوسف : من طلب غرائب الحديث كذب [2] والغرابة قد تكون في المتن وذلك بأن يتفرد بروايته راو واحد ، وقد تكون في الاسناد كما اذا كان أصل الحديث محفوظا من وجه آخر أو وجوه ولكنه بهذا الاسناد غريب [3] .

١٢ ــ العزيز :

هو الذي يرويه جماعة عن جماعة غير أن عددها في بعض الطبقات يكون اثنين فقط [4] .

وينفرد عن الغريب بكونه لا يرويه اقل من اثنين عن اثنين بخلاف الغريب [5] .

وسمي عزيزا لقلة وجوده ، أو لكونه قوي بمجيئه من طريق أخرى [6] .

---

(١) « رسالة ابي داود » بتحقيقنا ٢٩ ــ ٣٠ .
(٢) « تذكرة الحفاظ » ٥٩٣/١ .
(٣) « الباعث الحثيث » ص ١٦٧ .
(٤) « توجيه النظر » ص ٣٦ .
(٥) « قواعد التحديث » ص ١٠٦ .
(٦) « قواعد التحديث » ص ١٠٦ .

١٣ ـ المشهور :

هو خبر جماعة لم يبلغوا في الكثرة جماعة التواتر أو هو ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين [١] اذ ان اقل ما تثبت به الشهرة ثلاثة [٢] .

ومن المشهور ما يكون صحيحا ، ومنه ما يكون حسنا ، ومنه ما يكون ضعيفا . ومثل علماء المصطلح للصحيح المشهور بالحديث : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه ... » . ومثلوا للحسن المشهور بالحديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » . ومثلوا للضعيف المشهور بالحديث : « الأذنان من الرأس » [٣] .

١٤ ـ المستفيض :

هو المشهور . على رأي جماعة وهو على رأي آخرين الحديث الذي روته الجماعة وكان في ابتدائه وانتهائه سواء [٤] .

١٥ ـ المتابع (بكسر الباء) :

هناك نوعان من الحديث متشابهان هما المتابع والشاهد .

والمتابع قريب من الشاهد . والفرق بينهما أن الشاهد أعم من المتابع . فالشاهد يشهد للفظ والمعنى كليهما تارة . وللمعنى وحده تارة أخرى . على حين تختص المتابعة باللفظ ولا تتعداه الى المعنى [٥] .

---

(١) « شرح النخبة » ٤ ـ ٥ و « قواعد التحديث » ص ١٠٥ .
(٢) « توجيه النظر » ص ٣٦ .
(٣) « التدريب » ص ٣٦٩ .
(٤) « شرح النخبة » ص ٥ و قواعد التحديث » ص ١٠٦ .
(٥) « التدريب » ص ٨٥ .

فالمتابع : هو ما وافق راويه راو آخر ممن يصلح أن يخرج حديثه ، فرواه عن شيخه أو من فوقه بلفظ مقارب [1] ، ويقال للمتابع : التابع .

والمتابع على قسمين : تام وقاصر .

فالمتابع التام : ما جاءت المتابعة فيه للراوي نفسه .

والمتابع القاصر : ما كانت المتابعة فيه لشيخ الراوي فمن فوقه .

واليك مثالين عن المتابعة التامة والقاصرة :

مثال المتابعة التامة : ما رواه الشافعي في « الام » عن مالك ، عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الشهر تسع وعشرون ، فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » .

فهذا الحديث بهذا اللفظ ظن قوم أن الشافعي تفرد به عن مالك ، فعدوه في غرائبه ، لان أصحاب مالك رووه عنه بهذا الاسناد بلفظ :

« فان غم عليكم فاقدروا له »

قال ابن حجر : لكن وجدنا للشافعي متابعا وهو عبد الله بن سلمة القعنبي ، كذلك أخرجه البخاري عنه عن مالك ، وهذه متابعة تامة .

• ومثال المتابعة القاصرة : قال ابن حجر : ووجدنا له ـ أي للحديث السابق :« فان غم .... » ـ متابعة قاصرة في « صحيح ابن

---

(١) « قواعد التحديث » ص ١٠٩ .

خزيمة » [1] من رواية عاصم بن محمد عن أبيه محمد بن زيد ، عن جده عبد الله بن عمر بلفظ : « فكملوا ثلاثين » وفي صحيح مسلم من رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر بلفظ : « فاقدروا ثلاثين » [2] .

١٦ ـ الشاهد :

قال ابن حجر في تعريفه : (ما وافق راو رأويه عن صحابي آخر بمتن يشبهه في اللفظ والمعنى جميعا او في المعنى فقط) [3] .

أي : هو حديث يساوي حديثا آخر في اللفظ والمعنى او يشبهه في المعنى فقط والصحابي غير واحد وقال : « وقد تطلق المتابعة على الشاهد وبالعكس » وقال العلامة الجزائري :

(قال بعضهم : قد يطلق المتابع على الشاهد ، والشاهد على المتابع ، والخطب في ذلك سهل ، إذ المقصود الذي هو التقوية حاصل لكل منهما ، فاذا قامت قرينة تدل على المقصود لم يكن في ذلك بأس ، غير ان الغالب استعمال كل منهما في معناه الذي يسبق الى الذهن)[4].

١٧ ـ المدرج :

هو ما كانت فيه زيادة ليست منه [5] والمدرج أقسام :

---

(١) انظر « صحيح ابن خزيمة » ٢٠٢/٣ وفيه : (فأكملوا ثلاثين) .
(٢) « شرح النخبة » ص ٥ .
(٣) « شرح النخبة » ص ١٤ .
(٤) « توجيه النظر » ص ٢١٢ .
(٥) « الباعث الحثيث » ص ٧٣ .

١ ـ مدرج في حديث النبي صلى اللـه عليه وسلم بأن يذكر الراوي كلاما لنفسه أو لغيره فيرويه متصلا بالحديث من غير فصـل فيتوهم انه من الحديث . وقد يكون الادراج في آخر الحديث وهو الغالب المشهور ولذا اقتصر عليه ابن الصلاح ، وقد يكون في أول الحديث وهو نادر ، وقد يكون في أثناء الحديث وهو كثـير .

٢ ـ أن يكون عنده متنان باسنادين فيرويهما باحدهما .

٣ ـ أن يسمع حديثا من جماعة مختلفين في اسناده او متنه ، فيرويه عنهم باتفاق ، ولا يبين ما اختلف فيه [١] .

حكمـه :

تعمده حرام ، ومن يفعل ذلك يلحق بالكذابين ، اما اذا أدرج الراوي لتفسير الغريب فلا مانع منه ، وقد فعله الزهري وغيره .

عـلامتـه :

لا يسوغ الحكم بالادراج الا اذا وجد ما يدل عليه .

ويدرك ذلك بوروده منفصلا في رواية أخرى ، فاذا اقتصر بعض الرواة على الاصل دل ذلك على أن الزائد مدرج أو بالتنصيص على ذلك من الراوي أو بعض الائمة المطلعين كما لو نسب راو الزيـادة أو باستحالة كونه صلى اللـه عليه وسلم يقول ذلك .

كقول ابي هريرة في حديث : « للعبد المملوك اجران » ، والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل اللـه وبر أمي لأحببت أن اموت وانا مملوك .

---

(١) « قواعد التحديث » ص ١٠٥ .

والادراج لا يثبت بالاحتمال [1] .

امثلة على المدرج :

١ ــ مثال على الادراج في آخر الحديث : ما رواه أبو داود : حدثنا عبد اللـه بن محمد النفيلي : حدثنا زهير بن معاوية عن الحسن ابن الحر عن القاسم بن مخيمرة قال :

أخذ علقمة بيدي وحدثني ان عبد اللـه بن مسعود اخذ بيده وان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم اخذ بيد عبد اللـه فعلمه التشـهد في الصـلاة وقال : « قـل : التحيات للـه والصلوات ... » فذكر التشهد .

قال : فاذا قلت هذا فقد قضيت صلاتك . ان شئت ان تقـوم فقم ، وان شئت أن تقعد فاقعد [2] . هكذا رواه جماعة عـن زهير وغيره عن الحسن بن الحر .

وقوله : (اذا قلت هذا) مدرج في الحديث من كلام عبد اللـه ابن مسعود وقد رواه شبابة بن سوار عن ابن مسعود ففصله ، وبين انه من قول عبد اللـه فقال : قال عبد اللـه : فاذا قلت ذالك فقد قضيت ما عليك من الصلاة فان شئت ان تقوم فقم وان شـئت أن تقعـد فـاقعـد . رواه الدارقطنـي ، وقـال : شـبابة ثقة ، وقـد فصل آخـر الحديث وجعله من قـول ابن مسعود ، وهو أصح من رواية من أدرج .

مثال على الادراج في أول الحديث ما روى شبابة بن سـوار وغيره عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة أنه قال :

---

(١) « فتح الباري » ٩٦/٣ .

(٢) « التدريب » ص ١٧٣ وانظر « توجيه النظر » ص ١٧١ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسبغوا الوضوء . ويل للاعقاب من النار » .

فقوله : (اسبغوا الوضوء) من قول ابي هريرة ، ادرج في الحديث في أوله ، ويدل على الادراج ما رواه البخاري عن آدم بن ابي إياس عن شعبة عن محمد بن زياد عن ابي هريرة انه قال : اسبغوا الوضوء فان أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال : « ويل للاعقاب من النار » .

وقد رواه بعضهم مقتصرا على المرفوع .

١٨ ـ المسلسل :

ما تتابع رجال اسناده على حالة واحدة ، أو صفة واحدة للرواة تارة وللرواية تارة أخرى .

اما في الراوي فقد يكون التسلسل قولا نحو (سمعت فلانا يقول) . او فعلا كحديث : التشبيك باليد . او قولا وفعلا كحديث : « لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره » وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لحيته وقال : « آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره » [١] .

وأما التتابع على صفة واحدة : فكاتفاق اسماء الرواة كالمحمدين ، أو صفاتهم كالفقهاء ، أو نسبهتم كالدمشقيين .

وقد يتسلسل الحديث من أوله الى آخره وقد ينقطع التسلسل من أوله ، ثم يتسلسل ، أو يتسلسل من أوله ، ثم ينقطع من آخره .

قال ابن كثير : وفائدته بعده من التدليس والانقطاع . ومع هذا قلما يصح حديث بطريق مسلسل أي يكون الضعف في وصف

---

(١) انظر « معرفة علوم الحديث » ٣٠ ـ ٣٤ ففيه أمثلة عديدة .

التسلسل لا في أصل المتن، لأنه قد صحت متون أحاديث كثيرة ولم تصح رواياتها بالتسلسل .

وهناك كتب ألفت في الحديث المسلسل فقط [1] .

أما عددها فقد ذكر الكتاني في « رسالته » أن مجموع الاحاديث المسلسلة يزيد على أربعمائة [2] .

١٩ ـ المصحف :

٢٠ ـ المحرف :

هناك من يسوي بين هذين المصطلحين : المحرف ، والمصحف ، اذ في كل منهما يقع الخطأ ، وعلى هذا جمهور العلماء والمتقدمون من المحدثين .

وقد فرق الحافظ ابن حجر بينهما [3] فقرر :

١ ـ أن ماكان فيه تغيير حرف أو حروف بسبب تغير النقط مع بقاء صورة الخط سمي مصحفا .. مثل : « من صام رمضان وأتبعه شيئا من شوال ... » (شيئا) صوابها (ستا) .

والتصحيف يكون في الاسناد ، ويكون في المتن .

ومن التصحيف في المتن الحديث المتقدم « وأتبعه شيئا من شوال » والحديث الآتي : « احتجر النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١) أقرأ بعض أسمائها في « الرسالة المستطرفة » للكتاني من ص٨١ الى ص ٨٥ .

(٢) « الرسالة المستطرفة » ص ٨٥

(٣) « شرح النخبة » ٢٢ .

المسجد » أي : اتخذ حجرة • صحفه بعضهم « احتجم » [1] وقد مر معنا هذا الحديث في باب الوجادة .

• ومن التصحيف في الاسناد قولهم « العوام ابن مراجم » بالراء والجيم . صحفه بعض الثقات فقال : « مزاحم » بالزاي والحاء [2] •

وهذان القسمان من تصحيف اللفظ . وقد يكون التصحيف في المعنى كقول محمد بن المثنى العنزي :

(نحن قوم لنا شرف ؛ نحن من عنزة . صلى الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم) فتوهم أنه صلى الى قبيلتهم . وإنما العنزة هنا الحربة تنصب بين يديه صلى الله عليه وسلم [2] .

٢ ــ وماكان فيه التغيير في الشكل سمي محرّفاً [3] ، مثل حديث جابر : « رمي أبي يوم الاحزاب على أكحله فكواه رسول الله صلى الله عليه وسلم »

صحفه غندر وقال فيه « أبي » بفتح الهمزة وبالاضافة •

والصواب (أبي) بضم الهمزة وتشديد الياء وهو أُبّي بن كعب•

وأبو جابر كان قد استشهد قبل ذلك بأحد [4] •

ومثل حديث رواه مسلم في مقدمة « صحيحه » (••• قال شبابة وسمعت عبد القدوس يقول : نهى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) « التمييز » للامام مسلم ص ١٤٠ و « علوم الحديث » لابن الصلاح ٢٥٣ وانظر الحديث في « صحيح مسلم » ١٨٨/٢ و « صحيح البخاري » ١٢١/١ .

(٢) « علوم الحديث » ٢٥٢ و « قواعد التحديث » ١٠٧ .

(٣) « شرح النخبة » ٢٢

(٤) « علوم الحديث » ٢٥٣ و « حاشية لقط الدرر شرح نخبة الفكر » للعدوي ص ٩٥ وانظر الحديث في « صحيح مسلم » ٢٢/٧

وسلم أن يتخذ الروح غرضاً . فقيل : أي شيء هـذا ؟ قال : يعني تتخذ كوة في حائط ليدخل عليه الروح) [١] .

ومعنى الرَّوح النسيم وهو تحريف قبيح وصوابه(الرُّوح) بضم الراء . و (غَرَضاً) بالغين والراء المفتوحتين ومعناه : نهـى أن يتخذ الحيوان الذي فيه الروح هدفاً للرمي

وقد ألف أبو أحمد العسكري كتابا في ذلك سماه « التصحيف والتحريف » [٢] .

وذكر ابن حجر أن الدار قطني ألف في ذلك كتابا أيضا[٣] .

---

(١) « صحيح مسلم » ١٩/١ وانظر « التمييز » له ص ١٢٥ .

(٢) وأبو أحمد هو استاذ أبي هلال العسكري ، وقد حقـق هذا الكتاب الاستاذ عبد العزيز احمد ونشره في مكتبة مصطفى البابـي الحلبي وأولاده ١٣٨٣ هـ أي ١٩٦٣ م .

(٣) « شرح النخبة » ٢٢ .

الفصل العاشر

ألقابُ عُلمَاء الحَديث

علماء الحديث على مراتب ، يتفاوتون في المعرفة والحفظ والدراية، وقد درج المختصون على التفريق بين هذه المراتب بالالقاب الآتية :

١ ـ أمير المؤمنين في الحديث :

وهذا اللقب أعلاها ويكون حامله في الذروة من علماء الحديث ، وكأن هذا اللقب مأخوذ من الحديث الواهي الذي رواه الطبراني وهو: « اللهم أرحم خلفائي » قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون من بعدي ، يروون أحاديثي ويعلمونها الناس » (١) .

وقد لقب به الافذاذ الاعلام الذين هم أئمة هذا العلم من أمثال شعبة بن الحجاج ،وسفيان الثوري ، واسحاق بن راهويه ، وأحمد

---

(١) ويبدو ان الحديث باطل ، كما قال الذهبي في «الميزان» ١/١٢٧ بسبب راويه احمد بن عيسى ابي طاهر العلوي الهاشمي. وقال الطبراني : تفرد به أحمد هذا ، وجرحه الدارقطني بانه كذاب فيض القدير ٢/١٤٩ و « قواعد التحديث » ١٩

ابن حنبل ويحيى بن معين ، والبخاري ، ومسلم ، والدارقطني ، وابن حجر العسقلاني وأمثالهم من العمالقة الكبار .

٢ ـ الحافظ

وهذا اللقب يلي لقب أمير المؤمنين في الحديث ، ويجب فيمن يمنحه أن يكون واسع الاطلاع على الاحاديث رواية ودراية ، وعارفا للرواة ، وواقفا على أحوال شيوخه ، وشيوخ شيوخه ، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله .

٣ ـ المحدث :

حدد السبكي مدلول من تطلق عليه هذه الكلمة فقال : (انما المحدث من عرف الاسانيد ، والعلل ،وأسماء الرجال) والعالي والنازل ، وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب الستة ومسند أحمد ، وسنن البيهقي ، ومعجم الطبراني ،وضم الى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية .هذا أقل درجاته) [١] .

وعرفه ابن سيد الناس فقال :

(المحدث : من اشتغل بالحديث رواية ودراية ، وجمع رواته ، واطلع على كثير من الرواة والروايات في عصره ، وتميز في ذلك حتى عرف واشتهر ضبطه) [٢] .

٤ ـ المسند :

وهو الذي يقتصر على سماع الاحاديث وإسماعها ، من غير معرفة لعلومها أو اتقان لها ، وهو الراوية فقط .

---

(١) « معيد النعم » للسبكي ص ٨٢ ، وقد نقله السيوطي عنه في « التدريب » ص٩ .

(٢) « التدريب » ١١ و « الباعث الحثيث » ١٥٤

هذا وإن تحديد هذه الالقاب موضع اختلاف عند العلمـاء ويبدو أنها غير قديمة ، ومهما يكن من أمر فان الذي ذكرناه هـو الشائـع المشهور [1] وهناك من يزيد لقبين هما :

٥ ـ الحجة :

وهو من أحاط علمه بثلاثمائة ألف حديث [2] .

٦ ـ الحـاكـم :

وهو من أحاط علمه بجميع الاحاديث المروية متنا واسنادا وجرحا وتعديلا وتاريخا [3] .

ويحسن أن نختم هذا الفصل بالكلمة التي كتبها العلامة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله اذ قال بعد أن ذكر بعض هذه الالقاب [4] :

أما عصرنا هذا فقد ترك الناس فيه الرواية جملة ، ثـم تركـوا الاشتغال بالاحاديث الا نادرا ... وهيهات أن تجد من يصح أن يكون محدثا . وأما الحفظ فقد انقطع أثره ، وختم بالحافظ ابن حجر ، ثم قارب السخاوي والسيوطي أن يكونا حافظين ، ثم لم يبق بعدهما أحد ومن يدري ؟ فلعل الأمة الاسلامية تستعيد مجدها ، وترجـع الـى

---

(١) انظر مزيدا من التفصيل ما أورده السيوطي في « تدريـب الراوي » ٧ـ١٣ اذ جمع كثيرا مما قيل حول هذه الالقاب ونقل عنه الناقلون .

(٢) «شرح الشمائل المحمدية » للباجوري ص ٤ المطبوع في مطبعة الاستقامة و « مقدمة تحفة الاحوذي » ص ٤

(٣) «مقدمة تحفه الاحوذي » ص٤

(٤) «الباعث الحثيث » ١٥٧

دينها وعلومها . ولا يعلم الغيب الا الله ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ »[1] .

---

(١) «صحيح مسلم » ١/٩٠ و « تحفة الاحوذي » ٣/٣٦٣ و « مسند احمد » رقم الحديث ٣٧٨٤ و « سنن ابن ماجه » ٢/١٣١٩ ورقم الحديث ٣٩٨٦ و « سنن الدارمي » ٢/٣١١ - ٣١٢ وانظر « احاديث القصاص » لابن تيمية بتحقيقنا ص ١٠٦ وانظر شرح ابن تيمية لهذا الحديث في « مجموع الفتاوى » ١٨/٢٩١ ـ ٣٠٥ .



الباب الرابع

وضع الحديث



الفصل الأول

متى بدأ الوضع ؟

بدأ الوضع في الحديث زمن الفتنة الكبرى المؤلمة التي كانت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، فلقد طاشت خلال ذلك أحلام بعض أتباع كل منهما، فالتمسوا مناوأة خصومهم بوضع الاحاديث التي تؤيدهم وحزبهم .

وأول من بدأ بالوضع الشيعة ... ثم جاراهم في ذلك جهال أهل السنة . والمعنى الاول الذي طرقه الوضاعون هو فضائل الاشخاص . قال ابن حجر:

(وأما الفضائل فلا تحصى كم وضع الرافضة في فضل أهل البيت ، وعارضهم جهلة أهل السنة بفضائل معاوية بدءاً ، وبفضائل الشيخين ، وقد أغناهما الله وأعلى مرتبتهما عنها)[1] . وقال ابن أبي الحديد ـ وهو

---

(1) « لسان الميزان » ١/ ١٣

شيعي مشهور ـ : (ان أصل الاكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة . فانهم وضعوا في مبدأ الامر أحاديث مختلفة في صاحبهم . حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ماصنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الاحاديث [1].

جاء في « صحيح مسلم » أن سفيان بن عيينة عن هشام عن طاووس قال :

«أتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء علي رضي الله عنه فمحاه إلا قدر » وأشار سفيان بن عيينة بذراعه .

وأورد مسلم بسنده الى الاعمش عن أبي اسحاق قال : « لما أحدثوا تلك الاشياء بعد علي رضي الله عنه قال رجل من أصحاب علي : قاتلهم الله !! أي علم أفسدوا » .

ومن الضروري أن نقرر أن الصحابة مبرؤون من الوضع وذلك لخوفهم الشديد من الله ، الذي تدل عليه الاحاديث الثابتة والاخبار التاريخية الكثيرة ، ولأن الله عزوجل زكاهم فقال : (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم مافي قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) [2] .

وقال : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)[3] . وقال : (للفقراء

---

(١) « شرح نهج البلاغة » ٢٦/٣ .
(٢) سورة الفتح ١٨ .
(٣) سورة التوبة ١٠٠ .

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجراليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (١) .

وزكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لاتسبوا أصحابي ، فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه (٢) .

قال الخطيب البغدادي : (وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة والقطع على تعديلهم ونزاهتهم ، فلا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله تعالى لهم ، المطلع على بواطنهم الى تعديل أحد من الخلق له . فهم على هذه الصفة . الا أن يثبت على أحد ارتكاب مالا يحتمل الا قصد المعصية والخروج من باب التأويل ، فيحكم بسقوط العدالة . وقد برأهم الله من ذلك . ورفع أقدارهم عنده، على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والاموال ، وقتل الآباء والاولاد ،

---

(١) سورة الحشر ٩ .

(٢) رواه البخاري ٥/٨ ومسلم ١٨٨/٧ واحمد ١١/٣ والترمذي ٣٥٩/٤ وابو داود ٤/ ٢٩٨

والمناصحة في الدين ، وقوة الايمان واليقين القطع على عدالتهم ، والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين . هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء)[1] .وليس في قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »[2] أي دليل على بدء الوضع زمن الرسول من قبل بعض الصحابة رضوان الله عليهم، كما ذهب الى ذلك المشككون في السنة ، اذ زعموا أن هذا الحديث يدل على أن الوضع بدأ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل بعض الصحابة ، وهذا غير صحيح لما قدمنا قبل قليل . أما أن يكذب بعض المنافقين والكفار فصحيح كما يدل على ذلك سبب الحديث[3]

قال ابن حجر في « فتح الباري » في شرح هذا الحديث :

(ولا مفهوم لقوله « علي» لأنه لا يتصور أن يكذب له لنهيه عن مطلق الكذب . وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب ، وقالوا : نحن لم نكذب عليه ، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته وما دروا أن تقويله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل يقتضي الكذب على الله تعالى ، لانه إثبات حكم من الاحكام الشرعية سواء كان في الإيجاب أو الندب وكذا مقابلهما وهو الحرام أو المكروه ، ولا يعتد بمن خالف ذلك من

---

(١) «الكفاية »٩٦

(٢) حديث متواتر سبقت الاشارة اليه في بحث « الحديث الصحيح »

(٣) انظر القصة في سبب ورود الحديث في كتاب « الاسرار المرفوعة » للقاري ص ١٤ ــ ١٥ ــ ١٦ .

من الكرامية [1] . حيث جوزوا وضع الكذب في الترغيب والترهيب في تثبيت ما ورد في القرآن والسنة ، واحتج بأنه كذب له لا عليه ، وهو جهل باللغة العربية ، وتمسك بعضهم بزيادة في هذا الحديث أخرجها البزار من حديث ابن مسعود « من كذب علي ليضل به الناس ..» وقد اختلف في وصله وإرساله ، ورجح الدارقطني والحاكم إرساله ، وأخرجه الدارمي من حديث يعلى بن مرة بسند ضعيف . وعلى تقرير ثبوته فليست اللام فيه للعلة بل للصيرورة ، كما فسر قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم)[2] والمعنى أن مآل أمره الى الإضلال . أو هو من تخصيص بعض أفراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله تعالى (لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة)[3]و(ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) [4] فان قتل الاولاد من إملاق ومضاعفة الربا والاضلال في هذه الآيات إنما هو لتأكيد الامر فيها . لا لاختصاص الحكم [5] .

إذن ففي عصر التابعين كان الوضع ، وقد كثر في متأخريهم ، والعراق هو البيئة التي كان فيها الوضع ، لأنها موطن الشيعة ، وسمعة

---

(١) الكرامية : اصحاب محمد بن كرام من المجسمة المشبهة . توفي سنة ٢٥٥ هـ وهم طوائف بلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة « وانظر الملل والنحل » للشهرستاني ١/١٠٨ .

(٢) سورة الانعام : ١٤٤

(٣) آل عمران : ١٣٠ .

(٤) الانعام : ١٥١ .

(٥) « فتح الباري » ١/١٩٩ — ٢٠٠ وانظر أيضا « شرح مسلم » ١/٧٠ و « قواعد التحديث » ١٥٧–١٥٨

العراق من هذه الناحية سيئة من وقت مبكر ، روى ابن عساكر في « التاريخ الكبير » ١-٦٩ عن عائشة أنها قالت :

(يا أهل العراق ! أهل الشام خير منكم ، خرج اليهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير فحدثونا بما نعرف ، وخرج إليكم نفر قليل من أصحابه فحدثتمونا بما نعرف وبما لا نعرف) [١] .

ونقل الخطيب البغدادي عن عبد الله بن سلمة أنه قال : (ما كنا نتهم أن أحدا يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدا حتى جاءنا قوم من أهل المشرق ، فحدثوا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين كانوا عندهم بأحاديث لانعرفها) [٢] ونقل أيضا أنه قال لعبد الله بن الحسن :

(خلط علينا شيعتكم من أهل العراق ، وجاؤونا بأحاديث عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) [٣] وقال هشام بن عروة : (إذا حدثك العراقي بألف حديث فألق تسعمائة وتسعين ، وكن من الباقي في شك [٣] .

---

(١) نقلا عن « بحوث في تاريخ السنة المشرفة » لاكرم ضياء العمري (ط ١) ص ٧ « ط ٢ » ص ٢١ .

(٢) « الكفاية » ط مصر ص ٥٥٩ .

(٣) قواعد التحديث : ٥٨ .

وقال الزهري يشير الى ذلك : « يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع إلينا من العراق ذراعا » [1]

وكذلك فان مما يتصل بهذا ما يروى عن المختار الثقفي الـذي كان في العراق اذ قال لرجل من أصحاب الحديث : (ضع لي حديثا عن النبي صلى اللـه عليه وسلم اني كائن بعده خليفة وطالب له بترة ولده . وهذه عشر آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم . فقال الرجل : اما عن النبي صلى اللـه عليه وسلم فلا . ولكن اختر من شئت من الصحابة وأحطك من الثمن ما شئت ...) [2] .

* ★ *

(١) «السنة» للسباعي ٩٣ ينقل ذلك عن تاريخ ابن عساكر .
(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي ٣٩/١

الفصل الثاني

عوامل الوضع وأسبابه وأصل الحديث الموضوع

● بواعث الوضع عديدة وأهمها ما يأتي :

١ ـ الخلافات السياسية :

كانت هذه الخلافات السياسية أهم عوامل الوضع اذ ان المسلمين قد انقسموا بعد الفتنة الى فئات ومذاهب ، فالرافضة كانوا ـ كما ذكرنا ـ اسرع الفرق الى الوضع • يقول فيهم شريك بن عبد الله : (احمل عن كل من لقيت الا الرافضة ؛ فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا) •

وقال حماد بن سلمة : (حدثني شيخ لهم ـ يعني الرافضة ـ قال : كنا اذ اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا) [١] •

وقد فعل المتعصبون لمعاوية رضي الله عنه والامويين شيئا من ذلك ، وان كانت دائرة الوضع عندهم أضيق •

---

(١) « الموضوعات » ١/٣٩ و « الباعث الحثيث » ٨٤ط ٣ .

أما الخوارج فيبدو انهم لم يكونوا يتعمدون الكذب ، وربما كان فيهم من يكذب دون ان يشعر ، لاسيما ان وجدوا حديثا يتناسب مع مذهبهم وآرائهم . ويميل أستاذنا الدكتور السباعي رحمه الله [1] الى أنهم لم يكونوا يكذبون .

ويذهب آخرون الى انهم لم يكونوا يكثرون من الكذب .

حدث ابن لهيعة قال : (سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : ان هذه الاحاديث دين . فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا) [2] .

ومن الامثلة على الوضع بسبب العامل السياسي ماروي « ان هذا الامر اذا وصل الى بني العباس لا يخرج عنهم حتى يسلموه الى عيسى بن مريم او المهدي » [3] . اذ من المعلوم ان النزاع كان شديدا بين العباسيين والطالبيين ، فكأن هذا الحديث وضع ليقطع على خصوم العباسيين السبيل للوصول الى الحكم .

وقد دل على بطلانه وكونه موضوعا الواقع التاريخي .

---

(١) « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ٩٩ ط ١ .

(٢) « الكفاية » ١٩٨ و « الموضوعات » ١/٣٩ و « لسان الميزان » ١/١٠ و « فتح المغيث » للسخاوي ١/٢٣٩ ــ ٢٤٠ و « قواعد التحديث » ١٣٧ .

(٣) « تاريخ الخلفاء » للسيوطي ص ٦ وقد أورده محتجا به وكأنه صحيح ثابت ، ثم عقد فصلا اورد فيه الاحاديث المبشرة ببني العباس من ١٣ ــ ١٨ وهي كلها موضوعة ولم يبين حالها ، بل قد دافع عن بعضها . سامحه الله .

ومن الامثلة أيضا على ماوضعت الرافضة بسبب العامل السياسي حديث غدير خم ، وهو (ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي بمحضر من الصحابة كلهم وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ثم قال : « هذا وصيي وأخي ، والخليفة من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا » ثم اتفق الكل على كتمان ذلك) .

فان هذا الحديث باطل من وضع الرافضة ، لانهم ضللوا الصحابة رضي الله عنهم بهذه المقالة الكاذبة (١) .

---

(١) « اسنى المطالب » ٢٧٠ اقول : هذا الحديث بهذا السياق مكذوب دون شك ، ولو كان صحيحا لكان الفيصل بشأن الخلافة ولما كانت حاجة الى سقيفة بني ساعدة ، غير ان هناك حديثا غيره صحيحا يعرف بحديث غديرخم ، وقد اورده مسلم في « صحيحه » ١٢٢/٧ ــ ١٢٣ بنص آخر فيه وصية بأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو : « أيها الناس ! انما انابشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب ، وانا تارك فيكم ثقلين : : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به .. وأهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي ، اذكركم الله في اهل بيتي » .

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في تعليقه على « مختصر صحيح مسلم » للمنذري ١٩٩/٢ : (ثم عرف بعد هذا الحديث بحديث غديرخم ، والصقت به الشيعة ما ليس منه ، وزعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى فيه بالخلافة والوصاية لعلي من بعده وهذا من خرافاتهم ...) .

٢ ـ الزندقة :

ان الحقد على الاسلام حمل الزنادقة على الكيد للاسلام فلم يستطيعوا أن يتعرضوا للكتاب الكريم المنقول بالتواتر المدون في المصاحف المتصف بالاعجاز ، فاستهدفوا السنة يرومون افساد عقائد الاسلام وتشويه محاسنه ووضعوا في ذلك بعض الاحاديث •

قال الامام ابن الجوزي :

(ولما لم يمكن أحدا أن يدخل في القرآن شيئا ليس منه ، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقصون ، ويبدلون ، ويضعون عليه مالم يقل فأنشأ الله عز وجل علماء يذبون عن النقل ، ويوضحون الصحيح ، ويفضحون القبيح . وما يخلي الله عز وجل منهم عصرا من العصور ••)[1] •• وقد فعلوا ما فعلوا متسترين بالتشيع أحيانا ، وبالزهد وبالتصوف أحيانا ، وبالفلسفة والحكمة أحيانا ، ومن الامثلة على ذلك : « النظر الى الوجه الجميل عبادة » « ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة » • « رأيت ربي ليس بيني وبينه حجاب فرأيت كل شيء منه ، حتى رأيت تاجا مخوصا من اللؤلؤ » •• الخ ••

٣ ـ التعصب للجنس أو القبيلة او البلد او المذهب :

فمن أمثلة الوضع بدافع التعصب للجنس ما زوي : « ان الله

= وانظر ايضا « منهاج السنة » ٢٥/٢ المطبعة الاميرية ـ و « تفسير ابن كثير » ١١٣/٤ عند تفسير قوله تعالى « قل لا اسالكم عليه أجرا الا المودة في القربى » وانظر أيضاً « البداية والنهاية » ٣٤٧/٧ . وانظر رياض الصالحين باب اكرام اهل بيت رسول الله (ﷺ) ص١٦٥ ـ ١٦٦ .

(١) « الموضوعات » ٣١/١ .

اذا غضب أنزل الوحي بالعربية واذا رضي أنزل الوحي بالفارسية » ، وواضح أن واضعه شعوبي فارسي .

ومن أمثلة الوضع بدافع التعصب للمذهب ماروي « يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتي من ابليس ، وسيكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي » [1] .

ومما يتصل بالتعصب للمذهب ما وجد عند الجهال من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية الذين عمدوا الى تأييد مذاهبهم بوضع الاحاديث .

من ذلك :

« من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له » [2] .

ومثل : « كل من في السموات والارض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وسيجيء أقوام من أمتي يقولون : القرآن

---

(١) هذا الهراء السخيف ـ اخزى الله واضعه ـ دليل على التعصب الاعمى الذي يورد صاحبه المهالك ، وانظر « تاريخ بغداد » ٣٠٨/٥ و ١٣ و /٣٣٥ «ميزان الاعتدال» ٤٣٠/٣ و «لسان الميزان» ٧/٥ و « تدريب الراوي » ص ١٨١ و «الباعث الحثيث» ص ٨٢ و « التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الاباطيل » ١٩/١ و ٤٤٦ و «الفوائد الموضوعة» لمرعي الكرمي بتحقيقنا ص ٢٧٣ و « اسنى المطالب » ١٤ و « الاسرار الموفوعة » ٧٦ و « كشف الخفاء » ٣٣/١ و « تذكرة الموضوعات » ١١١ .

(٢) ومن المعروف ان الحنفية ينكرون رفع اليدين في الصلاة مع ثبوته في السنة .

مخلوق . فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم . وطلقت منه امرأته من ساعتها » ... الى آخر ما هنالك .

٤ــ الاغراب في القصص والرغبة في الوعظ والتأثير فيه :

كان يقوم أناس لا يخافون الله بمهمة الوعظ والقصص في بعض الاحيان . وهم لا يستطيعون ان يحوزوا على اعجاب الناس ولا ان يؤثروا فيهم الا بما يخترعون من أحاديث وما يلفقون من آثار . والعامة أبدا مولعون بالغريب من الحديث ، فكان هذا مشجعا لهم على ان يغرقوا في الاغراب . وقد ذكر ابن قتيبة في « تأويل مختلف الحديث » شيئا من ذلك [١] . قال مسدد : سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول : كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث فامتنع . فقلت : لم لا تحدثه ؟ قال : هؤلاء قصاص يزيدون في الحديث [٢] .

والمثال الشهير على الاغراب في القصص القصة الآتية :

صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين [٣] بمسجد الرصافة ، فقام

---

(١) انظر « تأويل مختلف الحديث » ص ٣٥٧ ط ١ ، و ٢٧٩ ط ٢ . ومما قاله : ان الحديث يدخله الفساد من وجوه الزنادقة واحتيالهم للاسلام وتهجينه بدس الاحاديث المستبشعة والمستحيلة ، والقصاص فانهم يميلون وجوه العوام اليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب من الاحاديث ، ومن شأن العوام ملازمة القاص ما دام يأتي بالعجائب الخارجة عن نظر العقول وانظر « لسان الميزان ١ ــ ١٣ » .

(٢) الحلية ١٥٣/٧ .

(٣) جاء في « المنهج الاحمد » ٩٤/١ : كان احمد يقول : « كل حديث لا يعرفه يحيى بن معين فليس بحديث » وكان يقول فيه : « ههنا رجل خلقه الله لهذا الشأن يظهر كذب الكذابين » يعني يحيى بن معين.

بين أيديهم قاص فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا : حدثنا عبد الرزاق عن قتـادة عن أنس قال : قال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : « من قال لا اله الااللـه خلق اللـه من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب وريشه من مرجان .. » واستمر يذكر فيه نحوا من عشرين ورقة ، فجعل أحمد ينظر الى يحيى ، ويحيى ينظر الـى أحمد ، فقال : أنت حدثت بهذا ؟ فقال : واللـه ما سمعت بهذا إلا الساعة ، فلما انتهى أشار له يحيى ، فجاء متوهماً نوالا [1] فقال لـه يحيى : من حدثك بهـذا ؟ فقال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، فقال يحيى : انا يحيى وهذا احمد ، ما سمعت بهذا قط في حـديث رسول اللـه ، فان كان ولا بد فعن غيرنا ، فقال القاص : أليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ، لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين [2] .

---

(١) هذا يدل على أن العامة كانوا يعطون القصاصين والوعاظ شيئا من المال ، وكأنهم كانوا يتخذون ذلك مهنة لهم ، بل في سياق القصة تصريح بذلك كما في « الباعث الحثيث » « فلما فرغ من القصة واخذ العطيات » وانظر تفصيل ذلك في كتاب « تحذير الخواص من اكاذيب القصاص » للسيوطي بتحقيقنا ص ١٤٢ — ١٤٤ وانظر المقدمات التي كتبتها للكتب التي نشرتها عن القصاص وهي : « احاديث القصاص » لابن تيمية و « تحذير الخواص » للسيوطي و « الباعث على الخلاص » للعراقي .

(٢) انظر القصة في « الموضوعات » لابن الجوزي ٤٦/١ و « اللالىء المصنوعة » للسيوطي ٣٤٦/٢ و «تحذير الخواص» و «الباعث الحثيث» ص ٩٣ و « السنةومكانتها في التشريع » ص ١٠١ .

وقد علق ابن حبان في « كتاب معرفة المجروحين من المحدثين » على هذه الحادثة فقال : (فاذا كان مثل هؤلاء يجسرون على أحمد ويحيى حتى يضعوا الحديث بين أيديهم من غير مبالاة بهم ؛ كانوا اذا حلوا بمساجد الجماعات ومحافل القبائل مع العوام والرعاع أكثر جسارة في الوضع) [١] .

ومن الاغراب ما يصنعه بعض المتطفلين على علم الحديث ممن يفاخرون بعلو الاسناد فيضعون الحديث بأسانيد عالية ولكنها مكذوبة رغبة منهم بالاشتهار .

٥ ـ الجهل الذي يحمل على وضع الحديث للترغيب في بعض الشؤون الدينية :

وقد كان يقدم على ذلك بعض الجهلة من الزهاد والعباد ، والصالحين ، رغبة منهم في الخير . ومن الامثلة على ذلك الاحاديث الموضوعة في فضائل السور .

قيل لأبي عصمة نوح بن أبي مريم المروزي [٢] : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند

---

(١) « كتاب معرفة المجروحين من المحدثين » مخطوط في ايا صوفيا ٢/٣٠ ا ـ نقلا عن كتاب « بحوث في تاريخ السنة » للاستاذ اكرم ضياء العمري .

(٢) جاء في « المرقاة الوفية في طبقات الحنفية » ان نوح بن أبي مريم عرف بالجامع لانه أول من جمع فقه ابي حنيفة في قول ، وقيل : لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة ، فقد اخذ الفقه عن ابي حنيفة والحديث

أصحاب عكرمة هذا ؟ قال : إني رأيت الناس أعرضوا ، واشتغلوا بفقه أبي حنيفةومغازي ابن اسحاق،فوضعت هذا الحديث حسبة[1].وكذلك ذكر الخطيب أن هناك رجلا اعترف بوضعه حديثا في فضائل القرآن قائلا : « إنا اجتمعنا هنا ، فرأينا الناس قد رغبوا عن القرآن وزهدوا فيه » ، وأخذوا في هذه الاحاديث فقعدنا فوضعنا لهم هذه الفضائل حتى يرغبوا فيه [2] .

٦ ـ النفاق للحكام :

وجد قوم من الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل يتقربون للملوك والامراء بما يوافق أهواءهم فيضعون من الاحاديث مايكون في خدمة الحكام . والغريب أننا نجد هذه الطبقة في كل عصر ، هذه الطبقة التي خانت أمانة العلم ، ورضيت أن تكون مطية للحكام .

ومن أمثلة ذلك ما فعله غياث بن ابراهيم اذ دخل على المهدي وهو يلعب بالحمام ، فروى له الحديث المشهور : « لاسبق الا في نصل أو حافر » وزاد فيه : (أو جناح) ارضاء للمهدي . فمنحه المهدي عشرة آلاف درهم . ثم قال بعد أن ولى : أشهد أن قفاك قفا كذاب

عن ابن أرطاة والتفسير عن الكلبي والمغازي عن ابن اسحاق . وهو متروك الحديث . ذكره الذهبي في « الميزان » ٢٧٩/٤ وقال : إنه توفي سنة ١٧٣ وانظر كتاب العلامة احمد تيمور « نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الاربعة » ص١٦

(١) «تذكرة الموضوعات» للفتني ٨٢ و« قواعد التحديث» ص١٣٩ . وانظر «الموضوعات » لابن الجوزي ج١ ص٤١ وانظر « تفسير القرطبي » ٧٨/١

(٢) « الكفاية » ٥٦٨ .

علـى رسول الله ، وأمر بذبح الحمام [1] .

وفعل نحوا من ذلك مـع الـرشيد ، فـوضع له حديثا وهو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطير الحمام ، فلمـا عرضه على الرشيد قال : اخرج عني ، فطرده عن بابه [2] .

٧ ـ عـوامل أخـرى :

وهناك أسبـاب أخرى ثانوية عملت على وضع الحديث :

• منها : الانتصار لفتوى .

أو الترويج لنوع من المآكل أو الطيب أو الثياب .

ومنها : غفلة المحدث ، واختلاط عقله في آخر حياته .

أو التكبر عن الرجوع الى الصواب بعد اشتباه الخطأ لسهو مثلا [3] .

---

(١) وقد أورد هذه القصة القاسمي في « قواعده » ص ١٣٤ كمـا يلي : « لا سبق إلا في نصل أو خف او حافر أو جناح » ، وقال أستاذنا الشيخ محمد بهجة البيطار في تعليقه عليه :أخرجه أصحاب السنن وأحمد في « مسنده » من حديث أبي هريرة ولم يذكر فيه ابن ماجه « او نصل » وكذلك فقد أورده الشافعي في « الأم » ١٤٨/٤ و « مسند الشافعي » ١٢٨/٢ والبيهقي في « مناقب الشافعي » ١٢٧/٢ وأحمد شـاكـر في « الباعث الحثيث » ص ٩٤« لا سبق إلا في نصل أو خف أو حافر او جناح » وانظر أيضا « السنة » للسباعي ص ١٠٣ وانظر القصة أيضا في « الموضوعات » لابن الجوزي ٤٢/١ و ٧٨/٣ و في « ميزان الاعتدال » ٣٣٨/٣ وفي « اللآلىء المصنوعة » ٢٣٢/٢ .

(٢) « الباعث الحثيث » ٨٦،وانظر هذه القصة في «اللآلىءالمصنوعة»

(٣) « قواعد التحديث » ١٣٥

أصل الحديث الموضوع ومصدره :

١ ـ قد يخترعه الواضع وينسبه الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذكر القاسمي أن بعض الكرامية وبعض المتصوفة نقل عنهم إباحة الوضع في الترغيب والترهيب .

٢ ـ وقد يأخذ الواضع كلام غيره كبعض السلف ، أو بعض قدماء الحكماء ، أو الاسرائيليات وينسب ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الذهبي : (قال أبو زرعة الدمشقي : حدثنا محمد ابن خالد ، عن أبيه ، سمعت محمد بن سعيد يقول : لا بأس اذا كان كلاما حسنا أن تضع له اسنادا)[1] ومحمد بن سعيد المصلوب هذا كذاب كبير . وقد ذكره مسلم في مقدمة «صحيحه»[2] وذكر أنه من قوم اتهموا بوضع الحديث وتوليد الاخبار وأورد مسلم بسنده الى رقبة قوله (إن أبا جعفر الهاشمي المدني كان يضع أحاديث : كلام حق وليست من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكان يرويها عن النبي صلى الله عليه وسلم[3] .

٣ ـ وقد يعمد الواضع أحيانا الى تركيب سند قوي لحديث ضعيف الاسناد[4] .

---

(١) «الميزان » ٥٦٢/٣ و « شرح مسلم » للنووي ٥٦/١ .

(٢) « صحيح مسلم » ٥/١

(٣) « صحيح مسلم » طبعة محمد فؤاد عبد الباقي ٢٢/١ .

(٤) انظر في موضوع اصل الحديث . « الباعث الحثيث » ٨٨ ط٣، و « قواعد التحديث » ١٣٤ .

الفصل الثالث

دلائل الوضع

قد يتساءل القارىء كيف نستطيع أن نتبين الموضوع من الاحاديث ؟ والجواب على هذا السؤال أن العلماء وضعوا قواعد دقيقة محكمة ، وعلامات دالة مميزة ، بها يعرف الحديث الموضوع . وهي على نوعين : منها مايتصل بسند الحديث ، ومنها مايتعلق بمتنه .

اولا ـ علامات الوضع في السند :

إن جماع هذه العلامات ينحصر في اتهام راوٍ من رواة الحديث بالكذب ، فاذا كان أحد رجال السند كذابا حكمنا على الحديث بأنه موضوع ، وتتأتى معرفة كونه كذابا من واحد مما يأتي :

١ ـ أن يجرحه العلماء المختصون بأنه كذاب ، والكذابون معروفون عند أهل العلم بالحديث وقد ألفت بأسمائهم وأحوالهم كتب[1].

والمثال على ذلك ما أورده الذهبي نقلا عن الخطيب من أن علي ابن عبد الله البرداني متهم بالوضع وأن من أباطيله الحديث :

---

(١) وقد مضى ذكر بعضها .

« الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبرائيل ومعاوية »[1] .

٢ ــ أو أن يعترف الراوي بوضعه الحديث ، كما صنع نوح بن أبي مريم الذي اعترف بأنه وضع الحديث حسبة وقد ذكرنا ذلك في الفصل السابق .

• وكما صنع ميسرة بن عبد ربه عندما سأله محمد بن عيسى الطباع قال : قلت لميسرة : من أين جئت بهذه الاحاديث « من قرأ كذا كان له كذا » قال : وضعته أرغب الناس[2] .

• وكما صنع زياد بن ميمون عندما سأله أبو داود الطيالسي وعبد الرحمن بن مهدي عن الاحاديث التي يرويها عن أنس فقال: أرأيتما رجلا يذنب فيتوب،أليس يتوب الله عليه ، فقالا : نعم . قال : ما سمعت من أنس من ذا قليلا ولا كثيرا ، ثم صرح بأنه لم يلق أنساً[3] .

٣ ــ أو أن يروي الراوي عن شيخ لم يثبت لقياه له ، أو ولد بعد وفاته . أو كان في مكان آخر ما وصل أحدهما اليه .

والمثال على ذلك ما جاء في « لسان الميزان » في ترجمة أحمد ابن سليمان القواريري نقلا عن الخطيب : (كذبه ظاهر ... وذلك أن محمد بن اسحاق توفي سنة إحدى وخمسين أو اثنين وخمسين ومائة . وقيل قبل ذلك .

يكتب هذا عنه ومولده ــ على ما ذكره ــ سنة احدى وخمسين!! وأعجب من هذا ادعاؤه سماعه منه بالكوفة ثم بالمدينة ، وابن اسحاق

---

(١) « ميزان الاعتدال » ٣/١٤٢ .
(٢) « ميزان الاعتدال » ٤/٢٣٠
(٣) » صحيح مسلم « ١/٢٤ ط محمد فؤاد عبد الباقي .

إنما قدم الكوفة في حياة الاعمش . وذلك قبل مولد هذا الشيخ بسنين كثيرة !!) [1] .

٤ ـ علامات أخرى ، مثل أن يعرف الوضع من حال الراوي كما قيل: إن الحديث الموضوع «الهريسة تشد الظهر» وضعه محمد بن الحجاج اللخمي الذي كان يبيع هريسة [2] ، وكما قيل ان الحديث الموضوع : « اذا أتي أحدكم بالطيب فليصب منه ، واذا أتي بالحلواء فليصب منها » اتهم بوضعه فضالة بن حصين العطار ، اتهم بوضعه لينفق العطر [3] . .

من أشهر العلماء الذين تعرضوا لهذا الموضوع ووفوه حقه الإمام ابن القيم في كتابه « المنار » [4] . وقد نقل الجزائري عن الأئمة الشيرازي والغزالي والقرافي نقولا جيدة في موضوع نقد المتن [5] وقد لخص العلامة ملا علي القاري كتاب « المنار » في كتابه (الاسرار المرفوعة) [6] وهذا التلخيص كان من أهم ما نعتمد عليه في بحثنا هنا .

---

(١) « لسان الميزان » ١٨٣/١ .

(٢) « ميزان الاعتدال » ٥٠٩/٣ ونص الحديث الموضوع فيه : « اطعمني جبرائيل الهريسة لاشد بها ظهري لقيام الليل » .

(٣) « لسان الميزان » ٤٣٥/٤ و « اللآلىء المصنوعة » ٢٣٨/٢ .

(٤) طبع مرات في القاهرة وبيروت ودمشق .

(٥) انظر هذه النقول في توجيه النظر ص ٨٢ .

(٦) انظر «الاسرار المرفوعة» بتحقيقنا من ص ٤٢٤ حتى ص ٤٨٥ .

فمن علامات الوضع في المتن :

١ — ركـاكة الاسلوب : يأتي الحديث النبوي في ذروة البيان العربي فكل كلام فيه ركة في اللفظ أو ضعف في الاسلوب لا يمكـن أن يكون من كلامه صلى الله عليه وسلم ، وكذلك اشتمـال الحديث على خطأ لغوي أو لحن . هذا اذا صرح الراوي أنه يروي لفظ النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ — فساد المعنى : بأن يكون الحديث مخالفا لبديهيات العقول من غير أن يمكن تأويله مثل « ان سفينة نوح طافت بالبيت سبعا وصلت عند المقام ركعتين » [١] .

٣ — أن يكون في نفسه باطلا تدل وقائع الايام على بطلانه مثل حديث « ان هذا الامر اذا وصل الى بني العباس بقي فيهم حتى يسلموه الى عيسى بن مريم أو المهدي » وقد مر .

٤ — أو أن يكون مخالفا للحس والمشاهدة . مثل « لا يولد بعـد المائة مولود لله فيه حاجة » . ومثل « الباذنجان لما أكل له » . ومثل : « الباذنجان شفاء من كل داء » . قال ابن القيم : قبح الله واضعهما لو قاله بعض جهلة الاطباء لسخر الناس منه ، ولو أكل الباذنجان للحمى والسوداء الغالبة وكثير مـن الامراض

---

(١) « الميزان » ٥٦٥/٢ و « تهذيب التهذيب » ١٧٩/٦ و « مناقب الشافعي » ٥٣٧/١

لم يزدها الا شدة ، ولو أكله فقير ليستغني لم يفده الغنى ، أو جاهل ليتعلم لم يفده العلم .

٥ ـ مخالفته لمقصد من مقاصد الشريعة أو هدف من أهدافها أو قاعدة من قواعدها مثل : « خيركم بعد المئتين من لا زوجة له ولا ولد » فحفظ النسل مقصد من مقاصد الشريعة .

٦ ـ اشتماله على سخافات وسماجات يصان عنها العقلاء : مثـــل : « الديك الابيض حبيبي وحبيب حبيبي جبريل » . ومثل : « لو كان الأرز رجلا لكان حليما ، ما آكله جائع الا أشبعه » .

٧ ـ مخالفته لصريح القرآن أو متواتر الحديث مثـــل : « ولد الزنى لا يدخل الجنة الى سبعة » فانه مخالف لقوله تعـــالى (ولا تزر وازرة وزر أخـــرى) [١] بل هو مأخوذ من التوراة التي بأيدي اليهود . ومثل : « اذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث » فانه مخالف للحديث المتواتر : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » .

٨ ـ ان يتضمن تأييد نحلة مبتدعة أو مذهب سياسي ، كالاحاديث التي تتحدث عن الارجاء .

٩ ـ مخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مثل حديث : إن النبي وضع الجزية عن أهل خيبر بشهادة سعد ابن معاذ وكتابة معاوية . والثابت أن الجزية لم تكن في عام خيبر معروفة،وسعد توفي قبل عام خيبر ومعاوية أسلم يوم الفتح.ويدو

---

(١) سورة فاطر الاية : ١٨

أن اليهود حاولوا أكثر من مرة استغلال هذه الفرية المكذوبة ليتخلصوا من دفع الجزية .

فقد ذكر السيوطي في « نظم العقيان في أعيان الاعيان » : ما يدل على أن الحادثة وقعت أيام الخطيب البغدادي فقال : (من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتاباً فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة منهم علي ... فحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء ووقع الناس به في غرة ؛ فعرضه على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال : مزور . فقيل له : من أين لك ذلك ؟

فقال : فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح ، وفتوح خيبر سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، ومات سعد يوم قريظة قبل خيبر بسنتين)[1] .

وذكر ابن كثير أن نفرا من اليهود في مطلع القرن الثامن حاولوا أن يتخلصوا من الجزية معتمدين على كتاب معهم (يزعمون أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع الجزية عنهم ، فلما وقف عليه الفقهاء تبينوا أنه مكذوب مفتعل ، لما فيه من الالفاظ الركيكة ، والتواريخ المحبطة واللحن الفاحش . وحاققهم عليه شيخ الاسلام ابن تيمية وبين لهم خطأهم وكذبهم وأنه مزور مكذوب. فأنابوا الى أداء الجزية وخافوا من أن تستعاد منهم الشؤون الماضية . قلت ــ أي ابن كثير ــ وقد وقفت أنا على هذا الكتاب)[2] وذكر ابن كثير أنه جمع فيه جزءا

(١) « نظم العقيان » ص ٦ طبع نيويورك
(٢) « البداية والنهاية » ١٩/١٤

مفردا وأن الحادث جرى أيام الماوردي أيضا [1] .

ـ ويبدو أن النصارى أيضا في هذا العصر قد ادعوا شيئا مماثلا اذ ادعوا عهدا من النبي صلى الله عليه وسلم ومن عمر رضي الله عنه لهم ، وقد نشروهما في جريدة الاهرام عدد ١١٨٤ بتاريخ ٢٣ آب (أغسطس) سنة ١٨٨١ م نقلا عن جريدة المصباح التي زعمت أن أحد الوجهاء في أوروبا وجد بمكتبة لندرة كتابا طبع في رومية فيه هذا العهد ، وقد رد عليه الأستاذ محمد عبد القادر المازني المحامي الشرعي ونشره بالوقائع المصرية في ٢٢ أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٨١ م،كما أنكر ذلك ايضا الاستاذ عبد الوهاب النجار وكذبه . ونشر هذا التكذيب في جريدة الاهرام ١٠ آذار (مارس) سنة ١٩٣١ م [2] .

ـ ومن الامثلة على ذلك ماذكر الذهبي من أن سهيل بن ذكوان قال : (لقيت عائشة بواسط) قال الذهبي في التعليق على هذه الكذبة : (وهكذا يكون الكذب ، فقد ماتت عائشة قبل أن

---

(١) انظر القصة أيضا في « الاسرار المرفوعة » من ٤٦٥ ـ ٤٦٨ وقد انتقدها ابن القيم في « المنار » ونقل انتقاده القاري ، وانظرها في « سمط النجوم العوالي » للعصامي ١٩/١ وانظر « المنتظم » ٢٦٥/٨ و معجم الادباء ١٤٧/١ و « كتاب الوزراء » و « الوافي بالوفيات » ٤٤/١ و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ص ١٠ وانظر « الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري » لادم متز ١٣٣/٢ و « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » لروزنتال ص ١٣٠

(٢) انظر العهدين المزعومين والرد عليهما في كتاب « التشريع الاسلامي لغير المسلمين» للاستاذ عبد الله مصطفى المراغي صفحة ١٢٢ الى صفحة ١٣٩ .

يخط الحجاج مدينة واسط بدهر)[1] .

— ومن الامثلة على ذلك الحديث « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس » قال البخاري : سمعت سليمان بن حرب يقول : وإنما ضرب السكة الحجاج ، ولم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

— ومنها الحديث المروي عن أبي رافع قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، ونزلت معه . فدعا بكحل اثمد ، فاكتحل به في رمضان وهو صائم .

قال الذهبي (قلت : هذا باطل . فان نزوله عليه الصلاة والسلام على خيبر كان في أول سنة سبع . فأين رمضان ؟)[3] .

١٠ — اشتماله على مجازفات في الوعد والوعيد من أجل أفعال صغيرة مثل : « من صلى الضحى أعطي ثواب سبعين نبيا »

قال ابن القيم في التعليق عليه : (وكأن هذا الكذاب الخبيث لم يعلم أن غير النبي لو صلى عمر نوح عليه السلام لم يعط ثواب نبي واحد)[4] .

ومثل:«من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة ، يستغفرون الله،

---

(١) «الميزان » ٢/٢٤٣

(٢) « ميزان الاعتدال » في ترجمة محمد بن فضاء ٤/٥

(٣) «ميزان الاعتدال » ٤/١٥٧

(٤) «الاسرار المرفوعة » ٤٢٤ . « المنار » ص ٥٠ .

ومن « فعل كذا وكذا أعطي في الجنة سبعين ألف مدينة،في كل مدينة سبعون ألف قصر . في كل قصر سبعون ألف حوراء »

وقال ابن القيم : (وأمثال هذه المجازفات الباردة التي لايخلو حال واضعها من أحد أمرين : إما أن يكـون في غايـة الجهـل والحمق . وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم باضافة مثل هذه الكلمات إليه) [1]

١١ ــ أن يتضمن الحديث أمرا من شأنه أن تتوافر الدواعي على نقله، ولاينقله الا واحد مثل حديث غدير خم الذي ذكرناه آنفا .



(١) «الاسرار المرفوعة » ٤٢٥ « المنار » ص ٥١

الفصل الرابع

حكم وضع الحديث ورواية الحديث الموضوع

حكم وضع الحديث :

أجمع المسلمون على ان وضع الحديث حرام . وأنه معصية من أكبر المعاصي ، والجويني يكفر من يتعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم ويذهب الى اراقة دمه .

قال السيوطي : (لا أعلم شيئا من الكبائر قال أحد من اهل السنة بتكفير مرتكبه الا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان الشيخ ابا محمد الجويني من أصحابنا وهو والد امام الحرمين قال : ان من تعمد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم يكفر كفرا يخرجه عن الملة ، وتبعه على ذلك طائفة منهم الامام ناصر الدين بن المنير من أئمة المالكية ، وهذا يدل على انه اكبر الكبائر ، لانه لا شيء من الكبائر يقتضي الكفر عند احد من اهل السنة . والله اعلم) (١) .

---

(١) «تحذير الخواص» ٦٤ ـ ٦٥ و «الاسرار المرفوعة» ٣٦ـ٣٧.

وكذلك فإن الغزالي ذهب الى أن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي لايقاومها شيء [1] وقد ناقش النووي هذه المسألة فقرر تعظيم تحريم الكذب عليه - عليه السلام - وذهب الى (أنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ، ولكن لايكفر بهذا الكذب الا أن يستحله . هذا هو المشهور من مذاهب العلماء من الطوائف) [2] .

ونقل قول والد إمام الحرمين أبي المعالي الذي أشرنا اليه ثم قال (وضعف إمام الحرمين هذا القول وقال : انه لم يره لاحد من الاصحاب ، وانه هفوة عظيمة ، والصواب ما قدمناه عن الجمهور والله أعلم) [3] .

هل تقبل رواية الكاذب بعد توبته :

قال النووي : (إن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا في حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها .

فلو تاب وحسنت توبته ، فقد قال جماعة من العلماء منهم أحمد بن حنبل وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري وصاحب الشافعي وأبو بكر الصيرفي من فقهاء أصحابنا الشافعيين وأصحاب الوجوه فيهم منهم ومتقدميهم في الاصول والفروع :

لاتؤثر توبته في ذلك ، ولاتقبل روايته أبدا بل يحتم جرحه دائما وأطلق الصيرفي وقال : كل من أسقطنا خبره من أهل النقل بكذب وجدناه عليه لم نعد لقبوله بتوبة تظهر ، ومن ضعفنا نقله لم نجعله

---

(1) « قواعد التحديث » ١٣٥ .

(2) « شرح صحيح مسلم » للنووي ٦٩/١ .

قويا بعد ذلك)[1] ثم قال النووي : (ولم أر دليلا لمذهب هؤلاء .... وهذا الذي ذكره هؤلاء الأئمة ضعيف مخالف للقواعد الشرعية ، والمختار القطع بصحة توبته في هذا وقبول رواياته بعدها اذا صحت توبته بشروطها المعروفة ... فهذا هو الجاري على قواعد الشرع) [2].

حكم رواية الحديث الموضوع :

اتفقوا على أنه تحرم روايته مع العلم بوضعه ، سواء كان في الاحكام أو القصص أو الترغيب ونحوها الا مبيناً وضعه [3] . وقد أخرج الامام أحمد ومسلم وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين»(٤)

وعلى أهل العلم أن ينكروا على من يرفع الحديث الموضوع الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ولو كان معناه صحيحا ، لأنه لو نسب قول مكذوب الى كبير أو وزير لم يرض السكوت عليه فما القول بالكذب على رسول الله ؟ ولأنه عد الراوي للحديث المكذوب أحد الكاذبين كما مر في الحديث .

وقد صرح العلماء من أمثال ابن تيمية والذهبي وابن حجر أن

---

(١) « شرح صحيح مسلم » ٦٩ — ٧٠ .

(٢) «شرح صحيح مسلم » ٧٠ .

(٣) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٨٩ و « شرح صحيح مسلم » ٥٦/١ و « تدريب الراوي » ١٧٨ و « تحذير الخواص » ٦٩ و « قواعد التحديث » ١٥٠ .

(٤) « صحيح مسلم » ٧/١ والترمذي ٣٧٣/٣ وابن ماجه ١٤/١ ١٥ وانظر « قواعد التحديث » ١٣٣ و « رياض الصالحين » ٥٦٦ باب الحث على التثبت فيما يقول ويحكيه .

روايــة الراوي للموضوعــات دون التنبيه إليها مــن الذنوب : قال الذهبي عن أبي نعيم وابن منده : (لا أعلم لهما ذنبا أكبر من روايتهما الموضوعات ساكتين عنها) [1] .

هذا وقد تورع كثير من السلف الصالح عن الاكثار من الرواية وتوقوها خوفا من الوقوع في الكذب والدخول في حديث الوعيد كما روي عن زيد بن أرقم وعبد الرحمن بن عوف وســـعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والمقداد بن الاسود [2] .

---

(١) انظر كتابنا « أبو نعيم وكتابه الحلية » ص٢٩٣ و«الميزان»١/١١ و « لسان الميزان » ٢٠١/١ و « منهاج السنة » ١٥/٤ .

(٢) انظر « تحذير الخواص » ٩٣ حتى ١٠٧ وانظر « معــرفــة علوم الحديث » ١٥ .

الفصل الخامس

موقف العلماء من الحديث الموضوع

موقف العلماء من الحديث الموضوع :

وجدت أحاديث موضوعة كثيرة يدل على هذه الكثرة أخبار عديدة :

منها ما أورده العقيلي في « الضعفاء » عن حماد بن زيد أنه قال : وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر ألف حديث [1] .

ومنها ما ذكره الخطيب في « الكفاية » أن جعفر بن سليمان سمع المهدي يقول : أقر عندي رجل من الزنادقة أنه وضع اربعمائة حديث . فهي تجول في أيدي الناس [1].

ومنها ماذكره ابن عساكر أنه جيء الى الرشيد بزنديق فأمر بقتله ، فقال : ياأمير المؤمنين أين أنت عن أربعة آلاف حديث وضعتها

---

(1) « الكفاية » ٤٠٦ .

فيكم أحرم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام ، ما قال النبي منها حرفا .
فقال له الرشيد : أين أنت يا زنديق من عبد الله بن المبارك ، وأبي اسحاق الفزاري ينخلانها نخلا ، فيخرجانها حرفا حرفا ؟ .

ومنها ما أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » عن سهل بن السري ، قال : وضع أحمد بن عبد الله الجويباري ومحمد بن عكاشة الكرماني ومحمد بن تميم الفارابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة آلاف حديث ، كما يدل على كثرتها هذه المصنفات الكبيرة التي حوت الاحاديث الموضوعة .

فماذا كان موقف العلماء من مجموعة الاحاديث المنقولة على اختلاف احوالها ودرجاتها وقد اختلطت الاحاديث الموضوعة بالاحاديث الصحيحة ؟

لقد كان موقفهم منها الموقف الاسلامي السليم . فلم يقبلوها كلها . لانهم لو فعلوا ذلك لحرفوا دين الله . ففيها المكذوب ، ولم يتركوها كلها . لانهم لو فعلوا ذلك لضيعوا دين الله ، ولكنهم شمروا عن ساعد الجد ، وصرفوا في سبيل ذلك كل أوقاتهم ، فلقد تتبعوا أحوال الرواة التي تساعد على عملية النقد وتمييز الطيب من الخبيث ودونوا في ذلك المدونات وأحصوا فيها بالنسبة الى كل راو متى ولد ؟ وبأي بلد ؟ وكيف هو في الدين والامانة والعقل والمروءة والحفظ ؟ ومتى شرع في الطلب ؟ ومتى سمع ؟ وكيف سمع ؟ ومع من سمع ؟ وهل رحل والى أين وذكروا شيوخه الذين يحدث عنهم وبلدانهم ووفياتهم .

وفصلوا القول في أحوال الشخص الواحد تفصيلا يدل على التتبع الدقيق لكل حوادث حياته ، فقد يقبلون رواية شخص في أول حياته ، ويردونها في آخرها لانه اختلط أو يقبلون رواية رجل عندما يروي عن أبناء بلده لانه يعرفهم ، ويردون روايته عندما يروي عن الآخرين لقلة معرفته بهم ، قال ابن أبي حاتم :

(وجب الفحص عن الناقلة والبحث عن أحوالهم ، واثبات الذين عرفناهم بشرائط العدالة والتثبت في الرواية مما يقتضيه حكم العدالة في نقل الحديث وروايته بأن يكونوا أمناء في أنفسهم علماء بدينهم أهل ورع وتقوى وحفظ للحديث واتقان ، وتثبت فيه ، وأن يكونوا أهل تمييز وتحصيل ، لا يشوبهم كثير من الغفلات . ولا تغلب عليهم الاوهام فيما قد حفظوه ووعوه ..) [1] .

ووضعوا قواعد لنقد المتن وأحكموها حتى يتبين لهم الحديث الصحيح من الضعيف . وكان موقفهم تحقيقا لقول عمرو بن قيس : ينبغي لصاحب الحديث أن يكون مثل الصيرفي الذي ينقد الدراهم ، فان الدراهم فيها الزيف والبهرج وكذلك الحديث [2] .

قال الاستاذ المعلمي اليماني : (فلا تكاد تجد حديثا بين البطلان إلا وجدت في سنده واحدا أو اثنين أو جماعة قد جرحهم الأئمة ، والأئمة كثيرا ما يجرحون الراوي بخبر واحد منكر جاء به فضلا عن خبرين أو أكثر ويقولون للخبر الذي تمتنع صحته أو تبعد : « منكر » أو « باطل »[3] .

---

(١) « مقدمة الجرح والتعديل » لابن ابي حاتم ص ٥ .
(٢) « الكفاية » ٥٦٠ .
(٣) « الانوار الكاشفة » ٦ـ٧

وهكذا فقد استطاع هؤلاء العلماء أن ينفوا عن أحاديث رسول الله المكذوب الموضوع، وأن يأخذوا بالاحاديث الثابتة السليمة، وبذلك تحقق وعد الله من حفظ هذه الشريعة وحمايتها من كل ما أصاب غيرها من عوامل التحريف والبطلان . حتى نقل الاستاذ المعلمي اليماني أن المستشرق مرجليوث قال :

(ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم) [1] وما زالوا في جد واجتهاد حتى استطاعوا أن يصلوا الى قواعد نقدية راقية ، بها يميزون الخبيث من الطيب من الحديث وكانت هذه القواعد أرقى ما يمكن أن يصل اليه عقل بشري في تحقيق نسبة الاقوال الى أصحابها وقد شهد بذلك القريب والبعيد ، والصديق والعدو ، وذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل عظيم •

قال ابن قتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » [2] . يمدح أهل الحديث :

(••• التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا الى الله باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلبهم لاخباره برا وبحرا وشرقا وغربا ••• ، ولم يزالوا في التنقير عنها ، والبحث لها حتى عرفوا صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها الى الرأي ، فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافياً ، وبسق بعد أن كان دارساً ، واجتمع بعد أن كان متفرقاً ، وانقاد للسنة من كان عنها معرضا ، وتنبه عليها من كان غافلاً ••••

وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغريب ، وفي

---

(١) صفحة ب من مقدمة « الجرح والتعديل »
(٢) « تأويل مختلف الحديث » ٧٣

الغرائب الداء ، ولم يحملوا الضعيف والغريب لانهم رأوهما حقا ، بل جمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، ليميزوا بينهما ويدلوا عليهما ..) (١) ومر أحمد بن حنبل على نفر من أصحاب الحديث وهو يعرضون كتابا لهم فقال : ما أحسب هؤلاء الا ممن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة » . قال ابن حبان : ومن أحق بهذا التأويل من قوم فارقوا الاهل والاوطان ، وقنعوا بالكسر والأطمار في طلب السنن والآثار ، يجولون البراري والقفار ، ولا يبالون بالبؤس والاقتار ، متبعين لآثار السلف الماضين وسالكين نهج محجة الصالحين ، برد الكذب عن رسول رب العالمين وذب الزور عنه ، حتى وضح للمسلمين المنار ، وتبين لهم الصحيح من الموضوع والزور من الاخبار .

وقال الشيخ أحمد المنيني في « القول السديد » (وحسب الراوي للحديث شرفا وفضلا ، وجلالة ونبلا ، أن يكون أول سلسلة آخرها الرسول ، والى حضرته الشريفة الانتهاء والوصول ، وطالما كان السلف الصالح يقاسون في تحمله شدائد الاسفار ليأخذوه عن أهله بالمشافهة ولا يقنعون بالنقل من الاسفار ، فربما ارتكبوا غارب الاغتراب بالارتحال الى البلدان الشاسعة لأخذ حديث عن إمام انحصرت روايته فيه . أو لبيان وضع حديث تتبعوا سنده حتى انتهى الى من يختلق الكذب ويفتريه ، وتأسى بهم من بعدهم من نقلة الأحاديث النبوية فضبطوا الأسانيد ، وقيدوا منها كل شريد ، وسبروا الرواة بين تجريح وتعديل ، وسلكوا في تحرير المتن أقوم سبيل) (٢) .

---

(١) «تأويل مختلف الحديث » ٧٣ ـ ٧٤ وانظر « تنزيه الشريعة » لابن عراق ١ ص١٦

(٢) نقلا عن « قواعد التحديث » ١٥ ـ ١٦ .

الفصل السادس

التأليف في الحديث الموضوع

ألف العلماء في الاحاديث الموضوعة كتباً خاصة من أهمها :

١ ـ كتاب « الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » للحسين بن ابراهيم الهمداني الجوزقاني (أو الجوزقي) المتوفى سنة ٥٤٣ هـ ويدعى هذا الكتاب أيضا بـ «الأباطيل». وقال الذهبي : وهو محتو على أحاديث موضوعة وواهية ، وطالعته واستفدت منه مع أوهام فيه [١] .

٢ ـ كتاب « الموضوعات » للأمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي .. ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ[٢] .

ومصادر ابن الجوزي في كتاب « الموضوعات » ـ على ماذكر ابن عراق [٣] ـ هي كتاب « الكامل » لابن عدي ، و « الضعفاء »

---

(١) « الرسالة المستطرفة » ١٤٩

(٢) انظر ترجمته في مقدمتي لرسالة « القرامطة » له .

(٣) «تنزيه الشريعة »

لابن حبان ، و « الضعفاء » للعقيلي و « الضعفاء » لأبي الفتح الأزدي ، و « تفسير ابن مردويه » و « معاجم الطبراني الثلاثة » ، والافراد للدارقطني ، ومافي تصانيف الخطيب وما في تصانيف ابن شاهين و « الحلية » لأبي نعيم ، و « تاريخ أصبهان » له ، وغيرهما من مصنفات أبي نعيم ، و « تاريخ نيسابور » للحاكم وغيره من مصنفات الحاكم . وكتاب « الأباطيل » للجوزقاني .

وقال ابن حجر : غالب ما في كتاب ابن الجوزي موضوع ، والذي ينتقد عليه بالنسبة الى مالا ينتقد قليل جدا (١) .

وهذا الكتاب النفيس كان محل انتقاد كثير من العلماء من أمثال ابن الصلاح (٢) ، والذهبي (٣) . والسخاوي (٤) وابن حجر(٥) والسيوطي(٦) وأحمد شاكر (٧) وغيرهم .

إذ أخذوا عليه توسعه في الحكم بالوضع على كثير من الاحاديث التي ليست موضوعة ، بل لقد حكم بالوضع على بعض الاحاديث الصحيحة ، ومن ذلك حديث أبي هريرة إن طالت بك مدة أوشك أن ترى قوما يغدون في سخط الله ، ويروحون في لعنته ، في أيديهم مثل أذناب البقر » وهو في « صحيح مسلم » (٨) .

(١) « تدريب الراوي » ١٨٢
(٢) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٨٩
(٣) « الميزان » للذهبي ١/١٦
(٤) « فتح المغيث » للسخاوي ١/٢٣٧
(٥) « اللسان » لابن حجر ٢/٨٤
(٦) « التدريب » ١٨٢ و « اللآلىء » ١/٢
(٧) « الباعث الحثيث » ٨٠
(٨) « صحيح مسلم » ٨/١٥٦

قال ابن حجر : (ولم أقف في كتاب « الموضوعات » لابن الجوزي على شيء حكم عليه بالوضع وهو في أحد الصحيحين غير هذا الحديث)[1] .

وقد ألف العلماء حول هذا الكتاب عددا من المؤلفات نذكر بعضها، فمن أهمها :

• « القول المسدد في الذب عن مسند أحمد » لابن حجر ، وقد دافع عن ٢٤ حديثاً .

وللسيوطي ذيل عليه ذكر ١٤ حديثاً أخرى ودافع عنها .

• و « القول الحسن في الذب عن السنن » للسيوطي .

وأود أن انبه الى وهم ذكره بعضهم إذ زعم أن كتاب « المنار » لابن القيم اختصار لكتاب « الموضوعات » وهذا قول باطل ينقضه النظر المتأني في الكتابين ومنهجيهما والاحاديث الواردة فيهما .

وذكر ابن كثير أن تاج الدين الفزاري اختصر « الموضوعات »[2].

٣ ــ « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » للامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى ٩١١ وهو من أحسن الكتب التي ألفت حول « الموضوعات » لابن الجوزي ، قال السيوطي رحمه الله : (وطالما اختلج في ضميري انتقاؤه وانتقاده واختصاره لينفع به مرتاده الى أن استخرت الله تعالى وانشرح صدري لذلك ...)[3] .

وهو يناقش المؤلف في عدد من الاحاديث التي لايوافقه على أنها موضوعة ، ويعد كثير من العلماء سكوته عن ابن الجوزي موافقة منه على أن الحديث موضوع .

---

(١) « القول المسدد » لابن حجر ص ٣١

(٢) « البداية والنهاية » ٣٢٥/١٣

(٣) « اللآلىء » ٢/١

وذكروا أنه زاد على ابن الجوزي أحاديث استخرجها من «تاريخ ابن عساكر» وابن النجار و «مسند الفردوس» للديلمي، وتصانيف أبي الشيخ .

٤ ــ «ذيل اللآليء المصنوعة» للسيوطي أيضا .

٥ ــ «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة» لعلي ابن محمد بن عراق المتوفى سنة ٩٦٣ هـ .

٦ ــ «تذكرة الموضوعات» لمحمد بن طاهر الفتني الهندي المتوفى سنة ٩٨٦ هـ

٧ ــ كتاب «الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة» [1] لعلي بن محمد بن سلطان المشهور بملا علي القاري المتوفى سنة ١٠١٤

٨ ــ كتاب «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» له أيضا .

٩ ــ «الفوائد الموضوعة في الاحاديث الموضوعة» [2] للعلامة مرعي ابن يوسف الكرمي المتوفى ١٠٣٣ .

١٠ ــ كتاب «الدرر المصنوعات في الاحاديث الموضوعات» لمحمد ابن احمد السفاريني المتوفى ١١٨٨ .

١١ ــ كتاب «الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة» لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى ١٢٥٠ .

١٢ ــ وكتاب «الآثار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة» لعبد الحي اللكنوي المتوفى سنة ١٣٠٤ .

١٣ ــ و «تحذير المسلمين من الاحاديث الموضوعة على سيد المرسلين» لمحمد البشير ظافر الازهري .

وغيرها كثير ولكننا اقتصرنا على المهم .

---

(١) وقد يسر الله لي تحقيقه ونشره سنة ١٣٩١ في بيروت .

(٢) وقد نشرته محققا لاول مرة في مجلة اضواء الشريعة العدد السادس جمادى الثانية ١٣٩٥ هـ

الباب الخامس

كتب الحديث



ان معرفة كتب علم ما من العلوم هي الخطوة الاولى في البحث والدراسة فلا بد لطالب العلم اذا أراد البحث والاطلاع من أن يكون واقفا على خصائص كتب الفن الذي يريد أن يشتغل فيه ، فلكل كتاب طريقة خاصة به ومزايا ينفرد بها •

ومن هنا كان هذا البحث من أهم المباحث وأعودها بالنفع والفائدة•

وان التعريف بكتب السنة موضوع جليل كبير ، وقد ألفت فيه كتب خاصة [1] ، وليس من المستطاع أن تتعرض الى التعريف بكل كتب السنة ، ولكننا سنعرف أولا بأنواع كتب الحديث ثم نعرف بأهم هذه الكتب •

(١) من أهم هذه الكتب كتاب « الرسالة المستطرفة » للكتاني

رأينا في مبحث تدوين السنة تطور كتابة الحديث وقررنا هنـاك أن القرن الثالث الهجري هو العصر الذهبي للتدوين ، اذ نبغ فيه عدد من الجهابذة الافذاذ الذين تركوا لنا الكتب الجامعة المهمة ، وتابع مهمتهم على توالي العصور عدد من العلماء الاعلام ... فكان من ذلك كلـه مكتبة ضخمة جمعت الالوف من الكتب والمجموعات الحديثية .

وقد كانت هناك طرق متعددة في تصنيف الحديث وجمع متونه . من أهمها طريقتان هما :

١ ــ التصنيف على أبواب الفقه : وهذا ما سنراه في الجوامع والسنن .

٢ ــ ومنها : التصنيف على الرواة من الصحابة : وهذا ما سنراه في المسانيد وهناك طرق أخرى ستمر بنا في حديثنا عن أنواع كتب الحديث .

وقد وصلتنا معظم هذه الكتب التي خلفها **أولئك الأئمة الاعلام** ، وتناقلها **أهل الحديث** كابراً عن كابر **وعند ظهور الطباعة قام عـدد من** المحققين بخدمة بعض هذه الكتب ونشرها في طبعات جميلة مشرقـة ، وما يزال المخطوط الذي لم يطبع كثيراً .

الفصل الأول

أنواع كتب الحديث

سأعرض بإيجاز بالغ الى التعريف بالانواع الاتية :

١ ـ الجوامع
٢ ـ المسانيد
٣ ـ السنن
٤ ـ المستدركات
٥ ـ المستخرجات
٦ ـ المعاجم
٧ ـ الاجزاء
٨ ـ الاطراف
٩ ـ الرجال
١٠ ـ المصطلح
١١ ـ الفهارس
١٢ ـ المختارات
١٣ ـ أدلة الاحكام

وهناك أنواع أخرى ذكرناها خلال بحثنا في الموضوعات المتعلقة

بها فيما سبق من هذا الكتاب ، ككتب الموضوعات وكتب الاحاديث المتواترة والاحاديث القدسية ... وغيرها .

١ ـ الجوامع :

الجامع من كتب الحديث هو ما اشتمل على جميع أبواب الحديث التي اصطلحوا على أنها ثمانية وهي :

١ ـ باب العقائد
٢ ـ باب الاحكام
٣ ـ باب الرقاق
٤ ـ باب آداب الطعام والشراب
٥ ـ باب التفسير والتاريخ والسير
٦ ـ باب الشمائل
٧ ـ باب الفتن
٨ ـ باب المناقب والمثالب

ومن الجوامع كتاب البخاري والترمذي

٢ ـ المسانيد :

المسند كتاب ذكرت الاحاديث فيه حسب ترتيب أسماء رواتها من الصحابة ، والخطة التي تراعى في ترتيب هذه الاسماء تختلف من عالم الى عالم .

فهناك من يعتمد ترتيب أسماء الصحابة حسب السبق في الاسلام ويبدأ بالعشرة ثم بالمتقدمين من أهل بدر .. ثم أهل الحديبية . ثم من أسلم وهاجر بين الحديبية والفتح ، ثم من أسلم يوم الفتح ، ثم أصاغر الصحابة سنا ، ثم يختم بالنساء .

ومنهم من يعتمد ترتيب الأسماء حسب الاحرف الهجائية .

ومنهم من يعتمد ترتيبها حسب الانساب فيبدأ ببني هاشم ، ثم الاقرب فالاقرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النسب[1] .

ومن المسانيد ما صنف مؤلفه أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه مثل « المسند الكبير » لبقي بن مخلد القرطبي المتوفى سنة ٢٧٦ هـ رتبه على أسماء الصحابة وروى فيه عن ألف وثلاثمائة صحابي ونيف، ثم رتب أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه، فجاء كتابا حافلا مع ثقة مؤلفه وضبطه واتقانه .

قال الاستاذ الشيخ أحمد شاكر : ولكن هذا الكتاب الجليل لم نسمع بوجوده في مكتبة من مكاتب الاسلام ، وما ندري أفقد كله ؟ ولعله يوجد في بعض البقايا التي نجت من التدمير في الاندلس[2] .

ومن أهم المسانيد وأعظمها مسند الامام أحمد بن حنبل رحمه الله : أما أول من صنف المسند فهذا يحتاج الى بحث واستقصاء ، وقد نقل الذهبي عن ابن عدي أن (يحيى بن عبد الحميد الحماني هو أول من صنف المسند بالكوفة ؛ ومسدد بن مسرهد أول من صنف المسند بالبصرة)[3] .

---

(١) « مفتاح السنة » للخولي ص ٢٩

(٢) « الباعث الحثيث » ص ١٨٦ وانظر « مفتاح السنة » ص٣١ و«الرسالة المستطرفة» ص٧٤ و«نفح الطيب» ٥٨١/١ و ١٤١/٢ و١٦٢/٤ وانظر « تاريخ التراث العربي » لفؤاد سزكين ٣٩٠/١ فقد ذكر أنه من هذا المسند اقتباسات في «الاصابة» وانظر أيضا «فهرس مخطوطات الظاهرية» للشيخ ناصر الالباني ص١٦٠ فقد ذكر ان في الظاهرية بدمشق « منتقى من حديث بقي بن مخلد وآخرين » لابي حفص المؤدب

(٣) «تذكرة الحفاظ » ٢٤/٢

٣ ـ المعاجم .

المعجم ما تذكر فيه الاحاديث عـلى ترتيب الصحابة أو الشيوخ أو البلدان .

والغالب أن تكون مرتبة على حروف المعجم [١] واشهر المعاجـم المعاجم الثلاثة للطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ الكبير والمتوسط والصغير . رتب في « الكبير » الصحابة على الحروف وهو مشتمل علـى ٢٠ ألف حديث ، ورتب في « الاوسط » و « الاصغر » شيوخه على الحروف[٢].

٤ ـ المستدركات :

كتاب يستدرك فيه مؤلفه ما فات مؤلفاً آخر في كتاب لـه عـلى شرطه .

ومن اشهر المستدركات « مستدرك الحاكم » [٣] على الصحيحين ، الذي اعتنى بضبط الزائد عليهما مما هو على شرطهما ، أو شرط أحدهما، أو صحيح أدى اجتهاده الى تصحيحه وان لم يكن على شرط واحـد منهما معبرا عن الاول بقوله : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وعن الثاني : على شرط البخاري أو مسلم ، وعن الاخير بقوله : هـذا حديث صحيح الاسناد ، وربما أورد فيه ما هو في الصحيحين ، وربمـا

(١) « الرسالة المستطرفة » ص ١٠١

(٢) «مفتاح السنة »ص٣٣

(٣) هو محمدبن عبد الله الحاكم النيسابوري المعروف بابن البيع توفي سنة ٤٠٥ هـ .

أورد فيه ما لم يصح عنده من الاحاديث منبها على ذلك ، وهو متساهل في التصحيح وقد لخص الذهبي « المستدرك » وتعقب كثيراً منه [1].
طبع « المستدرك » في الهند في أربعة أجزاء ، وطبع معه كتاب الذهبي .

٥ ـ المستخرجات :

المستخرج : مشتق من الاستخراج ، وذلك أن يأتي المصنف الى الكتاب فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من طريق غير طريق صاحب الكتاب ، فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه [٢] .

• من ذلك مستخرج أبي بكر الاسماعيلي المتوفى (٣٧١ هـ) على البخاري [٣] .

• ومستخرج أبي عوانه الاسفراييني المتوفى (٣١٦ هـ) على مسلم [٣] .

• وللمستخرجات فوائد منها :

١ ـ ما قد يقع فيه من زوائد في الحديث لأنهم لا يلتزمون ألفاظ المستخرج عليه .

٢ ـ وما قد يقع فيها من التصريح بالسماع مع كون الأصل معنعناً أو من تسمية مبهم في الاصل .

٣ ـ علو الإسناد : إذ رواية الحديث عن صاحب المستخرج عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه .

---

(١) « التدريب » ص٥١ وما بعدها
(٢) « التدريب » ص٥٣
(٣) « مفتاح السنة » ص ٧٨ و « التدريب » ص ٥١

٤ ـ زيادة قوة الحديث بكثرة طرقه [١] .

• وقد اعتنى كثير من الحفاظ بالتخريج وقصروا ذلك في الاكثر علىالصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن [٢] .

٦ ـ الاجـزاء :

الجزء كتاب يضم أحاديث مروية عن صحابي معين ، أو عن تابعي معين ، أو أحاديث متعلقة بموضوع واحد كجزء في قيام الليل للمروزي وجزء القراءة خلف الامام للبخاري .

٧ ـ السنـن :

وهي كتب تكتفي بذكر الاحاديث وتقتصر عليها ولا تذكر شيئا من الآثار ، وتلتزم غالباً الترتيب على أبواب الاحكام .
جاء في « الرسالة المستطرفة » :

(السنن : وهي ـ في اصطلاحهم ـ الكتب المرتبة على الابواب الفقهية من الايمان والطهارة والصلاة والزكاة الى آخرها .

وليس فيها شيء من الموقوف . لان الموقوف لايسمى في اصطلاحهم سنة ويسمى حديثا) [٣] . والمثال عليها « سنن أبي داود ».
وهناك كتب تعرف بـ « كتب السنة » وهي الكتب الحاضة على

---

(١) « شرح مسلم » للنووي ٢٦/١
(٢) « مفتاح السنة » ص٧٧ « الرسالة المستطرفة » ص ٢٦ .
(٣) « الرسالة المستطرفة » ص ٣٢

اتباعها والعمل بها ، وترك ما حدث بعد الصدر الاول من البدع والاهواء [1] .

٨ ـ الاطراف :

وهي كتب تجمع الاحاديث على الاطراف ، وذلك بأن يذكر طرف الحديث ثم تجمع أسانيده إما مع عدم التقيد بكتب مخصوصة ، واما مع التقيد بها كما فعل الحافظ العراقي المتوفى (٨٠٦) في « اطراف الكتب السنة » .

ومن الذين ألفوا في الأطراف عبد الغني النابلسي المتوفى ١١٤٣هـ الذي ترك لنا كتابه القيم « ذخائر المواريث » .

وكذلك فان من الذين ألفوا في هذا المجال الحافظ المزي المتوفى ٧٤٢ الذي ترك كتاباً رائعاً هو « تحفة الاشراف » وقد صدرت منه بضعة اجزاء في الهند .

والاطراف كتب تعد من معاجم كتب السنة وفهارسها .

قال الاستاذ محمد عبد الرزاق حمزة :

(والخلاصة انك تستفيد من كتب الاطراف :

١ ـ طرق الحديث عند أصحاب الكتب الستة ، فتعرف إن كان غريبا أو عزيزا أو مشهورا .

٢ ـ رجال الاسناد لكل حديث ، ويظهر مبهماته كسفيان هل هو الثوري ، أو ابن عيينة. وحماد هل هو ابن زيد أو ابن سلمة مثلا.

٣ ـ تصحيح ما يقع من الاغلاط المطبعية أو القلمية في أسانيد كتب السنة الستة .

---

(١) « الرسالة المستطرفة » ص ٣٧

٤ ـ معرفة من أخرج الحديث من أصحاب الدواوين المشهورة أو بعضهم وموضع تخريجه عند من أخرجه منهم .

٥ ـ فائدة سلبية ، وهي معرفة أن الحديث ليس عند واحد من أهل الكتب المذكورة فاذا رأيت حديثا من « مسند أحمد » أو غيره مثلا ، وأردت أن تعرف هل أخرجه البخاري أو مسلم أو أبو داود مثلا مررت في كتاب الاطراف على ترجمة ذلك الصحابي فاذا لم تجد فيها هذا الحديث عرفت أنه ليس في الكتب الستة .

٦ ـ اختلاف نسخ الكتب الستة : فكثيرا ما تختلف نسخ « البخاري» و « أبي داود » و « النسائي » بذكر بعض الاحاديث وحذفها والتعليق عليها ، فتستفيد من كتاب « الاطراف » للمزي أن هذا الحديث في نسخة فلان وفلان من أصحاب نسخ « البخاري » أو « أبي داود » أو « النسائي » رحمهم الله تعالى [1] .

٩ ـ كتب الرجال :

وهي الكتب التي تعرف برجال الحديث . وقد سبق أن أشرنا إليها عند كلامنا على علم الجرح والتعديل والتاريخ .

وهي على أنواع : فبعضها في الصحابة ، وبعضها عام في الرجال وبعضها خاص برجال كتب معينة كالكتب الستة ، وبعضها في الضعفاء وبعضها في الثقات .

---

(١) انظر « تحفة الاشراف » ٢/٤٤ من المقدمة .

١٠ - كتب المصطلح :

وهي الكتب التي تبحث في قواعد مصطلح الحديث .

قال ابن حجر : (فمن أول من صنف في ذلك القاضي أبو محمد الرامهرمزي في كتابه « المحدث الفاصل » [١] ، ولكنه لم يستوعب . والحاكم أبو عبد الله النيسابوري [٢] لكنه لم يهذب ولم يرتب ، وتلاه أبو نعيم الأصبهاني فعمل على كتابه « مستخرجا » وأبقى أشياء للمتعقب ، ثم جاء بعدهم الخطيب البغدادي فصنف في قوانين الرواية كتاباً سماه « الكفاية » [٣] .

وفي آدابها كتاباً سماه « الجامع لآداب الشيخ والسامع » [٤] ... فجمع القاضي عياض كتاباً لطيفاً سماه « الإلماع » [٥] . وأبو حفص الميانجي جزءا سماه « ما لايسع المحدث جهله » [٦] ... الى أن جاء الحافظ الفقيه تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشهرزوري نزيل دمشق ، فجمع لما تولى تدريس الحديث بالمدرسة

---

(١) وقد نشره صديقنا الدكتور محمد عجاج الخطيب سنة ١٣٩١هـ

(٢) وهو كتاب « معرفة علوم الحديث » وقد نشره السيد معظم حسين .

(٣) طبع في الهند ثم أعيد طبعه في مصر ١٩٧٢ م

(٤) وهو مخطوط في الاسكندرية (انظر مقدمة محقق « معرفة علوم الحديث » ص كب)

(٥) وقد نشره السيد أحمد صقر ١٣٨٩ - ١٩٧٠

٦ نشره الاستاذ السيد صبحي السامرائي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

الاشرفية كتابه المشهور [١] ، فهذب فنونه ، وأملاه شيئا بعد شيء ،فلهذا لم يحصل ترتيبه عـلى الوضع المتناسب) [٢] .

ثم جاء النووي وابن كثير والزركشي وابن حجر والسيوطـي والسخاوي فألفوا في ذلك كتباً تدور حول كتاب ابن الصلاح وهـي معروفة مشهورة .

وفي الحقبة الاخيرة ألف كتابان من أنفع الكتب في هذا الفن هما « توجيه النظر » لطاهر الجزائري و « قواعد التحديـث » لشيـخ مشايخنا جمال الدين القاسمي رحمهما الله .

١١ ـ كتب الفهارس :

وهي الكتب التي تسهل للباحث الوقوف على الحديث المطلوب ، ويمكن أن نعد منها كتب الأطراف . كما يمكن أن نعد منها الكتب التي على غرار « الجامع الصغير » للسيوطي .

وفي العصر الحديث كثر ظهور الفهارس الحديثية :

• فهناك فهارس خاصة بكتاب معين مثل الفهـارس التي ألفت حول البخاري .

• وهناك فهارس عامة رتبت موادها حسب الموضوعات ترتيبا هجائياً مثل كتاب « مفتاح كنـوز السنة » تأليف فنسنك وترجمـة محمد فؤاد عبد الباقي وهو يدلك على ما ورد في كتب السنة التـي فهرسها هذا الكتاب من أحاديث موضوع معين فتلتمس هذا الموضوع في محله من الكتاب على هذا الترتيب فيحيلك الى مواضيع الاحاديث في كتب السنة كما يدلك على موضع الحديث من كتب السنة ، وذلك

---

(١) وكتابه « علوم الحديث »واشتهر بمقدمة ابن الصلاح وقد شرح ونظم وطبع مرات

(٢) « شرح النخبة » ص١ .

بالرجوع الى الحرف الذي يبدأ به موضوع الحديث ، وقد فهرس ١٤ كتاباً هي : الكتب الستة ،ومسند أحمد ،وموطأ مالك ، وسنن الدارمي، ومسند زيد بن علي ، وطبقات ابن سعد ، ومسند الطيالسي ، وسيرة ابن هشام ، ومغازي الواقدي ، ووضع لكل كتاب منها رمزا •

وهناك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث . وضعه جماعة من المستشرقين ، ويدلك على موضع الحديث من كتب السنة إن عرفت كلمة واحدة من الحديث •

وقد فهرس هذا المعجم ٩ كتب . هي الكتب الستة ومسند أحمد وموطأ مالك وسنن الدارمي •

١٢ ـ كتب المختارات :

وهي الكتب التي يختار مؤلفوها عددا من الاحاديث إما من كتاب واحد وإما من كتب متعددة •

ومن أشهرها « رياض الصالحين » للنووي . وقد التزم مؤلفه فيه صحة الاحاديث •

و « الترغيب والترهيب » للمنذري . وقد وضع له مصطلحات تعين على معرفة درجته •

١٣ ـ كتب ادلة الاحكام :

وهي الكتب التي تجمع أدلة الاحكام على ترتيب ابواب الفقه •

• ومن أشهرها كتاب « العمدة في الاحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام » لعبد الغني

ابن عبد الواحد المقدسي المتوفى ٦٠٠ هـ وقد شرحه ابن دقيق العيد وغيره .

• « والإلمام بأحاديث الاحكام » لابن دقيق العيد المالكي الشافعي المتوفى ٧٠٢ هـ .

• و « المنتقى في الاحكام » لعبد السلام بن عبد الله ابن تيمية الجد وقد شرحه الشوكاني في كتابه « نيل الأوطار »

• و « بلوغ المرام من أحاديث الأحكام » لابن حجر وقد شرحه الصنعاني في « سبل السلام » .

ملاحظة هامة :

إن هذه الأنواع السابقة من الكتب قد يكون فيها شيء من التداخل ، والتعريفات التي أشرنا إليها تقريبية في بعضها ، فالمسانيد تشبه المعجمات ، و «صحيح مسلم» أقرب الى الجوامع وإن كان يخالفها في اقتصاره على ذكر الاحاديث وعدم ايراده شيئا من الآثار .

الفصل الثاني

الكتب الستة

وهي « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » و « جامع الترمذي » و « سنن النسائي » و « سنن أبي داود » و « سنن ابن ماجه » وقد اقترح بعضهم ان يكون «موطأ مالك» عوضا عن ابن ماجه.

واقترح آخرون أن يكون « سنن الدارمي » .

وهذه (الكتب الستة كادت لاتغادر من صحيح الحديث إلا النزر اليسير . وهي التي عليها يعتمد المستنبطون ، وبها يعتضد المناظرون ، وعن محياها تنجاب الشبه ، وبضوئها يهتدي الضال وببرد يقينها تثلج الصدور) [1]

---

(١) «مفتاح السنة » ٢٨

١ ـ صحيح البخاري :

ترجمته (١) :

هو الامام محمد بن اسماعيل ، أبو عبد الله ، أصله فارسي ، فقد كان جده المغيرة مولى لإسماعيل الجعفي والي بخارى ، فانتسب إليه بعد إسلامه .

ولد ببخارى سنة ١٩٤ ، ونشأ يتيما ، وأخذ يحفظ الحديث وهو دون العشر ، وكان عجيب الحفظ .

وقد جرت له في بغداد حادثة تشهد له بالذكاء والحفظ والضبط ، ذلك أن عددا من علماء الحديث فيها أرادوا امتحانه ، فسألوه عن مائة حديث مغلوطة ، أسانيدها بغير متونها ، فسردها كما ألقوها وأنكر معرفتها ، ثم رواها على الوجه الصحيح (٢) ، ورحل في طلب العلم الى الشام ومصر والجزيرة والعراق والحجاز ، وأقام في الحجاز ستة أعوام ، وتلقى الناس عنه ولم يبلغ ١٨ سنة ، وكان مجداً في التأليف

---

(١) انظر ترجمته في :
« تاريخ بغداد » ٢/٤ـ٣٤ و « وفيات الاعيان » ٣/٣٢٩ و « طبقات الشافعية » ٢/٢١٢ـ٢٤١ و « طبقات الحنابلة » ١/٢٧١ ـ ٢٧٩ و « شذرات الذهب » ٢/١٣٤ و « البداية والنهاية » ١١/٢٤ و « تذكرة الحفاظ » ٢/٥٥٥ و « الوافي بالوفيات » ٢/٢٠٦ و « النجوم الزاهرة » ٣/٢٥ و « معجم البلدان » ١/٥٣ و « الجرح والتعديل » القسم الثاني ٣/١٩١ .

(٢) «علوم الحديث » لابن الصلاح ٩١ و « اختصار علوم الحديث » لابن كثير ٨٧ و « تدريب الراوي » ١٩١

والتحصيل ، يقوم في الليلة الواحدة ثماني عشرة مرة أو أكثر ، يسرج المصباح ويستذكر أشياء ، ويخرج أحاديث فيعلم عليها .

سمع من نحو ألف شيخ [1] وجمع نحو ستمائة ألف حديث [2] وكان من الأئمة المجتهدين ، له آراء فقهية مشهورة [3] وقد تنازعته معظم المذاهب الفقهية ، كان قليل الأكل ، كثير الاحسان الى الطلبة ، شديد الورع ، مهذب العبارة حتى مع المخالفين له ، كان يقول فيمن يريد جرحه من الساقطين والمتروكين : فيه نظر ، أو سكتوا عنه وقال يوما : أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا ، فقال له بعض الشهود : إنك جرحت بعض الرواة ، فقال : ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا وقد قال صلى الله عليه وسلم : «بئس أخو العشيرة» . يكثر من قراءة القرآن ، له كتب كثيرة ، وقد توفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ رحمه الله عن عمر يقارب اثنتين وستين سنة .

كتبه : الف كتبا كثيرة أهمها « الجامع الصحيح » وقد أوردها معظم الذين ترجموا له ، مثل « الثلاثيات » و « التاريخ الاوسط » و « التاريخ الصغير » وكتاب « الضعفاء الكبير » و « الصغير » وكتاب « الأدب المفرد » و « تنوير العينين برفع اليدين في الصلاة » و « خير الكلام في القراءة خلف الامام » و « خلق أفعال العباد » ، ومعظم هذه الكتب مطبوع .

---

(١) انظر قيمة تعدد الاساتذة فيما كتبته في مقدمة كتاب « الباعث على الخلاص » للحافظ العراقي ص ٩٢–٩٣ .

(٢) «شرح القسطلاني » ١/٢٩

(٣) وهي مذكورة في كتابه « الجامع » وقد اورد بعضها الاستاذ الخولي في « مفتاح السنة » ص٣٦

خصائص كتـابه الجامع الصحيـح :

هو أول كتاب ألف في الصحيح المجرد وكانت الكتب قبله ممزوجا فيها الصحيح وغيره (١) وقد اتفق جمهور العلماء على أنه أصح الكتب بعد القرآن ، ابتدأ تأليفه بالحرم الشريف ، ولبث في تصنيفه ست عشرة سنة ، وأتمه ببخارى ، وما كان يضع فيه حديثا إلا بعد أن يغتسل ويصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه (٢) ، هذا بعد استكمال وسائل البحث والدقة في تحري الصواب ، ومات البخاري قبل أن يفرغ من تبييض كتابه تبييضا نهائيا .

عـدد أحاديثه :

عدد أحاديثه بالمكرر وبما فيه من التعليقات والمتابعات واختلاف الروايات (٩٠٨٢) سوى الموقوف على الصحابة وأقوال التابعين (٣) ، وعدد احاديثه الموصولة بغير المكرر (٢٥١٣) (٤) .

أما خصائصه ،فسنذكر خصائص هذا الكتاب الجليل معتمدين على أمـريـن :

أولهمـا :

اسمه كما وضعه له مؤلفه فان هذا الاسم يدل على عدد من الخصائص .

وثانيهمـا :

النظر في الكتاب نفسه وما ذكره العلماء في ذلك .

اسمه كما يلي : « الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور

---

(١) « الرسالة المستطرفة » ص٤

(٢) « التاج المكلل » ص١٠٧ و « جامع الاصول » ١/١٠٩ و « مفتاح السنة » ص٣٧ و « شرح القسطلاني » ١/٢٩

(٣) «مقدمة فتح الباري » طبع المطبعة السلفية ص ٤٦٩

(٤) «فتح الباري ١/٨٤ طبع المطبعة السلفية

رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه »[1] وقد دل اسم الكتاب على محتوى الكتاب ونهجه :

١ ـ فقد دل اسم الكتاب على أنه جامع (وقد رأينا مدلول كلمة جامع عند المحدثين)[2] .

٢ ـ ودلت هذه التسمية على أن الاحاديث فيه صحيحة أي ليس فيه حديث ضعيف ولاحسن .

٣ ـ ودلت هذه التسمية على أن مقصوده تخريج الاحاديث التي اتصل اسنادها . أما ماوقع في الكتاب من غير ذلك فانما وقع عرضا وتبعا لا أصلا مقصودا .

٤ ـ ودلت هذه التسمية على أن المؤلف إنما يضع مختصراً ولم يقصد الاستيعاب ولم يلتزم إخراج كل ما صح من الحديث ، فقد روي عنه أنه يقول : أحفظ مائة ألف حديث صحيح[3] وأحفظ

---

(١) « توجيه النظر » ص٨٨ نقلا عن السيوطي في كتابه «التوشيح» .

(٢) انظر ماذكرناه عن « الجامع » في الفصل السابق .

(٣) قال النووي : أراد البخاري بلوغ مائة ألف بالمكرر والموقوف وآثار الصحابة والتابعين وفتاويهم مما كان السلف يطلقون على كل منها اسم الحديث ، وهو متعين (نقلا عن « قواعد التحديث » ص٦١) .

وقال الكتاني في « التراتيب الادارية » ٢/٢٠٤ : (بين البيهقي ان مرادهم بهذه الاعداد العظيمة مايشمل السنة وآثار الصحابة والتابعين أو انهم كانوا يريدون طرق الحديث المتنوعة ، فيجعلون كل طريق حديثا ، وكل حديث له طرق وروايات) .

وجاء في « صيد الخاطر » لابن الجوزي : (جرى بيني وبين أصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد : صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمائة ألف حديث ، فقلت له : انما يعني به الطرق) .

مائتي ألف حديث غير صحيح ، ويقول ايضا : لم اخرج في هـذا الكتاب الا صحيحا ، وما تركت من الصحيح اكثر ، ونقل عنه القسطلاني قوله : خرجته من ستمائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله وما أدخلت فيه الا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر حتى لا يطول [1] .

٥ ـ ودلت هـذه التسمية على أنـه اسـتهدف في كتابه اسـتنباط احكام الفقه وايراد السيرة وتفسير القرآن ، وسنرى مصداق ذلك في سردنا لعناوين كتبه في الصحيح بعد قليل .

واذا نظرنا في الكتاب نفسه استطعنا أن نضيف الى ماسبـق الخصائص الأخرى الآتية :

٦ ـ الكتاب خلا من المقدمة ، وذكر ابن حجر أن تصانيف الأئمـة من شيوخ البخاري ، وشيوخ شيوخه وأهل عصره كمـالك في « الموطأ » وعبد الرزاق في « المصنف » وأحمد في « المسند »

وأبي داود في « السنن » الى مالا يحصى ممن لم يقدم في ابتداء تصنيفه خطبة ، ولم يزد على التسمية ، وهم الأكثر والقليـل منهم من افتتح كتابه بخطبة [2] .

٧ ـ في الكتاب تكرار للاحاديث وتقطيع لها : فقد يذكر البخـاري الحديث في مواضع متعددة ، ويستدل به في كل موضع لمعنى وحكم معين ، ذلك لان الحديث الواحد قد يتضمـن أحيانا أحكامـا

---

(١) « شرح القسطلاني » ٢٩/١

(٢) « فتح الباري » ٩/١ وانظر كتابنا « ابـو داود : حياتـه وسننـه » ص٢٨٢

عديدة ،فيورده في أكثر من موضع ، وتحت عناوين متباينة . تبعا للمعنى الذي دل عليه الحديث ، ورغبة منه في أن يأتي بجديد فإنه يعمد الى ايراد الحديث من طريق إسناد جديد . وقد يكون في اللفظ اختلاف يسير ... ولا يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد .

قال ابن حجر : [تقرر أن البخاري لايعيد الحديث الا لفائدة ، لكن تارة تكون في المتن . وتارة في الاسناد . وتارة فيهما . وحيث تكون في المتن خاصة لايعيده بصورته ، بل يتصرف فيه ، فان كثرت طرقه أورد لكل باب طريقا ، وان قلت اختصر المتن أو الاسناد ... فلايوجد في كتابه حديث على صورة واحدة في موضعين فصاعدا إلا نادرا][1] .

مثال على تكرار الحديث باختلاف يسير في اللفظ باسنادين مختلفين :

(باب حلاوة الإيمان . حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي قال : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » [2] .

ثم أورد هذا الحديث في باب آخر على الوجه الآتي :

(باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار من

---

(١) « فتح الباري » ١/٨٤

(٢) « صحيح البخاري » ١/٩

الايمان • حدثنا سليمان بن حرب قال : حدثنا شعبة عن قتادة عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : من كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لايحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار [1] •

أما إذا كان الحديث طويلا ويتضمن أحكاماً عديدة فانه يضطر الى أن يقطع الحديث في أبواب ، ذلك لأنه إن أورد الحديث كاملا في كل باب من الابواب التي فيها من الاحكام ما يدخله فيها طال الكتاب، وان حذفه في الابواب الأخرى مقتصراً على أنه سبق أن ذكره يختل النهج الذي التزمه ، ولكنه في تقطيع الحديث يظهر براعة فنية صناعية فائقة ، وذلك عن طريق التلوين في إيراد الحديث بإسناد آخر أو برواية يختلف المتنان فيها •

فان كثرت الأحكام عن عدد الرواة عدل عن ايراد الإسناد تاما الى اختصاره مطلقا ، وهذا سبب من الاسباب التي جعلت المؤلف يأتي بالحديث معلقا في مكان ثم يأتي به موصولا في موضع آخر ، ومن المفيد أن نورد ما يذكره بعض العلماء من أن البخاري رحمه الله قد يكون الحديث عنده ثابتا ، وله طرق بعضها أرفع من بعض وأصح ، غير أنه يعدل عن الطريق الأصح لنزوله أو لأنه يسأم تكرار الطرق أو ما أشبه ذلك •

---

(١) « صحيح البخاري » ١/١٠ والفرق واضح بين الحديثين في الاسناد والمتن ايضا .

وتقطيع الحديث أمر جائز كمانص على ذلك العلماء قال الخطيب : (اذا كان المتن متضمناً لعبادات وأحكام لاتعلق لبعضها ببعض ، فإنه بمثابة الاحاديث المنفصل بعضها من بعض ، ويجوز تقطيعه ، وكان غير واحد من الأئمة يفعل ذلك) [1] .

٨ ــ ومن خصائص هذا الكتاب العظيم أن المؤلف يختار من الاحاديث ما فيه إشارة الى المعنى الذي يقصد ،ويفضله على الاحاديث الصريحة في ذلك .

٩ ــ في هذا الكتاب أحاديث معلقة ، وقد سبق أن ذكرنا أن المعلق مشترك بين الصحيح والحسن والضعيف ، قال النووي ــ وهو يتحدث عن المعلق في صحيح البخاري ــ : (وعلى المدقق اذا رام الاستدلال به أن ينظر في رجاله وحال سنده ليرى صلاحيته للحجة وعدمها) [2]

وعدد الاحاديث المعلقات في « صحيح البخاري » (١٣٤١) كما عدها الحافظ ابن حجر [3] . وأكثر هذه المعلقات موصول في موضع آخر من كتاب « الصحيح » [3] وإنما أوردها البخاري معلقة اختصارا ومجانبة للتكرار .

والذي لم يصله المؤلف منها في موضع آخر (١٦٠) حديثا ، وقد وصلها شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله في كتاب مفرد لطيف سماه

---

(١) « الكفاية في علم الرواية » ص ١٩١ ط حيدر آباد الهند سنة ١٣٥٧ هـ .

(٢) نقلا عن « قواعد التحديث » ص ١٠٥ .

(٣) « هدي الساري » ٤٦٩ وانظر « التدريب » ٥٠ .

« التوفيق » وله في جميع التعليق والمتابعات والموقوفات كتاب جليل سماه « تعليق التعليق » واختصره بلا أسانيد في كتاب آخر سماه « التشويق الى وصل المهم من التعليق » هذا وقد يورد البخاري الحديث معلقا لقصد الاحتجاج للعنوان .

والمعلقات في « صحيح البخاري » أنواع : فهناك معلقات مرفوعة وهناك معلقات موقوفة .

وهذه الاحاديث المعلقة لايلزم من ورودها في « صحيح البخاري » كونها صحيحة بل منها ماهو ضعيف ومنها ماهو صحيح ، وقد ذهب كثير من العلماء الى أن المعلق عندما يرويه البخاري بلفظ فيه جزم مثل (قال) صحيح .

ومن هؤلاء العلماء ابن الصلاح الذي يذهب الى أن المعلق عند البخاري إن كان (بلفظ فيه جزم وحكم به على من علقه عنه فقد حكم بصحته عنه ، مثاله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا . قال ابن عباس « كذا » وما أشبه ذلك من العبارات فكل ذلك حكم منه على من ذكره عنه بأنه قد قال ذلك .

فلن يستجيز إطلاق ذلك الا اذا صح عنده ذلك عنه . . وأما مالم يكن في لفظه جزم وحكم مثل (روي عن رسول الله كذا وكذا ، أو روي عن فلان كذا وكذا ، أو في الباب عن النبي كذا وكذا) فهذا وما أشبهه من الالفاظ ليس في شيء منه حكم بصحة ذلك عمن ذكره عنه)[1]

---

(١) « علوم الحديث » لابن الصلاح ٢٠ ــ ٢١ وانظر « شرح القسطلاني » ٢٦/١ و « الترغيب والترهيب » للمنذري ٨٢/١ عند ذكر كل من المنذري والقسطلاني مثل ما ذكر ابن الصلاح .

١٠ ــ وفي كتاب « صحيح البخاري » متابعات ، وقد بلــغ عدد المتابعات والتنبيه على اختلاف الروايات (٣٤٤) حديثا •

١١ ــ وفي الكتاب أيضا أقوال للصحابة والتابعين رضي الله عنهم•

١٢ ــ لا يعبر في « صحيحه » بقوله (وقال لي فلان) إلا في الاحاديث التي يكون في إسنادها عنده نظر ، أو التي تكون موقوفــة • وهذا هو الفرق بين قوله (حدثنــا فلان) وقوله (قال لي فلان) [١]

١٣ ــ شروط المؤلف في الحديث الصحيح شروط متشددة فلقد اشترط في رواته اللقــاء ، أي أن يكون الراوي قد ثبت له لقــاء من روى عنــه ، وينتقي من الرجال أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وإن أخرج حديثا لا يكون بهذه الصفة فانما يخرجــه في المتابعات ، أمــا مسلم فقــد اكتفى بالمعاصرة •

أمــا الشروط الاخرى [٢] اللازمــة ليكون الحديث صحيحا فقد بالغ البخاري في التحري بشأنها حتى أصبحت شروطا قوية جدا •

١٤ ــ كتاب البخاري كتاب بحث واستنباط ودراسة للاحاديث وليس كتابا يسردهــا •

١٥ ــ وهو كتاب يتعمد أن يربط دلالة الآيــة بالحديث ، فمن ذلك قوله : (باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها الا بالشرك لقول النبي صلى اللــه عليه وسلم « انــك امرؤ فيــك جاهلية » وقول الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)

---

(١) « قواعد التحديث » للقاسمي ١٩٥ ــ ١٩٦ •

(٢) وهي الاتصال والسلامة من العلة والشذوذ وعدالة الــرواة وضبطهم •

حدثنا سليمان بن حرب قال حدثنا شعبة بن واصل الاحدب عن المعرور قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألته عن ذلك فقال : أني سابيت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم »[1] .

وواضح أن في هذا الاستشهاد بالآية ما يدل على أن البخاري كان كثيرا ما يفسر الآيات ويشير الى المعنى الذي انتبه اليه وهو دقيق ، وربما لا ينتبه اليه كثير من الناس .

وقريب من ذلك ما ورد في ص ١٦ من الجزء الاول حيث قال :

(باب « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما » فسماهم المؤمنين) . وقد تكون هذه الدقة سببا في خفاء معنى عبارة البخاري .

١٦ ـ ومن المفيد أن نستعرض كتب الجامع الصحيح لنتعرف مضمونه وسأوردها على الترتيب الذي أوردها به المؤلف وهي :

بدء الوحي ـ الايمان ـ العلم ـ الوضوء ـ الغسل ـ الحيض التيمم ـ الصلاة ـ مواقيت الصلاة ـ الأذان ـ الجمعة ـ صلاة الخوف ـ صلاة العيدين ـ الوتر ـ الاستسقاء ـ الكسوف ـ سجود القرآن ـ تقصير الصلاة ـ التهجد ـ الصلاة في مسجد مكة والمدينة ـ العمل في الصلاة ـ السهو ـ الجنائز ـ الزكاة ـ الحج ـ العمرة ـ

---

(١) « صحيح البخاري » ١/١٥ .

المحصر ــ جزاء الصيد ــ فضائل المدينة ــ الصوم ــ صلاة التراويح ــ فضل ليلة القدر ــ الاعتكاف ــ البيوع ــ السلم ــ الشفعة ــ الإجارة ــ الحوالات ــ الكفالة ــ الوكالة ــ الحرث والزراعة ــ الشرب ــ الاستقراض وأداء الديون ــ الخصومات ــ اللقطة ــ المظالم والغصب ــ الشركة ــ الرهن ــ العتق ــ المكاتب ــ الهبة ــ الشهادات ــ الصلح ــ الشروط ــ الوصايا ــ الجهاد والسير ــ فرض الخمس ــ الجزية ــ بدء الخلق ــ الأنبياء ــ المناقب ــ فضائل أصحاب النبي ــ مناقب الانصار ــ المغازي ــ تفسير القرآن ــ فضائل القرآن ــ النكاح ــ الطلاق ــ النفقات ــ الاطعمة ــ العقيقة ــ الذبائح والصيد ــ الاضاحي ــ الاشربة ــ المرض ــ الطب ــ اللباس ــ الادب ــ الاستئذان ــ الدعوات ــ الرقاق ــ القدر ــ الأيمان والنذور ــ الكفارات ــ الفرائض ــ الحدود ــ الديات ــ استتابة المرتدين ــ الاكراه ــ الحيل ــ تعبير الرؤيا ــ الفتن ــ الاحكام ــ التمني ــ أخبار الآحاد ــ الاعتصام بالكتاب والسنة ــ التوحيد •

وكانت عدة مجموع الكتب ٩٧ كتابا ، وقسم كل كتاب من هذه الكتب الى أبواب ، ومجموع الابواب يبلغ ٣٤٥٠ بابا •

١٧ ــ وأود ان انبه الى ان كمية الاحاديث ليست واحدة ولا متقاربة في أبواب الكتاب ، فقد يقع في كثير من أبوابه الاحاديث الكثيرة ، وقد يقع في بعضها حديث واحد ، وفي بعضها آية من كتاب الله فقط ، وبعضها لا شيء فيه البتة •

١٨ ــ ويفيد ان نشير الى ان هذا الكتاب قد حظي بألوان من التحقيق والخدمة لا يفوقها شيء حتى قال الدكتور شوقي ضيف :

(واخراج اليونيني لـ « صحيح البخاري » على هذا النحو يدل بوضوح على أن اسلافنا لم يبقوا لنا ولا للمستشرقين شيئا يمكن أن يضاف بوضوح في عالم تحقيق النصوص) [1] .

وفي مجال الخدمة والشرح والعد والفهرسة والتعريف بالرجال والاعراب وما الى ذلك دراسات كثيرة لم يحظ بهـا كتاب آخر من كتب الحديث .

عناوين صحيح البخاري :

عرفت العناوين في كتبنا القديمة بالتراجم . ومن اعظم ما امتاز به « صحيح البخاري » عناوين ابوابه . اذ اننا نعلم ان هناك من الكتب ما تجردت ابوابه عن العناوين مثل « صحيح مسلم » الذي لم يضع فيه عنوانا واحـدا .

وان النظر في عناوين ابواب هذا الكتاب ليدل على براعة فائقة ، وفقه سديد ، وذهن فقهي غواص ، وقدرة على الاستنباط عظيمة ، حتى قيل فيها :

(تراجمه حيرت الافكار وأدهشت العقول) .

ومن هنا كان فقه المؤلف للحديث كامنا في العنوان الذي اختاره وقد قال جمع من الفضلاء :

« فقه البخاري في تراجمه »

---

(١) « البحث الادبي » ١٨٧ .

وكان البخاري ـ فيما يبدو ـ يبذل جهدا فائقا ، واهتماما كبيرا في اختيار هذه العناوين ، يدلنا على ذلك ما جاء في « شرح القسطلاني » : من انه (كان يصلي لكل ترجمة ركعتين) [1] .

ونستطيع ان نذكر بعض الصفات المهمة التي تميز هذه العناوين :

١ ـ تمتاز عناوين هذا الكتاب بالدقة والعمق ، فربما لا يدل الحديث لاول وهلة على المعنى المفهوم من العنوان ، ولكن الإمعان في النظر في الحديث يقود الى ادراك مغزاه وارتباطه بالعنوان الذي اختاره .

وربما يترجم بأمر ظاهر قليل الجدوى ، لكنه اذا حققه المتأمل وجده ذا جدوى كقوله (باب قول الرجل ما صلينا) فانه اشار به الى الرد على من كره ذلك [2] !

٢ ـ كثيرا ما يترجم بصيغة الاستفهام ، كقوله (باب هل يكون كذا ؟) وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين .

وغرضه ان يوضح للقراء توقفه في الحكم في هذا الامر وأنه لم يستطع ان يصل فيه الى امر نهائي ، وانه لا يدري : أيثبت الحكم من هذا الحديث ام لا ؟ وربما كان أحد الاحتمالين أظهر ، وعندئذ يكون غرضه ان يبقي للناظر مجالا ، وينبهه على ان هناك تعارضا يوجب التوقف .

٣ ـ كثيرا ما يترجم بلفظ يومىء الى معنى حديث لم يصح على شرطه ، أو يأتي بلفظ الحديث الذي لم يصح على شرطه صريحا

---

(١) « شرح القسطلاني » ١/٢٥ .
(٢) « شرح تراجم ابواب البخاري » تأليف ولي الله الدهلوي ص٩ .

في العنوان ، ويورد في الباب ما يؤدي معناه بنص صريح تارة وبنص خفي الدلالة تارة أخرى .

وربما اكتفى أحيانا بلفظ العنوان الذي هو لفظ حديث لم يصح على شرطه . وربما أورد معه أثرا او آية ، فكأنه يقول : لم يصح في الباب شيء على شرطي .

٤ ــ هناك في الكتاب عناوين لابواب خالية من الاحاديث ، ويدل هذا الصنيع على أنه وجد احاديث صحيحة تدل على الحكم الذي تضمنه العنوان ، ولكن الشروط التي اشترطها في أحاديث كتابه لا تتوافر فيها .

٥ ــ وهناك في الكتاب أحاديث لم يجد المؤلف العنوان الذي يرتضيه للدلالة عليها فجعل لها أبوابا بلا عناوين . وقد عللوا ذلك تعليلات عـدة :

• علل ذلك بعضهم بما سبق ان ذكرناه من ان البخاري ــ رحمه اللـه ــ مات ، وكتابه مسودة ، فكأنه رحمه اللـه كان يريد ان يتمم فيه كثيرا من المواضيع . ولكن الموت أعجله عن ذلك .

• ويقول ابن حجر (الباب اذا لم تذكر له ترجمة خاصة يكون بمنزلة الفصل مما قبله مع تعلقه به . كصنيع مؤلفي الفقهاء)[1].

وبسط هذا الكلام ولي الله الدهلوي فقال :

(قد يجمع في باب أحاديث كثيرة . كل واحد منها يدل على الترجمة ، ثم يظهر له في حديث واحد فائدة اخرى سوى الفائدة المترجم عليها ويعلم على ذلك الحديث بعلامة : الباب . وليس غرضه ان الباب الاول قد انقضى بما فيه ، وجاء الباب الآخر

---

(١) « فتح الباري » ١/٧٠ .

برأسه ، ولكن قوله (باب) هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ : « تنبيه » او لفظ : « فائدة » او لفظ « قف »)[1] .

• وذكر ولي الله الدهلوي ان البخاري ربما استعمل كلمة (باب) ليدل على ان حديثين جاءا باسناد واحد ، وهذا كأنه قال : (وبهذا الاسناد)[1] .

شروح صحيح البخاري :

هناك شروح للكتاب كثيرة جدا ، وقد ذكر صاحب « كشف الظنون »[2] منها اثنين وثمانين شرحا .

وشراح البخاري بين مطيل كالفيروزبادي المتوفى (٨١٧) الذي شرحه شرحا وافيا سماه « فتح الباري بالسيل الفسيح المجاري »[3] وبين مختصر كالامام الخطابي الذي عمل له شرحا سماه « اعلام السنن » وهو في جزء ، وأجود هذه الشروح خمسة :

١ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ومقدمته مجلد ضخم ، وهو يقع في ثلاثة عشر مجلدا[4] .

---

(١) « شرح تراجم ابواب البخاري » ص ٨ .

(٢) انظر « كشف الظنون » ١/٥٥٥ .

(٣) استغرق ربع العبادات عشرين مجلدا . انظر « مفتاح السنة » ص ٤١ .

(٤) طبع كثيرا في مصر وغيرها ،ومن أهم طبعاته طبعة بولاق . وطبعة المطبعة السلفية في مصر .

٢ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لمحمود بن أحمد العيني المتوفى (٨٥٥) .

٣ ـ التوشيح على الجامع الصحيح للسيوطي المتوفى (٩١١) .

٤ ـ ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري لاحمد بن ابي بكر القسطلاني المتوفى (٩٢٣) .

٥ ـ تحفة الباري لشرح صحيح البخاري لشيخ الاسلام زكريا الانصاري المتوفى (٩٢٦) هو مطبوع مع كتاب « ارشاد الساري » للقسطلاني .

ومعظم هذه الشروح مطبوع .

مختصرات صحيح البخاري :

له مختصرات كثيرة واهم هذه المختصرات « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » للزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هـ وعليه شرح الشرقاوي وشرح صديق حسن خان وهما مطبوعان .

دراسات وتهذيبات اخرى لصحيح البخاري :

لقي هذا الكتاب عناية كبرى اذ كان موضع دراسة العلماء الاعلام فمنهم من درس أسماء التابعين فيه . ومنهم من شرح عناوين ابواب الكتاب كولي الله الدهلوي ، ومنهم من قام بترتيب أحاديث البخاري بحسب ترتيب الرواة على حروف الهجاء . كما قام بوضع مفتاح له . وهناك كتاب مصادر البخاري للدكتور فؤاد سزكين [1] .

---

(١) نقلت اسم هذا الكتاب عن « نشرة معهد المخطوطات » العدد ٦٢ السنة الثالثة تاريخ ١٣٩٤/٢/٢٣ الموافق لـ ١٩٧٤/٢/١٥ .

الانتقادات لبعض الاحاديث :

انتقده بعض الحفاظ في عدة احاديث ، وقد ذكر الرد عليها ابن حجر في مقدمة « فتح الباري » ، وقال في الفصل الثامن من المقدمة : ينبغي لكل منصف ان يعلم ان هذه الاحاديث وان كان اكثرها لا يقدح في أصل موضوع الكتاب فان جميعها وارد من جهة أخرى ، ومعظم هذه الانتقادات هين •

وقد أورد كثيرا منها الشيخ طاهر الجزائري [1] نقلا عن ابن حجر •

فمنها مثلا ان تكون كلمة (قباء) عوضا عن كلمة (العوالي) •• وما شابه ذلك من مثل هذه الانتقادات الهينة اليسيرة •

هذه الانتقادات التي أشرنا اليها انما كان الدافع اليها دافعا علميا نزيها ، ورغبة في أن تتوافر كل عناصر الجودة والصحة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك فقد جاءت هادفة بناءة ، ولم تغفل الجوانب الاخرى المشرقة الجيدة التي امتاز بها هذا الكتاب العظيم ، بل انني لارى فيها محاولة لتكميل الكتاب من وجهة نظر أصحابها •

أما الحملة المغرضة على « صحيح البخاري » التي يقوم بها نفر من ذوي النفوس المريضة ومن الجهال في هذه الايام ، فتلك حلقة في سلسلة مهاجمة الاسلام ومحاولة انتقاصه وتشويهه وصرف الناس عنه وقطعه عن الحياة وليس من شك عندنا في ان مثل هذه الحملات ستبوء بالإخفاق والخزي لاصحابها (يريدون ان يطفئوا نور الله

---

(١) انظر « توجيه النظر » ٩٥ الى ١٠٠ •

بأفواههم ويأبى اللـــه الا ان يتم نوره ولو كره الكـــافرون) [1] .

ونود أن نستشهد على صحة ما نقول بكلام نفيس لاحد كبار علماء الحديث المعاصرين وهو العلامة المرحوم الشيخ أحمد شـــاكر الذي يقول ما نصه :

(وانما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الاحاديث على معنى ان ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كـــل واحد منهما في كتابه . فلا يهولنك ارجاف المرجفين وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة . وتتبع الاحاديث التي تكلمـــوا فيها . وانقدها على القواعد الدقيقة التي سار عليها أئمة أهل العلـــم واحكم عن بينة واللـــه الهادي الى سواء السبيل) [2] .

٢ ـ الجامع الصحيح للامام مسلم بن الحجاج :

ترجمته : هو ابو الحســـين مســـلم بن الحجـــاج القشـــيري النيسابوري ، فهو عربي الاصل من بني قشـــير ، وهي قبيلـــة عربية معروفة [3] ، ولد سنة ٢٠٤ وطلب الحديث صغيرا ، وسمع من مشايخ البخاري وغيرهم ، وقد كان البخاري من جملة مشايخه ، وكان من أشد الناس اخلاصا لشيخه ، رحـــل الى الحجـــاز والعراق والشـــام

---

(١) التوبـــة ٣٢ .

(٢) « الباعث الحثيث » ص ٣٥ ط ٣ .

(٣) **انظر « تهذيب الاسماء واللغات »** للنووي وانظر « شـــرح مسلم » له ١/١٠ .

ومصر ، وقدم بغداد اكثر من مرة ، وروى عنه الترمذي ، توفي في شهر رجب ٢٦١ بنيسابور .

كتبه : ألف كتبا كثيرة ، ذكرها معظم الذين ترجموا له ، ومن أهمها :

الكتاب المسند الكبير على اسماء الرجال ، وكتاب الجامع الكبير على الابواب ، وكتاب العلل ، وكتاب أوهام المحدثين ، وكتاب التمييز[١] ، وكتاب من ليس له الا راو واحد ، وكتاب طبقات التابعين [٢] .

خصائص كتابه : (الصحيح) :

١ ـ هو احد الصحيحين المشهود لهما بعلو الرتبة ، وهو ثاني الكتب الستة ، يقول فيه مؤلفه : (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة) [٣] .

وهناك من يبالغ في قيمته كالحسين بن علي النيسابوري فيقول : ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم [٤] .

٢ ـ وقال العراقي : وهو بالمكرر يزيد على عدة كتاب البخاري لكثرة

---

(١) نشر قطعة منه صديقنا الدكتور محمد مصطفى الاعظمي وانظر مقدمة التهذيب لابن حجر .

(٢) انظر « تاريخ الادب العربي » لبروكلمان ، وتاريخ التراث » لسزكين « وكشف الظنون » و « شرح مسلم » ١/١٠ .

(٣) انظر « شرح مسلم » ١/١٥ ينقل ذلك عن الخطيب باسناده الى مسلم .

(٤) « علوم الحديث » ١٥ .

طرقه . قال : ورأيت عن أبي الفضل أحمد بن مسلمة أنه اثنا عشر الف حديث [1]. وعدد احاديثه بغير المكرر أربعة آلاف [1].

٣ ــ جرد الصحاح ، وقد اشتمل على كثير من أحاديث البخاري ، ولكنه رواها من طرق أخرى بغير أسانيده .

٤ ــ لم يتعرض للاستنباط .

٥ ــ جمع طرق كل حديث في موضع واحد ليتضح اختلاف المتون وتشعب الاسانيد . وقال الاستاذ المعلمي : (عادة مسلم ان يرتب روايات الحديث بحسب قوتها : يقدم الاصح فالأصح) [2].

قال النووي ــ في صدد رده على من عاب مسلما بروايته عن جماعة من المتوسطين ــ نقلا عن ابن الصلاح قال : (يكون ذلك واقعا في المتابعات والشواهد . لا في الاصول . وذلك بان يذكر الحديث اولا باسناد نظيف ، رجاله ثقات . ويجعله أصلا ، ثم يتبعه باسناد آخر او اسانيد . فيها بعض الضعفاء على وجه التأكيد بالمتابعة . او لزيادة فيه) [3] .

٦ ــ فيه جودة في الترتيب . وقد رتبه على أبواب الفقه . ولكنه لم يذكر عناوين كما صنع البخاري . بل ترك للقارىء أن يستفيدها بنفسه . أما العناوين الموجودة فيه فهي من وضع الامام النووي غالبا اذ قال : (وقد ترجم [4] جماعة أبوابه بتراجم ، بعضها

---

(١) « الباعث الحثيث » ص ٢٥ .
(٢) « الانوار الكاشفة » ص ٢٩ .
(٣) « شرح مسلم » ١/٢٥ .
(٤) اي عنون .

جيد . وبعضها ليس بجيد اما لقصور في عبارة الترجمة ، واما لركاكة لفظها ، واما لغير ذلك ، وانا — إن شاء الله — احرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها في مواضعها . والله أعلم) [1] .

٧ — أورد الاحاديث كاملة . ولذلك فلم تتقطع عليه الاحاديث ، ولم يوزع أحاديثه على أبواب متعددة . بل جمع الاحاديث المروية بأكثر من اسناد في باب واحد .

٨ — في الكتاب مقدمة واسعة منهجية [2] وقد ذكر فيها نبذة جيدة عن أصول علم الحديث ، وصرح بشرطه . واحتج له في هذه المقدمة . فقد قسم الاحاديث ثلاثة اقسام :

أ — مارواه الحفاظ المتقنون .

ب — ما رواه المتوسطون في الحفظ والاتقان .

ج — ما رواه الضعفاء المتروكون .

وذكر أنه اذا فرغ من القسم الاول أتبعه الثاني ، وأما الثالث فلا يعرج عليه .

وقد ذهب الحاكم والبيهقي الى ان مسلما مات قبل اخراج القسم الثاني ، وارتأى القاضي عياض انه استوفى في كتابه ماوعد ، فتكون الصحة عنده تشمل الحسن كما هي كذلك عند ابن خزيمة وابن حبان .

وقال ابن رجب في « شرح علل الترمذي » : (اما مسلم فلا

---

(١) » شرح مسلم « ١/٢١ .

(٢) وقد استغرقت مقدمته في طبعة شرح النووي ١٤٤ صفحة من الجزء الاول .

يخرج الا حديث الثقة الضابط ، ومن في حفظه بعض شيء وتكلم فيه بحفظه ، لكنه يتحرى عنه ، ولا يخرج عنه الا مالا يقال فيه : انه مما وهم فيه)[1] .

وقد ذكر في المقدمة أيضا تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والنهي عن الرواية عن الضعفاء ، وانتقاد كثير من المحدثين الذين يوردون الضعيف ، وذكر فيها ان الاسناد من الدين وتعرض فيها الى الاحتجاج بالحديث المعنعن ، وذكر فيها الكشف عن معايب الحديث ، كما ذكر سبب تأليفه الكتاب وأنه كان استجابة لطلب وجه اليه .

٩ ــ اقتصر على الاحاديث دون الموقوفات ، فلم يعرج عليها الا في بعض المواضع على سبيل الندرة تبعا لا قصدا .

١٠ــ ذكر النووي ان من مزايا صحيح مسلم التفريق بين (حدثنا) و (أخبرنا) ، فالاولى عنده للسماع ، والثانية عنده لما قرئ على الشيخ ، وقال النووي : وهذا الفرق هو مذهب الشافعي

---

(١) نقل هذا الكلام الكوثري في تعليقه على « شروط الائمة » ص ٥٥ هذا وقد يروي الامام مسلم لرجل ليس من طبقة رجاله لسبب تقتضيه الرواية فليس معنى ذلك ان هذا الرجل يصبح من الثقات ، فلقد أخرج مسلم لحماد بن سلمة ، ولكنه لم يخرج الا رواياته عن المشهورين نحو ثابت البناني ، وذلك لكثرة ملازمته ثابتا وطول صحبته اياه ، حتى بقيت صحيفة ثابت على ذكره وحفظه بعد الاختلاط كما كانت قبل الاختلاط . واما حديثه عن آحاد البصريين فان مسلما لم يخرج منها شيئا لكثرة ما يوجد في رواياته عنهم من الغرائب ، وذلك لقلة ممارسته لحديثهم (وانظر ص ٤٧ من كتاب « شروط الائمة ») .

واصحابه وجمهور أهل العلم في المشرق [1] .

١١- وذكر النووي ايضا اعتناءه لضبط اختلاف لفظ الرواة كقوله (حدثنا فلان) و (اللفظ لفلان) ، وكما اذا كان بينهما اختلاف في حرف من متن الحديث او صفة الراوي او نحو ذلك فانه يبينه ، وربما كان بعضه لا يتغير به معنى [2] .

١٢- ليس في « صحيح مسلم » حديث معلق الا في موضع واحد في التيمم حيث قال : وروى الليث بن سعد ... فذكر حديث أبي الجهم [3] .

وهناك في « صحيح مسلم » مواضع اخرى ذكرها السيوطي في« التدريب »[4] ولكنه ذكر ان مسلما اوردها معلقة بعد ان اوردها متصلة ، ولذا فلا تعتبر معلقة ومجموعها ١٦ موضعا .

شروحه :

١ ـ المعلم بفوائد كتاب مسلم لمحمد بن علي المازري المتوفى (٥٣٦ هـ)[5] .

٢ ـ اكمال المعلم للقاضي عياض اليحصبي المتوفى (٥٤٤)[5] .

---

(١) « شرح مسلم » للنووي ٢١/١ .
(٢) « شرح مسلم » ٢٢/١ .
(٣) « صحيح مسلم » ١٩٤/١ .
(٤) « تدريب الراوي » ص ٦٠ .
(٥) انظر مخطوطات هذا الكتاب في « تاريخ التراث » لسزكين ص ٣٥٤ وما بعدها ..

٣ ــ إكمال إكمال المعلم لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي (ت٨٢٧)٠

٤ ــ مكمل إكمال الاكمال لمحمد بن محمد السنوسي السحني(ت٨٩٥) وقد طبع هذان الكتابان في مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٧هـ على نفقة سلطان المغرب الاقصى عبد الحفيظ بن الحسن ٠

٥ ــ منهاج المحدثين وسبيل تلبية المحققين أو المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي المتوفى (٦٧٦) ٠ وهــو مطبوع ٠

٦ ــ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج للسيوطي المتوفى(٩١١)٠

مختصرات ودراسات :

عمل كثير من علماء الحديث على العناية بهذا الكتاب اختصــارا ودراسة وتهذيبا ٠

- فمن ذلك مختصر الاسفراييني الشافعي المتوفى (٣١٠) ٠
- ومختصر المنذري المتوفى (٦٥٦) ، وقد طبعته حكومة الكويت ١٣٨٨ هـ (١٩٦٩) وكان بتحقيق الشيخ ناصر الألباني ٠
- ومن ذلك ايضا (رجال صحيح مسلم) لابي بكر أحمد بن علي الاصفهاني المتوفى (٤٢٨) ٠

بين البخاري ومسلم :

يحسن بنا أن نورد الموازنة التالية بين الكتابين :

١ ــ صنف مسلم كتابه في بلده ، بحضور أصوله . وفي حياة كثير من مشايخه، ولذلك أتيح له أن يرتب كتابه ترتيبا جيدا، أما البخاري فانه كتب كتابه وهو متنقل بين مكة والعراق وبخارى ، وذلك ــ فيما يبدو ــ مما لم يدع له مجالا مثل ذاك ٠

٢ ــ لم يتصد مسلم لما تصدى له البخاري من استنباط الاحكام ، ليبوب عليها ، حتى لزم من ذلك تقطيعه للحديث في ابوابه ، بل جمع مسلم الطرق كلها في مكان واحد ، واقتصر على الاحاديث دون الموقوفات ــ كما ذكرنا ــ فلم يعرج عليها إلا في بعض المواضع على سبيل الندرة .

٣ ــ أنكروا على مسلم إخراج أشياء فيها تضارب ، مثل ماروى في بعض طرق حديث صلاة كسوف الشمس أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها بثلاث ركوعات وأربع سجدات [١] ، والصواب أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها إلا مرة واحدة بركوعين ، ولهذا لم يخرج البخاري إلا هذا [٢] ، وسلم من إيراده المغلوط والمتضارب ، فقد كان أعرف بالحديث وعلله من مسلم وأفقه في معانيه منه رحمهما الله تعالى [٣] .

٤ ــ جعل مسلم لكل حديثا موضعاً واحداً يليق به جمع فيه طرقه التي ارتضاها واختار ذكرها ، وأورد فيه ألفاظه المختلفة ، بخلاف البخاري الذي يذكر الطرق في أبواب متفرقة ، ويورد كثيرا من الاحاديث في غير الأبواب التي يتبادر الى الذهن أنها تذكر فيها، وقد وقع بسبب ذلك من العلماء أنهم نفوا رواية البخاري لأحاديث هي موجودة فيه ، لأنهم لم يجدوها في مظانها السابقة الى الفهم.

٥ ــ ويرجح عامة العلماء كتاب البخاري على مسلم من جهة الصحة

---

(١) اخرجه مسلم ٣/٢٩

(٢) اخرجه البخاري ٢/٣ و ٣١ .

(٣) « تفسير قل هو الله احد » لابن تيمية نقلا عن « قواعد التحديث » ١٧٩ ــ ١٨٠ .

فقالوا : إن مدار صحة الحديث على ثلاثة أشياء (١ ـ الثقة بالرواة . ٢ ـ اتصال السند . ٣ ـ السلامة من العلل القادحة) ولدى البحث في الصحيحين تبين أن كتاب البخاري أرجح في ذلك كله . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : (ولايبلغ تصحيح مسلم مبلغ تصحيح البخاري ، بل كتاب البخاري أجل ما صنف في هذا الباب ولهذا كان جمهور ما أنكر على البخاري مما صححه يكون قوله فيه راجحا على قول من نازعه) بخلاف مسلم بن الحجاج ، فإنه نوزع في عدة أحاديث مما خرجها ، وكان الصواب فيها مع من نازعه) [1] .

٢ ـ سنن ابي داود :

ترجمة المؤلف (٢) :

هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، فهو عربي من الأزد ، والسجستاني نسبة الى سجستان .

ولد سنة ٢٠٢ هـ وتلقى العلم على علماء بلده ، ثم ارتحل وطوف بالبلاد في تحصيل الرواية ، وتحصيل الدراية ، فزار العراق والجزيرة والشام ومصر ودخل بغداد مرارا [3] وروى سننه فيها وأخذها اهلها عنه وعرضها على أحمد فاستجادها واستحسنها [3] .

---

(١) « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » ص٨٦ و « مجموع الفتاوى » ١/٢٥٦

(٢) انظر في ترجمته رسالة كتبتها بعنوان : « ابو داود : حياته وسننه » وقد نشرت في العدد الاول من مجلة البحوث الاسلامية ١٣٩٥هـ

(٣) انظر « تاريخ بغداد » ٩/٥٦

ثم نزل البصرة بطلب من الأمير أبي أحمد الذي جاء الى منزله في بغداد واستأذن عليه،ورجاه أن يتخذ البصرة وطنا ليرحل إليه طلبة العلم من أقطار الأرض فتعمر بسببه فإنها قد خربت وهجرت لما جرى عليها من فتنة الزنج ، وتوفي فيها سنة ٢٧٥ هـ .

وهو من تلاميذ الامام أحمد ويحيى بن معين ، ومن أساتـذة النسائي والترمذي [١] .

قال ابن حبان : أبو داود أحـد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وحفظـاً ونسكاً وورعاً واتقاناً ، وقال فيه ابراهيم بن اسحاق : ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد .

وقد أحصيت له من الكتب سبعة عشر كتاباً من أهمها : « رسالته في وصف السنن » [٢] و « مسائل الامام أحمد » و « المراسيـل » و« السنن » وغيرها أما كتابه « السنن » فقد أثنى العلمـاء عليـه ثناء كبيرا .

قال الخطابي : هو احسن وضعا واكثر فقها من الصحيحين . وقال أيضا : كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله .

وقال الغزالي : انه يكفي المجتهد في أحاديث الاحكام .

وقال ابن الاعرابي : لو أن رجلا لم يكن عنده شيء من كتب العلم الا المصحف الذي فيه كلام الله تعالى،ثم كتاب أبي داود لم يحتج معهما

---

(١) انظر اسماء شيوخه وتلامذته في « تاريخ بغداد » ٩/وفي كتابنا « ابو داود حياته وسننه » ٢٦١ ــ ٢٦٣ .

(٢) وقد حققتها ونشرتها في بيروت

الى شيء من العلم البتة .

وقال ابن قيم الجوزية : صار كتابه حكما بين أهل الاسلام ، وفصلا في موارد النزاع والخصام ، فاليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحققون فانه جمع شمل أحاديث الاحكام ، ورتبها أحسن ترتيب ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء .

خصائص هذا الكتاب :

١ ـ عدد أحاديثه ٤٨٠٠ اختارها من ٥٠٠ ألف حديث .

هذا الرقم ٤٨٠٠ ذكره المؤلف أبو داود في « رسالته الى أهل مكة » [١] وتبين من عد أحاديثه بالارقام المسلسلة من قبل المحقق الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد أن عدد أحاديث الكتاب يبلغ ٥٢٧٤ حديثا .

وقد علل المحقق هذه الزيادة بأمرين : [٢]

الاول : أن روايات الكتاب ينقص بعضها عن بعض .

الثاني : ان في الكتاب أحاديث كثيرة متكررة باسناد واحد ، يأتي تكرار الحديث منها في موضعين أوأكثر من أبواب الكتاب ،بسبب اشتمال الحديث الواحد على عدة أحكام ، فالمؤلف يذكره في الابواب التي يتعرض فيها لبيان أدلة الاحكام التي اشتمل عليها ... ويبدو أن أبا داود لم يكن يعتبر الحديث الذي من هذا النوع الا واحدا .

---

(١) « رسالة أبي داود » بتحقيقنا ص ٣٢ و ٣٥ .

(٢) انظر مقدمة محقق الكتاب الاستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد

٢ ــ هو كتاب غني في متون الحديث ، فعنايته بالمتون كبيرة جدا ، ولهذا يذكر الطرق واختلاف الفاظها والزيادات المذكورة في بعضها دون بعض .

٣ ــ يعنى هذا الكتاب بفقه الحديث أكثر من عنايته بالاسانيد ، فقد كانت رغبة أبي داود جمع الاحاديث التي استدل بها فقهاء الامصار وبنوا عليها الاحكام .

٤ ــ لايذكر في الباب الواحد أحاديث كثيرة خشية أن يكبر الكتاب جــــدا [1].

٥ ــ لايعيد الحديث في الباب إلا لزيادة فيه [1] .

٦ ــ قد يختصر الحديث الطويل ليدل على موضع الاستشهاد يقول في « رسالته لاهل مكة » : (وربما اختصرت الحديث الطويل لأني لو كتبته بطوله لم يعلم بعض من سمعه ، ولايفهم موضع الفقه منه فاختصرته لذلك) [2] .

٧ ــ قد يترك الاقوى اسنادا الى حديث صحيح ولكنه دونه ، اذا كان صاحبه أقدم في الحفظ ، يقول في « رسالته لاهل مكة » : (ولا أرى في كتابي من هذا عشرة أحاديث)[1] .

٨ ــ يشير الى الحديث الذي فيه وهن شديد ويبينه ، قال في « رسالته لاهل مكة » : (وما في كتابي من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ،

---

(١) « رسالة ابي داود » بتحقيقنا ص ٢٣
(٢) « رسالة أبي داود » بتحقيقنا ص ٢٤

ومنه ما لم يصح مسندا) [1] وهو لم يذكر حديثا أجمع الناس على تركه ، وكثيرا ما يذكر علة الحديث [2] .

٩ ـ الاحاديث التي سكت عنها أبو داود اختلف العلماء فيها ، فمنهم من يقول : انها حسنة ، ومنهم من يقول : انها صحيحة ، ويقول أبو داود في ذلك : (وما لم اذكر فيه شيئا فهو صالح وبعضها أصح من بعض [3] . والموقف السليم في رأينا أن تنظر في أسانيد هذه الأحاديث التي سكت عنها أبو داود ، فما حكم له سنده بالصحة كان صحيحا وما حكم له سنده بالضعف كان ضعيفا [4] .

١٠ ـ عناوينه تحوي ما استنبطه العلماء من الاحاديث وهي تدل على سعة باعه في الفقه [5] .

١١ ـ ليس فيه شيء من الآثار .

١٢ ـ وقد يفاضل بين حديثين فيقوي أحدهما على الآخر .

١٣ ـ فيه كثير من المراسيل ، واختلاف أهل العلم بالاحتجاج بها

---

(١) « رسالة ابي داود » بتحقيقنا ص ٢٧

(٢) انظر « مختصر سنن ابي داود » للمنذري ١/٨ .

(٣) من رسالته لاهل مكة ص ٢٧

(٤) انظر تفصيل ذلك في كتابنا « ابو داود : حياته وسننه » ٢٨٤ ـ ٢٨٥ و « الباعث الحثيث » ص ٢٩ و٤٢

(٥) انظر تفصيل ذلك في كتابنا « ابو داود : حياته وسننه » ٢٩٤ ـ ٢٩٨

معروف وقد سبق تحقيق ذلك في موضعه من أن الحديث المرسل لايحتج به ٠

هذا وقد قال ابن كثير في « مختصر علوم الحديث » : إن الروايات لسنن أبي داود كثيرة يوجد في بعضها ما ليس يوجد في الأخرى ٠
شرح سنن أبي داود كثير من العلماء من اشهرهم :

١ ـ الامام الخطابي المتوفى (٣٨٨) في كتابه « معالم السنن » وهو مطبوع ٠

٢ ـ قطب الدين أبو بكر اليمني الشافعي المتوفى (٦٥٢) في أربع مجلدات كبار ٠

٣ ـ أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي المتوفى (٨٢٦) كتب من شرحه سبع مجلدات الى أثناء سجود السهو ٠

٤ ـ العلامة العظيم أبادي في كتابه :« عون المعبود » في أربع مجلدات٠

٥ ـ الشيخ خليل أحمد الهارنفوري المتوفى ١٣٤٦ في كتابه : « بذل المجهود في حل سنن أبي داود »[1] ٠

واختصر السنن زكي الدين المنذري المتوفى سنة ٦٥٦هـ٠وقد هذب المختصر ابن قيم الجوزية الحنبلي المتوفى ٧٥١ ٠

---

(١) انظر العدد الخامس من المجلد الثامن عشر من « مجلة البحث الاسلامي » عدد ذي الحجة سنة١٣٩٢ هـ

٤ ـ المجتبى للنسائي

ترجمة المؤلف :

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي الخراساني . و « النسائي نسبة الى (نسا) ـ بفتح النون ـ قرية بخراسان •

ولد سنة ٢١٥ بنسا ، وطلب العلم وسمع من أئمة الحديث في عصره وطوف من أجل ذلك في خراسان والعراق والشام والحجاز ومصر والجزيرة • وقد استوطن مصر الى سنة ٣٠٢ ثم انتقل الى دمشق ومات في الرملة من فلسطين سنة ٣٠٣ هـ •

كتابه :

صنف النسائي كتاب «السنن الكبرى» وأهداها الى أمير الرملة فطلب إليه أن يميز له الصحيح من غيره . فصنف له « السنن الصغرى » وسماها « المجتبى من السنن » [١] •

وظل الكتابان « السنن » و« المجتبى » يتدوالهما أهل العلم ويقرؤونهما ويعزون إليهما حتى القرن الحادي عشر . وعندما شاعت الطباعة طبع « المجتبى » ولم يعلم أهل العلم مكان وجود مخطوطة « السنن الكبرى » حتى ظن أنها مفقودة ، وتبين بعد ذلك أن الكتاب موجود وقد شرع الاستاذ عبد الصمد شرف الدين بطباعته في الهند •

ذكر السيوطي وغيره أن « سنن النسائي » الذي هو أحد الكتب الستة هي الصغرى لا الكبرى ، صرح بذلك التاج ابن السبكي فقال : وهي التي يخرجون عليها الاطراف والرجال [٢] •

هذا ويبدو أن بعض المؤلفين القدامى كالمنذري والمزي ينسبون

---

(١) « تذكرة الحفاظ » ٣/٩٤٠ و « البداية والنهاية » ١١/١٢٣ و « تهذيب التهذيب » ١/٦

(٢) « تدريب الراوي » ٤٩ و «الرسالة المستطرفة» ص ١٢ ص ٣٢

الى السنن الكبرى قال صاحب « عون المعبود » : (اعلم أن قول المنذري في « مختصره » والمزي في « الاطراف » : الحديث أخرجه النسائي فالمراد به السنن الكبرى للنسائي ، وليس المراد به « السنن الصغرى » ...) [1]

وقد أيد الاستاذ عبد الصمد شرف الدين هذا القول فقال : (والدليل على صدق ما قال أنا وجدنا المصنف ـ أي المزي في تحفة الاشراف ـ يعزو كثيرا من أحاديث النسائي الى كتب [2] لاوجود لها في الصغرى)

وقد وجدت السيوطي أحياناً يروي أحاديث ينسبها الى النسائي وهي غير موجودة في الصغرى [3] .

ويتحرر من هذا أن « المجتبى » هو أحد الكتب الستة ، وأما النقل والعزو فقد يكون للكبرى كما يكون للصغرى .

خصائصه :

١ ـ هو أقل الكتب الستة بعد الصحيحين حديثا ضعيفاً ، ولذلك ذكروه بعد الصحيحين في المرتبة ، لأنه أشد انتقادا للرجال وشرطه أشد من شرط أبي داود والترمذي وغيرهما .

٢ ـ هو جامع بين طريقتي البخاري ومسلم مع حفظ كثير من بيان العلل [4] .

---

(١) « عون المعبود » ٥٤٥/٤

(٢) اي ابواب

(٣) وقفت على ذلك من تحقيقي الكتاب « تحذير الخواص » للسيوطي

(٤) « فتح المغيث » ٨٢/١

٣ ــ يحسن بيان العلل ولا يكاد يخرج لمن يغلب عليه الوهم ولا لمن فحش خطؤه وكثر [1] •

شروحه :

١ ــ شرحه السيوطي المتوفى ٩١١ هـ شرحاً موجزاً ، ونشر في دهلي ومصر •

٢ ــ وشرحه محمد بن عبد الهادي السندي الحنفي المتوفى ١١٣٨ شرحاً موجزاً غير أنه أوسع من شرح السيوطي •

٣ ــ وشرح عمر بن الملقن زوائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلد •

جامع الترمذي :

ترجمته :

هو محمد بن عيسى بن سورة أبو عيسى، ولد سنة ٢٠٠ في قرية بوج من قرى ترمذ على نهر جيحون ، سمع الحديث من البخاري وغيره من مشايخ بخارى ، وقد طوف في طلب الحديث في خراسان والعراق والحجاز ، ثم رجع الى وطنه ، واستقر فيه •

كان آية في الحفظ والذكاء وكان اماما ثقة حجة ورعا زاهدا ، ترك عددا من الكتب ، وكان ضريرا عمي في آخر حياته . توفي في بـ.. سنة ٢٧٩ هـ •

خصائص كتابه :

١ ــ قال أبو عيسى : عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق

---

(١) « شروط الأئمة »

وخراسان ، فرضوا به واستحسنوه .

٢ ــ وقال : ما أخرجت في كتابي هذا إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء.

٣ ــ في غالب الابواب يبدأ بالاحاديث الغريبة الاسناد ، ويبين مافيها من العلل ثم يبين الصحيح في الاسناد ، ويتكلم على كل حديث تقريبا بما يقتضيه صحة وضعفا .

٤ ــ من طريقته أنه يعنون الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه ، واخرج حديثه أصحاب الكتب الصحاح . فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه ، ولا تكون الطريق اليه كالطريق الاول ، وان كان الحكم صحيحا ، ثم يتبعه بأن يقول : (وفي الباب عن فلان وفلان) ، ويعد جماعة من الصحابة فيهم ذلك الصحابي المشهور ، يريد أن في الباب المذكور أحاديث أخر يصح ان تذكر هنا ، ولا يريد ان هؤلاء الصحابة رووا هذا الحديث المعين بحروفه ، قال العراقي : (وهو عمل صحيح الا ان كثيرا من الناس يفهمون من ذلك ان من سمى من الصحابة يروون ذلك الحديث بعينه ، وليس كذلك ، بل قد يكون كذلك ، وقد يكون حديثا آخر يصح ايراده في ذلك الباب) [١] .

٥ ــ قال ابن رجب في شرح « علل الترمذي » [٢] :

اعلم أن الترمذي خرج في كتابه الحديث الصحيح ، والحديث

---

(١) « قواعد التحديث » ص ١٩٧

(٢) نقلا عن تعليق جاء في كتاب « شروط الائمة الخمسة » للحازمي ص ٥٤ .

الحسن ــ وهو مانزل عن درجةالصحيح وكان فيه بعض الضعف ــ والحديث الغريب ، والغرائب التي خرجها فيها بعض المناكير ، ولا سيما في كتاب الفضائل ، ولكنه يبين ذلك غالبا ولا يسكت عنه ، ولا أعلم أنــه خرج عن متهم بالكذب متفق على اتهامــه حديثا باسناد مفرد ، الا انه قد خرج حديثا مرويا من طرق مختلفا في اسناده ، وفي بعض طرقه متهم .

٦ ــ جمع طريقة الشيخين (البخاري ومسلم) حيث بينا وما أبهما ، وطريقة أبي داود حيث جمع كل ما ذهب اليه ذاهب من العلماء أي جمع كل حديث يحتوي على حكم قال به أحد الفقهاء فجمع كلتا الطريقتين .

٧ ــ جاء بمذاهب الصحابة والتابعين وفقهاء الامصار . فكتابه من الكتب التي تعنى بأدلةالاحكام ، وقد سمى الترمذي مع كل حديثمن احتج به من أهل المذاهب . كما ذكر ما عارضه بــه الآخرون ومن ثم كان كتابه من أهم المصادر لدراسة الخلاف بين مدارس الفقه المختلفة [١] .

٨ ــ اختصر طرق الحديث فذكر واحداً وأومأ الى ما عداه .

٩ ــ كان يكثر في كتابه من الاتيان بالجرح والتعديل .

١٠ ــ في آخر الكتاب كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد حسنة .

١١ــ هناك بعض المصطلحات التي انفرد بها أبو عيسى الترمذي :

• فمن ذلك قوله: حسن صحيح . وقد سبق أن ذكرنا معنى ذلــك .

---

(١) انظر « تاريخ الادب العربي » لبروكلمان .

• ومن ذلك قوله : غريب : وهو يريد بهذه الكلمة اذا افردها أنه ضعيف ، قال الاستاذ الغماري في تعليق له على « المقاصد الحسنة » •

(غريب يعني ضعيف ، وهذا مراده اذا وصف الحديث بالغرابة ، أما اذا قال حسن غريب ، أو صحيح غريب فمراده التفرد لا الضعف)[1] •

شروحه ومختصراته :

١ ــ عارضة الاحوذي في شرح الترمذي للامام ابي بكر محمد بن عبد الله الاشبيلي المعروف بابن العربي المتوفى ٥٤٣ هـ •

٢ ــ شرح الترمذي : تأليف محمد بن محمد اليعمري المعروف بابن سيد الناس المتوفى ٧٣٤ وقد شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه ، وقد كمله زين الدين عبد الرحيم بن حسين العراقي[2] المتوفى ٨٠٦ هـ •

٣ ــ قوت المغتذي في شرح الترمذي تأليف السيوطي •

٤ ــ تحفة الاحوذي لشرح جامع الترمذي للشيخ عبد الرحمن المباركفوري طبع في دهلي سنة ١٣٤٩ ــ ١٣٥٣ في أربعة أجزاء •

٥ ــ وقد اختصره عدد من العلماء منهم محمد بن عقيل المتوفى (٧٢٩) وسليمان بن عبد القوي الطوفي المتوفى (٧١٠) •

---

(١) « المقاصد الحسنة » ٣٢ .

(٢) انظر مقدمتي لكتاب « الباعث على الخلاص من حوادث القصاص » ص ١٠٥ .

٦ ـ سنن ابن مـاجه :

ترجمة ابن ماجه : هو محمـد بن يزيد بن عبد اللـه بن ماجـه القزويني الربعي [١] بالولاء ، ابو عبدالله ، ولـد سنة ٢٠٩ هـ ، وطلب علم الحديث صغيرا ، ورحل في طلبه ، وطاف بلاد الشام ومصر والحجاز والري والبصرة وبغداد ، حتى سمع أصحاب مالك والليث .

قال الخليلي : ثقة كبير متفق عليه ، محتج به ، روى عنه علماء كثيرون . توفي سنة ٢٧٣ هـ . له مصنفات عديدة في السنن والتفسير والتاريخ .

خصائص كتابه :

١ ـ كتابه « السنن » هو سادس الكتب الستة على رأي جمهور من العلماء ، وبعض الحفاظ اقتصر على الخمسة الاولى ، فجعـل اصول السنة خمسة ، وعدها آخرون ستة فضموا « سنن ابن مـاجه » الى الاصول الخمسة السابقة . وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي المتوفى سـنة ٥٠٧ هـ في كتابه « شروط الائمـة الستة » ثم الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي المتوفى سنة ٦٠٠ هـ في كتابه « الاكمال في أسماء الرجال » [٢] .

وانما قدم هؤلاء العلماء « سنن ابن ماجه » لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف « الموطأ » .

---

(١) نسبة الى ربيعة .

(٢) ويشتمل على تراجم رجـال الصحيحين وابي داود والنسـائي والترمذي وابن ماجه .

ومن العلماء ـ كرزين وابن الاثير ـ من يجعل « الموطـأ » سادس الكتب الستة .

ومنهم ـ كابن حجر ـ من يقترح أن يكون السادس « سنن الدارمي » لقلة الرجال الضعفاء فيه ، ولندرة الاحاديث المنكرة والشاذة فيه .

٢ ـ فيه زوائد كثيرة عما ورد في الكتب الخمسة ـ كما سبق ان أشرنا الى ذلك ـ وقد اختلف العلماء في الحكم عليها . فالحافظ المزي يرى ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة ضعيف ، ولكن الحافظ ابن حجر يقول : انه انفرد بأحاديث كثيرة صحيحة .

والصواب ان الحكم عليها موقوف على دراسة رجال الاسناد .

٣ ـ كتابه جامع ، جيد الترتيب ، كثير الابواب . وفيه مالا يوجد في غيره من كتب الحديث [١] .

٤ ـ عناوينه محكمة قصيرة تدل على فهم وعمق .

٥ ـ الابواب فيه ليست كبيرة . فلا يزيد الباب فيه عن بضعة سطور غالبا . والابواب التي تزيد على الصفحة قليلة جدا .

٦ ـ يمتاز هذا الكتاب بحسن التبويب وهو كتاب مفيد جدا يستطيع الباحث فيه أن يعثر على مطلوبه بسهولة فائقة .

٧ ـ وعلى الرغم من هذه المزايا العظيمة لهذا الكتاب فقد كان مع

---

(١) انظر « تهذيب التهذيب » ٩/٥٣١ .

ذلك موضع انتقاد عدد من العلماء لوجود الأحاديث الضعيفة جدا فيه مما جعل هؤلاء العلماء يعيبون على ابن ماجه إيراده لهذه الاحاديث [1] .

٨ ـ طبع هذا الكتاب في مصر والهند طبعات عدة . ومن أحسنها طبعة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وقد صدرت ١٣٧٣ هـ بجزأين ، بذل المحقق في اخراجها جهدا مشكورا واعتنى بها عناية جيدة ، وزودها بفهارس ثلاثة [2] . وكتب خاتمة ذيل بها المجلد الثاني ، وفيها بيان بقيمة هذه السنن ومنزلة مؤلفها بين علماء الحديث وتعريف النسخ التي اعتمدها في التحقيق والمراجع التي رجع اليها في التوثيق والضبط .

وعدد أحاديث السنن بجزأيها (٤٣٤١) .

شـروحـه :

شرح هذا الكتاب عدد من العلماء من أهمهم :

١ ـ كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي المتوفى سنة ٨٠٨ هـ في ٥ مجلدات .

٢ ـ ابراهيم بن محمد الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ هـ .

٣ ـ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ وسمى شرحه « مصباح الزجاجة » .

---

(١) انظر ـ مثلا ـ كلام الامام ابن الجوزي في ذلك في « الموضوعات » ٢/٥٥ ـ ٥٦ وكلام الامام الذهبي في « الميزان » ٢/ ٢٠ .

(٢) وهي مفتاح السنن وقد رتب الاحاديث على أوائلها . وفهرس الفبائي باسماء كتب ابن ماجه وفهرس الموضوعات حسب ترتيبها في الكتاب .

٤ ـ محمد بن عبد الهادي السندي المتوفى سنة ١١٣٨ هـ وقد طبع هذا الشرح مع كتاب « السنن » في جزأين في المطبعة التازية وانتهى طباعة سنة ١٣٤٩ .

٥ ـ وقد شرح سراج الدين عمر بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمانية مجلدات . وسمى شرحه « ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه » .

٦ ـ وكتب الشيخ الدهلوي حاشية سماها « انجاح الحاجة » وطبعت في الهند مع كتاب « السنن » ومع « مصباح الزجاجة » ومع شروح لفخر الحسن طبعة سقيمة متداخلة .

❋ ★ ❋

الفصل الثالث

كتب أخرى

ذكرنا في الفصل السابق الكتب الستة ونود ان نذكر في هذا الفصل ببعض الكتب المهمة تذكيرا سريعا ، وهذه الكتب هي :

« الموطأ » و « المسند » و « سنن الدارمي » و « صحيح ابن خزيمة » و « صحيح ابن حبان » .

١ ـ « الموطا » للامام مالك :

ترجمة الامام مالك : هو مالك بن أنس بن مالك الاصبحي الحميري ، ابو عبد الله ، أحد أعلام الاسلام ، وامام دار الهجرة ، روى عن نافع مولى ابن عمر وغيره وروى عنه الشافعي وابن المبارك . ولد في المدينة سنة ٩٣ هـ كان صلبا في دينه ، جريئا في الحق ، بعيدا عن الحكام والامراء . وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٧٩ هـ .

ترك عددا من الكتب أهمها « الموطأ » .

خصائص كتابه :

١ ــ أثنى العلماء على هذا الكتاب الثناء الكبير ، فمن ذلـك قـول الشافعي : « ما أعلم في الارض كتابا اكثر صوابا من كتـاب مالك » [1] وفي رواية : « ... اصح من كتاب مالـك » [1] .
وقال ابن حجر : (.. الشافعي انما اطلق على « الموطأ » أفضلية الصحة بالنسبة الى الجوامع الموجودة في زمنه ك « جامع سفيان الثوري » و « مصنف حماد بن سلمة » وغير ذلـك) .

٢ ــ هو من أوائل الكتب التي دونت في الحديث .

٣ ــ لم يكن مالك يرى الانقطاع في الاسناد قادحا فلذلك كان يخرج المراسيل والمتقطعات والبلاغات .

٤ ــ خلا الكتاب من المقدمة ورتب على أبواب الفقه ، وكثيرا مـا يقول : (وهذا الامر هو الذي ادركت عليه الناس وأهل العلم ببلدنا) .

٥ ــ امتلأ الكتاب بفتاوى الامام مالك في موضوعات فقهية وفتاوى المجتهدين ولذلك يعده كثير من الباحثين من كتب الفقه لا من كتب الحديث .

٦ ــ طبع مرارا في الهند والمغرب وتونس ومصر ، وأحسن طبعاته طبعة محمد فؤاد عبد الباقي .

---

(١) « كشف المغطا في فضل الموطأ » لابن عساكر ص ١١ و « علوم الحديث » لابن الصلاح ص ١٤ و « هدي الساري » ١٠ .

شروحه ومختصراته :

١ ـ شـرحه يوسـف بن عبد البر المتوفى ٤٦٣ بكتـاب سـماه «**الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار ممارسمه الامام مالك في الموطأ من الرأي والآثار** » .

٢ ـ وشرحه سليمان بن خلف الباجي المتوفى ٤٧٤ وسمى شـرحه « **المنتهى شرح الموطأ** » .

٣ ـ وشرحه ابو بكر محمد بن العربي المتوفى ٥٤٦ وسمى شرحه « **المسالك على موطأ الامام مالك** » .

٤ ـ والسيوطي ت ٩١١ وسمى شرحه « تنوير الحوالك شرح موطأ مالـك » .

٥ ـ وشرحه أيضا محمد بن عبد البـاقي الزرقاني المتوفى ١١٢٢ وهو من أكثر شروحه شيوعا .

واختصره عدد من العلماء أيضا . من أهمهم :

ابن عبد البر الذي اختصره في « الكافي في الفقه » .

٢ ـ « المسند » للامام أحمد :

ترجمة الامام أحمد : هوابو عبد اللـه أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، امام المذهب الحنبلي . المحدث الفقيه .

ولد في بغداد سنة ١٦٤ هـ . وكان امام المحدثين في وقته ، وكان من أصحاب الامام الشافعي وخواصه . لم يزل مصاحبا لـه الى ان ارتحل الشافعي الى مصر .

طوف الامـام أحمد بالبلاد الاسـلامية في سـبيل طلب العلم والحديث .

دعي الى القول بخلق القرآن فلم يجب ، فضرب وحبس وظل على ابائه للباطل والامتناع عن قبوله مجاهدا في سبيل اللـه ناصرا للسنة ، صابرا على ما يصيبه من أجل ذلك ، بقي سجينا مدة ثمانية وعشرين شهرا ، قال ابن المديني : ان اللـه تعالى ايد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة ثم عرف الخليفة المتوكل قدره فأكرمه وقدمه ، وكان آية في العلم والورع . قال الشافعي : (ماخلفت ببغداد أفقه ولا أورع ولا أعلم من أحمد) وقال ابن معين : (واللـه ما تحت اديم السماء أفقه من أحمد بن حنبل ، ليس في شرق ولا غرب مثله) .

من تلامذته البخاري ومسلم .

له مؤلفات في الحديث كثيرة اشهرها « المسند » .

انتشر مذهبه الفقهي في بلاد الشام ونجد والعراق .

توفي في ر م الاول سنة ٢٤١ هـ .

خصائص كتابه « المسند » :

١ ــ كان هذا الكتاب محل ثناء العلماء الاعلام ، قال ابن الجزري : (هو كتاب لم يرو على وجه الارض كتاب في الحديث أعلى منه) [١] .

---

(١) من كتاب « المصعد » الذي نشره الاستاذ احمد شاكر في الجزء الاول من « المسند » ١/٢٨ ــ ٢٩ .

٢ ـ جمع فيه مؤلفه من الحديث مالم يتفق لغيره ، فقد اشتمل على ما يقارب أربعين الف حديث تكرر منها نحو عشرة آلاف ، قال الاستاذ أحمد محمد شاكر رحمه اللـه :

(ولم يسبق للمتقدمين أن ذكروا عدد ما فيه بالضبط الا أنهم قدروه بنحو ٣٠ ألف حديث الى ٤٠ ألفا ، وأنا أظن أنه لا يقل عن خمسة وثلاثين ولا يزيد على الاربعين)[١] .

٣ ـ من أحاديثه ما يزيد على (٣٠٠) حديث ثلاثية الاسناد ، أي بين راويها والرسول ثلاثة رواة ، وقد شرحها السفاريني في مجلدين كبيرين ، وقد طبع هذا الشرح في المكتب الاسلامي في دمشق .

٤ ـ لم يفت « المسند » من الكتب الستة الا قليل ، أي : وردت معظم أحاديثها فيه .

٥ ـ رتبه على مسانيد الصحابة ، وابتدأ بالعشرة المبشرين بالجنة [٢] ثم بالصحابة ، وقد انتقاه من أكثر من (٧٥٠) ألف حديث ، اما هذه الاحاديث فقد أوردها في المسانيد دون نظر الى موضوعاتها .

٦ ـ يبدو أن الامام أحمد لم يتح له ان يهذب كتابه وينقحه . بل خلفه مسودة . قال ابن الجزري : (ان الامام أحمد شرع في جمع هذا المسند ، فكتبه في أوراق مفردة ، وفرقه في أجزاء

---

(١) « الباعث الحثيث » ٢١١ .

(٢) وهم الصحابة الكرام الآتية اسماؤهم (ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة) رضي اللـه عنهم أجمعين .

منفردة على نحوما تكون المسودة ، ثم جاء حلول المنية قبل حصول الامنية . فبادر بإسماعه لاولاده وأهل بيته ، ومات قبل تنقيحه وتهذيبه فبقي على حاله ، ثم ان ابنه عبد الله ألحق به ما يشاكله ، وضم اليه من مسموعاته ما يشابهه ويماثله)[1] .

٧ ــ قال الاستاذ أحمد البنا[2] ما فحواه :

(بتتبعي لاحاديث المسند وجدتها تنقسم الى ستة أقسام ــ ومعرفة ذلك تعتمد على النظر في السند ــ :

١ ــ قسم رواه عبد الله بن الامام احمد عن أبيه سماعا منه وهو المسمى بـ « مسند أحمد » وهو كبير جدا يزيد عن ثلاثة أرباع الكتاب .

ويظهر من السند ، فكل حديث يقال في سنده (حدثنا عبد الله ، حدثني أبي) فهو من « المسند » .

٢ ــ وقسم سمعه عبد الله من أبيه وغيره ، وهو قليل جدا .

٣ ــ وقسم رواه عبد الله عن غير أبيه ، وهو المسمى عند المحدثين بزوائد عبد الله ، وهو كثير بالنسبة للاقسام كلها عدا القسم الاول .

ويعرف بالنظر في السند حيث إن كل حديث يقال في أول سنده (حدثنا عبد الله حدثنا فلان) بغير لفظ (أبي) فهو من زوائد عبد الله .

٤ ــ وقسم قرأه عبد الله على أبيه ، وهو قليل .

---

(١) « المسند » ١/٣٠ .

(٢) انظر مقدمة « الفتح الرباني » للشيخ احمد البناص ١٩ .

٥ ــ وقسم لم يقرأه ولم يسمعه ، ولكنه وجده في كتاب أبيه بخط يده وهو قليل .

٦ ــ وقسم رواه الحافظ القطيعي عن غير عبد الله وأبيه وهو أقل الجميع .

ويعرف من السند ، وذلك بان يكون في اول السند : حدثنا فلان (غير عبد الله وأبيه) فيكون ذلك من زوائد القطيعي [1] .

٨ ــ طبع « المسند » طبعة قديمة . ثم شرع الاستاذ أحمد محمد شاكر بتحقيقه واخراجه اخراجا علميا رائعا ، فأصدر بضعة عشر جزءا وتوفي والكتاب لم يتم .

٣ ــ سنن الدارمي :

ترجمة الدارمي : هو عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي التميمي ، أبو محمد ، ولد سنة ١٨١ وطلب العلم ورحل في سبيل ذلك فزار العراق والشام والحرمين ومصر ، وأظهر علم الحديث والآثار بسمرقند ؛ وكان عالما بعدد من العلوم بالاضافة الى الحديث فهو مفسر وفقيه . طلب للقضاء على سمرقند فأبى، وألح عليه السلطان فاستجاب لذلك ولكنه قضى مرة واحدة ، ثم استعفى فأعفي . توفي سنة ٢٥٥ ودفن بمرو .

ألف عددا من الكتب . من أشهرها « السنن » ويدعى بـ « المسند » .

---

(١) « الفتح الرباني » ١٩/١ .

خصائص هذا الكتاب :

١ ـ اشتهر هذا الكتاب عند المحدثين بالمسند ، قال السيوطي :

(و « مسند الدارمي » ليس بمسند ، بل هو مرتب على الابواب ٠)[١] ٠

وعلل العراقي تسميته بالمسند بكون أحاديثه مسندة كما سمى البخاري كتابه بالمسند ، الا أن فيه المرسل والمعضل والمنقطع كثيرا على خلاف البخاري[٢] وأورد السيوطي احتمال أن يكون كتاب السنن هذا هو كتاب الجامع المذكور في كتبه وأن كتابه المسند فقد[٢] ٠

٢ ـ ولكثرة ما فيه من الحديث الصحيح سماه علاء الدين مغلطاني أحد علماء الحديث سمّاه « الصحيح » ورد عليه ابن حجر ٠ قال السيوطي :

(وقد سمّاه بعضهم بـ « الصحيح » قال شيخ الاسلام ابن حجر : ولم أر لمغلطاني سلفاً في تسمية الدارمي صحيحا)[١]

٣ ـ قرر ابن حجر أنه ليس دون النن في الرتبة ، واقترح أن يكون محل ابن ماجه ٠ قال السيوطي :

(وقال شيخ الاسلام ـ أي ابن حجر ـ : ليس دون السنن في الرتبة ، بل لو ضم الى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه ، فانه أمثل منه بكثير)[٢] ٠

٤ ـ وكتاب « السنن » مرتب على الابواب الفقهية ، وهو حسن التبويب ٠

---

(١) « تدريب الراوي » ١٠١

(٢) « تدريب الراوي » ١٠٢

د ـ يمتاز هذا الكتاب بقلة الرجال الضعفاء ، وليس فيه أحاديث منكرة ولا شاذة وإن كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة .

٤ ـ صحيح ابن خزيمة

ترجمة ابن خزيمة :

هو محمد بن اسحاق بن خزيمة أبو بكر النيسابوري . ولد بنيسابور ٢٢٣ هـ طلب العلم صغيرا وسمع من عدد من الاعلام وارتحل في طلب الحديث فزار الجزيرة والعراق والشام ومصر .

كان إماما كبيرا من الأئمة المجتهدين . قال السبكي : (المجتهد المطلق ، البحر العجّاج .. جمع أشتات العلوم ، وارتفع مقداره فتقاصرت عنه ضوالع النجوم ..)[١] كان زاهدا متبعا للسنة ، وجريئا في الحق ، ترك كتبا وهذا أهمها .

توفي سنة ٣١١ هـ

خصائص كتابه :

١ ـ قال السيوطي : (صحيح ابن خزيمة أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان ، لشدة تحريه . حتى إنه يتوقف في التصحيح لأدنى كلام في الاسناد ، فيقول : إن صحّ الخبر ، أو : إن ثبت كذا .. ونحو ذلك .)[٢]

٢ ـ هذا العنوان : « صحيح ابن خزيمة » متأخر الاستعمال والذيوع ، أما اسمه الاصلي الذي سماه به مؤلفه فهو : «مختصر

---

(١) « طبقات الشافعية » ١٠٩/٣

(٢) « تدريب الراوي » ص٥٤

المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم » . وهذا الاسم يدل على أن كتابه مختصر من كتاب له آخر كبير، وأشار الى كتابه الكبير فقال : « خرجته بطوله في كتاب الصدقات من كتاب « الكبير »)[1] .

٣ ـ يبدو كما استظهر ذلك محقق الكتاب أن كتابه هذا كان إملاء أملاه على طلابه .

٤ ـ في أحاديثه الصحيح والضعيف والحسن ، وقد ضعف المؤلف نفسه بعضها في كتابه .

٥ ـ يمتاز هذا الكتاب بعناوين طويلة فيها كثير من آراء الرجل الفقهية ، مثل العنوان الآتي : (باب الأمر بغسل الإناء من ولوغ الكلب ، والدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أمر بغسل الاناء من ولوغ الكلب تطهيرا للإناء لا على ما ادعى بعض أهل العلم أن الامر بغسله أمر تعبد وأن الإناء طاهر ، والوضوء والاغتسال بذلك الماء جائز ، وشرب ذلك الماء طلق مباح)[2] .

٥ ـ صحيح ابن حبان :

ترجمة ابن حبان :

هو محمد بن حبان ، أبو حاتم البستي ولد في بست وتقع بين هراة وغزنين من سجستان ، وطوف في أنحاء العالم الاسلامي فكتب عن أكثر من ألفي شيخ . قال فيه الحاكم : كان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ .

---

(١) مقدمة محقق « صحيح ابن خزيمة » ص ١٧ .

(٢) انظر « صحيح ابن خزيمة » ١/٥٠

وقد ولي القضاء بسمر قند وغيرها من المدن ، ثم ورد نيسابور ٣٣٤ هـ وقد أنشأ في بست الى جانب داره مدرسة لأصحابه وتلاميذه من أهل العلم وفيها مسكن للغرباء ، وأجرى لهم جرايات يستنفقونها ، وفيها خزانة كتبه وتوفي سنة ٣٥٤ ودفن في داره بمدينة بست بجوار مدرسته وخزانة كتبه رحمه الله .

خصائص كتابه :

١ ـ اسمه كما سماه به مؤلفه « المسند الصحيح على التقاسيم والانواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها » وقد يختصر فيدعى بـ « التقاسيم والانواع » واشتهر بـ « صحيح ابن حبان » ولم يصل إلينا .

٢ ـ رتب كتابه ترتيبا غريبا لم يسبق اليه ، فقد بناه على خمسة أقسام وهي :

١ ـ الاوامر وهي ١١٠ أنواع و ٢ ـ النواهي وهي ١١٠ أنواع و ٣ ـ الاخبار وهي ٨٠ نوعا و ٤ ـ الاباحات وهي ٥٠ نوعا و ٥ ـ افعال النبي وهي ٥٠ نوعا فمجموع السنن ٤٠٠ .

والطريف أن المؤلف يذكر في مقدمته أنه أراد أن يصعب على الناس المراجعة ، حتى يضطروا الى حفظ الاحاديث فلا يعتمدوا على السهولة في التأليف ، فيتركوا من أجل ذلك الحفظ [1] .

إذن فالكشف فيه عسير جدا ، كان هذا سببا في أن تظهر دراسات حول هذا الكتاب منها :

---

(١) انظر ص ١١١ من مقدمة ابن حبان التي نقلها الامير علاء وصدر كتابه الاحسان في طبعة الاستاذ أحمد شاكر .

كتاب « الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان » للأمير علاء الدين علي بن بلبان المتوفى سنة ٧٣٩،وقد أصدر الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الجزء الاول منه وطبع في مصر .

. ومنها كتاب « موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان » للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ هـ وهو صحيح ابن حبان لكنه جرد منه الاحاديث التي سبقه إليها الشيخان : البخاري ومسلم ، وقصر كتابه على ما زاد عليهما في صحيح ابن حبان وقد حققه العلامة محمد عبد الرزاق حمزة وطبع في المطبعة السلفية بمصر .

٣ ـ ذكر ابن حبان في مقدمته شروطه في التصحيح فقال : (إنا لم نحتج فيه إلا بحديث اجتمع في كل شيخ من رواته خمسة أشياء :

١ ـ العدالة في الدين بالستر الجميل .

٢ ـ الصدق في الحديث بالشهرة فيه .

٣ ـ العقل بما يحدث من الحديث .

٤ ـ العلم بما يحيل من معاني ما يروي .

٥ ـ المتعري خبره عن التدليس [١] .

هذا وقد نسبو له التساهل في التصحيح إلا أن تساهله أقل من تساهل الحاكم .

تنبيه

من الضروري أن نشير الى أنه لابد من قراءة بعض الصفحات في هذه الكتب التي ذكرناها في الفصلين الثاني والثالث من هذا الباب.

---

(١)ص١١٢ من طبعة شاكر للكتاب « الاحسان »

فلا يكفي الاقتصار على مطالعة ما أوردنا من خصائصها ، فبقراءة هذه الصفحات تكون هذه المعلومات موصولة بواقع الكتب وأكثر وضوحا •

ولم نورد نماذج منها وما كان أسهل ذلك علينا ؛ لأن ذلك يضخم الكتاب ، ولا يحقق الغرض كما اذا رجع المرء بنفسه الى هذه المؤلفات وقرأ فيهـا •

وأخيراً فاني أسأل الله أن يجعلنا ممن يكون له شرف خـدمة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلومه ، وأن ينفعنا بما علمنا ، وألا يجعل علمنا حجة علينا بين يديه يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القـول فيتبعون أحسنه • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

المصادر والمراجع

سأكتفي بذكر المراجع التي ذكرتها في الهوامش والتعليقات ، أما التي رجعت اليها ولم اذكرها في الهوامش فلن أذكر منها الا القليل وقد أعجلني الوقت عن ذكر المعلومات المفصلة عن هذه المراجع .

١ ـ آداب الشافعي ومناقبه — لابن ابي حاتم

٢ ـ ابو داود حياته وسننه — لمحمد الصباغ

٣ ـ ابو هريرة — لمحمد عجاج الخطيب

٤ ـ الاتحافات السنية في الاحاديث القدسية — لمحمد المدني

٥ ـ الاتقان في علوم القرآن — للسيوطي

٦ ـ الاحاديث القدسية — اصدار المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية

٧ ـ احاديث القصاص — لابن تيمية

٨ ـ الاحكام — للآمدي (طبع الرياض)

٩ ـ الاحكام — لابن حزم

١٠ ـ احكام القرآن — لابن العربي

١١ ـ احياء علوم الدين — للغزالي

١٢ ـ اختصار علوم الحديث لابن كثير
١٣ ـ أدب الاملاء والاستملاء للسمعاني
١٤ ـ أدب الدنيا والدين للماوردي
١٥ ـ الادب المفرد للبخاري
١٦ ـ الاربعين النووية للنووي
١٧ ـ ارشاد الفحول للشوكاني مطبعة الحلبي بمصر
١٨ ـ الازهار المتناثرة للسيوطي
١٩ ـ أسرار البلاغة للجرجاني طبع الاستقامة بالقاهرة
٢٠ ـ الاسرار المرفوعة لملا علي القاري
٢١ ـ الاسلام عقيدة وشريعة لشلتوت
٢٢ ـ اسنى المطالب للحوت البيروتي
٢٣ ـ الاصابة لابن حجر
٢٤ ـ أصول الفقه للخضري
٢٥ ـ اصول النحـو لسعيد الافغاني
٢٦ ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ للحازمي طبع حمص
٢٧ ـ اعجاز القرآن للباقلاني
٢٨ ـ إعجاز القرآن للرافعي
٢٩ ـ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي
٣٠ ـ الاغاني للاصبهاني طبع دار الكتب
٣١ ـ أقيسة النبي لابن الحنبلي مطبعة السعادة بمصر
٣٢ ـ الفية الحديث للعراقي تحقيق أحمد محمد شـاكر
٣٣ ـ الفية السيوطي في الحديث
٣٤ ـ الفية العراقي في السيرة طبع الرياض
٣٥ ـ الالمـاع للقاضي عياض
٣٦ ـ الام للشافعي

٣٧ ـ الانوار الكاشفة للمعلمي اليماني
٣٨ ـ الايضاح في تاريخ الحديث والاصطلاح لسعدي ياسين
٣٩ ـ الباعث الحثيث لاحمد محمد شاكر
٤٠ ـ الباعث على الخلاص للحافظ العراقي تحقيق محمد الصباغ في مجلة اضواء الشريعة
٤١ ـ البحث الادبي لشوقي ضيف
٤٢ ـ البحر المحيط لابي حيان الاندلسي
٤٣ ـ بحوث في تاريخ السنة المشرفة اكرم ضياء العمري
٤٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير
٤٥ ـ البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي
٤٦ ـ بلوغ الارب للآلوسي
٤٧ ـ البيان والتبيين للجاحظ
٤٨ ـ تاج العروس للزبيدي
٤٩ ـ التاج المكلل لصديق حسن خان
٥٠ ـ تاريخ آداب العرب للرافعي
٥١ ـ تاريخ الادب العربي لبروكلمان
٥٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب
٥٣ ـ تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين
٥٤ ـ تاريخ التشريع الاسلامي لمحمد الخضري
٥٥ ـ تاريخ الطبري
٥٦ ـ تاويل مختلف الحديث لابن قتيبة طبع النجار
٥٧ ـ تحذير الخواص للسيوطي تحقيق محمد الصباغ
٥٨ ـ تحذير المسلمين من الاحاديث الموضوعة للازهري
٥٩ ـ تحفة الأحوذي للمباركفوري

٦٠ ـ تحفة الاشراف	المـزي
٦١ ـ تحقيق النصوص	لعبد السلام هارون
٦٢ ـ تذكرة الموضوعات	للفتني
٦٣ ـ تدريب الراوي	للسيوطي
٦٤ ـ تذكرة الحفاظ	للذهبي
٦٥ ـ التراتيب الادارية	للكتاني
٦٦ ـ ترتيب المدارك	للقاضي عياض
٦٧ ـ الترغيب والترهيب	للمنذري
٦٨ ـ التشريع الاسلامي لغير المسلمين	لعبد اللـه مصطفى المراغي
٦٩ ـ تفسير ابن كثير	
٧٠ ـ تفسير القرطبي	
٧١ ـ التقريب	للنووي
٧٢ ـ تقييد العلم	للخطيب
٧٣ ـ تلخيص الحبير	لابن حجر
٧٤ ـ التمييز	للامام مسلم
٧٥ ـ تنزيه الشريعة	لابن عراق
٧٦ ـ التنكيل	للمعلمي اليماني
٧٧ ـ تهذيب الاسماء واللغات	للنووي
٧٨ ـ تهذيب التهذيب	لابن حجر
٧٩ ـ توجيه النظر	لطاهر الجزائري
٨٠ ـ تيسير الوصول	لابن الديبع
٨١ ـ جامع الاصول	لابن الاثير
٨٢ ـ جامع بيان العلم	لابن عبد البـر
٨٣ ـ جامع الترمذي	

٨٤ ــ الجامع الصغير — للسيوطي

٨٥ ــ الجرح والتعديل — لابن أبي حاتم

٨٦ ــ جمع الجوامع

٨٧ ــ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح — لابن تيمية

٨٨ ــ حاشية لقط الدرر شرح نخبة الفكر — للعدوي

٨٩ ــ حجاب المرأة المسلمة — للألباني

٩٠ ــ حجة الله البالغة — لولي الله الدهلوي

٩١ ــ الحديث المرسل حجيته واثره في الفقه — لمحمد حسن هيتو

٩٢ ــ الحديث المرسل ومدى الاهتمام به — لعبد القهار داود العاني

٩٣ ــ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع — لآدم متز

٩٤ ــ حلية الاولياء — لابي نعيم

٩٥ ــ الخلاصة — للخزرجي

٩٦ ــ دراسات في الحديث النبوي — **لمحمد مصطفى الاعظمي**

٩٧ ــ دراسات في العربية — لمحمد الخضر حسين

٩٨ ــ دفاع عن أبي هريرة — لعبد المنعم صالح

٩٩ ــ دفاع عن البلاغة — لاحمد حسن الزيات

١٠٠ ــ ديوان امرىء القيس

١٠١ ــ ديوان حسان

١٠٢ ــ الرسائل المنيرية

١٠٣ ــ رسالة أبي داود الى اهل مكة في وصف سننه — لابي داود

١٠٤ ــ الرسالة — للشافعي

١٠٥ ــ الرسالة المستطرفة — للكتاني

١٠٦ ـ الرفع والتكميل — للكنوي
١٠٧ ـ الروض الأنف — للسهيلي
١٠٨ ـ رياض الصالحين — للنووي نشر مصطفى عمارة
١٠٩ ـ سر الفصاحة — لابن سنان الخفاجي
١١٠ ـ سلسلة الاحاديث الصحيحة — للالباني
١١١ ـ سلسلة الاحاديث الضعيفة — للالباني
١١٢ ـ سمط النجوم العوالي — للعصامي
١١٣ ـ سنن ابن ماجه — تحقيق عبد الباقي
١١٤ ـ سنن ابي داود — تحقيق محيي الدين عبد الحميد
١١٥ ـ سنن الدارقطني
١١٦ ـ سنن الدارمي
١١٧ ـ سنن النسائي
١١٨ ـ السنة — لمحمد بن نصر المروزي
١١٩ ـ السنة ومكانتها في التشريع — للسباعي
١٢٠ ـ سيرة ابن هشام
١٢١ ـ شذرات الذهب — لابن العماد
١٢٢ ـ شرح تراجم البخاري — للدهلوي
١٢٣ ـ شرح الزرقاني على الموطأ — للزرقاني
١٢٤ ـ شرح الشمائل المحمدية — للباجوري
١٢٥ ـ شرح صحيح البخاري — للقسطلاني
١٢٦ ـ شرح صحيح مسلم — للنووي
١٢٧ ـ شرح معاني الآثار — للطحاوي
١٢٨ ـ شرح المهذب — للنووي

١٢٩ ـ شرح نخبة الفكر — لابن حجر
١٣٠ ـ شرح نهج البلاغة — لابن أبي الحديد
١٣١ ـ شرف أصحاب الحديث — للخطيب البغدادي
١٣٢ ـ شروط الائمة — للحازمي
١٣٣ ـ شواهد سيبويه — للنفاخ.
١٣٤ ـ صبح الاعشى — للقلقشندي
١٣٥ ـ صحيح ابن خزيمة
١٣٦ ـ صحيح البخاري
١٣٧ ـ صحيح مسلم
١٣٨ ـ صحيح الجامع الصغير — للالباني
١٣٩ ـ الصناعتين — لابي هلال العسكري
١٤٠ ـ ضعيف الجامع الصغير — للالباني
١٤١ ـ طبقات ابن سعد
١٤٢ ـ طبقات الحنابلة — لابي يعلى
١٤٣ ـ طبقات الشافعية — للسبكي تحقيق الحلو والطناحي
١٤٤ ـ طبقات الشافعية — للعبادي
١٤٥ ـ الطراز الحديث في مصطلح الحديث — لمحمد الجيزاوي
١٤٦ ـ عبقرية محمد — للعقاد
١٤٧ ـ العجالة السنية على الفية العراقي للسيرة النبوية — للمناوي
١٤٨ ـ العصر الاسلامي — لشوقي ضيف
١٤٩ ـ العلم — لزهير بن حرب تحقيق الالباني
١٥٠ ـ علم الاجتماع — لعبد الكريم اليافي
١٥١ ـ علوم الحديث — لابن الصلاح
١٥٢ ـ العمدة — **لابن رشيق القيرواني**

١٥٣ ـ عون المعبود للعظيم آبادي
١٥٤ ـ فتح الباري لابن حجر
١٥٥ ـ فتح المغيث للسخاوي
١٥٦ ـ الفروق للقرافي
١٥٧ ـ الفصل لابن حزم
١٥٨ ـ الفقيه والمتفقه للخطيب
١٥٩ ـ الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني
١٦٠ ـ الفوائد الموضوعة في الاحاديث الموضوعة للكرمي
١٦١ ـ في الحديث النبوي للزرقا
١٦٢ ـ في ظلال القرآن لسيد قطب
١٦٣ ـ فيض القدير للمناوي
١٦٤ ـ قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية
١٦٥ ـ قبسات من الرسول لمحمد قطب
١٦٦ ـ القرامطة لابن الجوزي
١٦٧ ـ قواعد التحديث للقاسمي
١٦٨ ـ الكامل للمبرد
١٦٩ ـ الكتاب لسيبويه
١٧٠ ـ كتاب النبي للاعظمي
١٧١ ـ الكشاف للزمخشري
١٧٢ ـ كشف الخفاء للعجلوني
١٧٣ ـ كشف الظنون لحاجي خليفة
١٧٤ ـ الكفاية للخطيب البغدادي
١٧٥ ـ الكليات لابي البقاء الطبعة الاميرية مصر سنة ١٢٨١

١٧٦ ـ الكنايات — للجرجاني

١٧٧ ـ اللآلىء المصنوعة — للسيوطي

١٧٨ ـ لسان العرب — لابن منظور

١٧٩ ـ اللغة والنحو بين القديم والحديث — لعباس حسن

١٨٠ ـ لمحات في علوم القرآن — لمحمد الصباغ

١٨١ ـ اللؤلؤ والمرجان — لمحمد فؤاد عبد الباقي

١٨٢ ـ مالا يسع المحدث جهله — للميانشي تحقيق السامرائي

١٨٣ ـ مبارق الازهار شرح مشارق الانوار — لابن الملك

١٨٤ ـ المثل السائر — لابن الاثير

١٨٥ ـ المجازات النبوية — للشريف الرضي

١٨٦ ـ مجلة البعث الاسلامي

١٨٧ ـ مجلة حضارة الاسلام

١٨٨ ـ مجلة المجمع العلي العربي

١٨٩ ـ مجلة المنار

١٩٠ ـ مجمع الزوائد — للهيثمي

١٩١ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية

١٩٢ ـ محاضرات في النصرانية — لمحمد ابو زهرة

١٩٣ ـ المحدث الفاصل — للرامهرمزي

١٩٤ ـ محمد رسول الله — لمحمد الخضر حسين

١٩٥ ـ مختار الصحاح — للرازي

١٩٦ ـ مختصر صحيح مسلم — للمنذري تحقيق الالباني

١٩٧ ـ المدخل الى اصول الفقه — للدواليبي

١٩٨ ـ المزهر — للسيوطي

١٩٩ ـ المستدرك — للحاكم

٢٠٠ ـ المستصفى — للغزالي

٢٠١ ـ مسند احمد

٢٠٢ ـ المسودة في اصول الفقه — لآل تيمية

٢٠٣ ـ مشكاة المصابيح — للتبريزي

٢٠٤ ـ مصطلح التاريخ — لاسد رستم

٢٠٥ ـ المصنوع — لملا علي القاري

٢٠٦ ـ المطالع النصرية — لنصر الهوريني

٢٠٧ ـ معالم السنن — للخطابي

٢٠٨ ـ معالم في الطريق — سيد قطب

٢٠٩ ـ معجم الادباء — لياقوت

٢١٠ ـ معجم البلدان — لياقوت

٢١١ ـ معجم المطبوعات — لسركيس

٢١٢ ـ المعجم المفهرس لالفاظ الحديث — لمجموعة من المستشرقين

٢١٣ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن — لمحمد فؤاد عبد الباقي

٢١٤ ـ معرفة علوم الحديث — للحاكم

٢١٥ ـ معيد النعم — للسبكي

٢١٦ ـ المغني عن الاسفار — للعراقي

٢١٧ ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة — للسيوطي

٢١٨ ـ مفتاح السنة — للخولي

٢١٩ ـ مفتاح كنوز السنة — فنسنك

٢٢٠ ـ المقابله بين الهدى والضلال — محمد عبد الرزاق حمزة

٢٢١ ـ مقاييس اللغة — لابن فارس

٢٢٢ ـ المقاصد الحسنة — للسخاوي

٢٢٣ ـ مقدمة في التفسير — لابن تيمية

٢٢٤ ـ مكارم الاخلاق — للخرائطي

٢٢٥ ـ الملل والنحل — للشهرستاني
٢٢٦ ـ المنار — لابن القيم
٢٢٧ ـ مناقب الشافعي — للبيهقي
٢٢٨ ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي — لروزنتال
٢٢٩ ـ مناهل العرفان — للزرقاني
٢٣٠ ـ المنتظم — لابن الجوزي
٢٣١ ـ منزلة السنة في الاسلام — للالباني
٢٣٢ ـ المنهج الاحمد — للعليمي
٢٣٣ ـ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان — للهيثمي
٢٣٤ ـ الموضوعات — لابن الجوزي
٢٣٥ ـ موطأ مالـك
٢٣٦ ـ ميزان الاعتدال — للذهبي
٢٣٧ ـ النبأ العظيم — لمحمد عبد اللـه دراز
٢٣٨ ـ النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي
٢٣٩ ـ نشرة معهد المخطوطات
٢٤٠ ـ نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الاربعة — لاحمد تيمور
٢٤١ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي — لعلي حسن عبد القادر
٢٤٢ ـ نظم العقيان في اعيان الاعيان — للسيوطي
٢٤٣ ـ نفح الطيب — للمقري
٢٤٤ ـ نور اليقين — للخضري
٢٤٥ ـ هدي الساري — لابن حجر
٢٤٦ ـ الوافي بالوفيات — للصفدي
٢٤٧ ـ وحي الرسالة — للزيات
٢٤٨ ـ وحي القلم — للرافعي
٢٤٩ ـ الوزراء والكتاب — للجهشياري
٢٥٠ ـ وفيات الاعيان — لابن خلكان



الفهرس

الصفحة	الموضوع

الموضوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	الفصل التاسع الانواع المشتركة بين الصحيح والحسن والضعيف
٢٨٠	حجية حديث الآحاد
٢٨١	المرفوع
٢٨٢	المسند
٢٨٣	المتصل
٢٨٣	الموقوف
٢٨٤	المقطوع
٢٨٤	المعنعن
٢٨٦	المؤنن
٢٨٦	المعلق
٢٨٧	الفـــرد
٢٨٧	الغريب
٢٨٨	العزيز
٢٨٩	المشهور والمستفيض
٢٨٩	المتـــابع
٢٩١	الشاهد
٢٩١	المدرج
٢٩٤	المسلسل
٢٩٥	المصحف والمحرف

الصفحة	الموضوع

الصفحة	الموضوع
٣٤٥	**الباب الخامس كتب الحديث**
٣٤٩	الفصل الاول أنواع كتب الحديث
٣٥٠	الجوامع والمسانيد
٣٥٢	المعاجم والمستدركات
٣٥٣	المستخرجـات
٣٥٤	الاجزاء
٣٥٤	السنن
٣٥٥	الاطراف
٣٥٦	كتب الرجال
٣٥٧	كتب المصطلح
٣٥٨	كتب الفهارس
٣٥٩	كتب المختارات
٣٥٩	كتب أدلة الاحكـام
٣٦١	الفصل الثاني الكتب الستة
٣٦٢	صحيح البخاري
٣٦٤	خصائص كتابه الجامع الصحيح
٣٧٤	عناوين صحيح البخاري
٣٧٧	شروح صحيح البخاري
٣٧٨	مختصرات صحيح البخاري